الأسس المبتكرة
لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف

عبد العزيز عتيق الأزهري

حقوق الطبع للمؤلف وحده

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٣٦٩ هـ — سبتمبر ١٩٥٠ م

مطبعة العلوم ١٦٢ شارع الخليج بمصر

obeikandl.com

الإهـــداء

إلى باعث النهضة الأدبية الحديثة فى الشرق

وحامل لواء الآداب العربية خفاقا فى ميدان الثقافة الإنسانية

وأول أديب شرقى أجمع الغربيون على تقديره ، وتكريمه

وأول مثقف سن للأدباء مقاييس جديدة ، لتذوق الأدب ونقده ، فأيقظهم من سباتهم برسالته السامية ، وصيحته المدوية فاستأنفوا حياة جديدة فى البحث ، والحكم واتجهوا إلى الأمام قدما ، يزاحمون بمباحثهم المبتكرة مواكب الآداب العالمية ، بعد أن كانوا يقفون والركب يسير ، مغلقة بصائرهم ، حرجة صدورهم ، هواء أفئدتهم ؛

إلى العصامى الذى عرف كيف يصرع الجهل والضعف ، والتقاليد البالية فاذا به بعد حر الكفاح ، كبير من وزراء الأمة ، مزود ثقة فاروق العظيم : مؤيد بإعجاب الشعب ، وزعيمه مصطفى النحاس

إلى الأستاذ العبقرى الأبى ، الذى ما برحت الأمة تكرمه لأنها تشرف بتكريمه ، وما فتئت تلهج بالثناء عليه ، لأنه صورة صادقة لآمالها ، وما انفكت تحوطه بقلوبها ، لأنه قبس من طموحها . ومازال الآباء والأمهات : فتياتهم وفتياتهم يهتفون بذكره ، لأنه ذلك عقبات التعليم وعالله ، فجعله للجميع حقا شائعا ، بعد أن كان أملا ضائعا .

إلى السعيد الوزير : الى الدكتور طه حسين وزير المعارف بالمملكة المصرية :

أهدى كتابى :

سيدى الوزير :

إن هذا الكتاب أثر من توجيهكم ، وقبس من تعاليمكم ، ولولا آراؤكم فى الأدب وفى النقد وفى التجديد ، ماجرؤ مثلى أن يقتحم على الصحراء العربية صمتها الرهيب ، ولا على الأدب الجاهلى غفوته السرمدية

فهل أجد من وارف ظلكم ، مايسعدنى بقبوله ، ويشرفنى باطلاعكم عليه ، ذلك أول آمالى فى معاليكم والسلام ؟

عبد العزيز سيد الأهل

شكر وتقـــــدير

الفكرة الجديدة لبنة ذهبية فى صرح الثقافة الإنسانية ، فإذا سجدت شكراً لله الذى وفقنى ، فابتكرت تلك النظرية التاريخية الأدبية ، فسأذكر دائماً أنى فى كثير من الأوقات ـ عند تأليفى هذا الكتاب ـ كنت أجد نفسى أمام عقبات تضيق بها الصدور ، فأتصور رحب الفضاء أمامى وقد أخذ يضيق رويداً رويدا ، فماهى حتى تهب نسمات من تشجيع العلماء الذين اتصلت بهم لأن الموضوع ـ فى نظرهم ـ بكر ، والروض أنف ، فيعود الأمل مخضراً ، والأفق فسيحاً ، فأمضى قدما إلى الأمام ، وما زلت هكذا : بين طى ونشر ، ويأس وأمل ، حتى وجدت نظريتى وقد دنت قطوفها ، وامتدت ظلالها ، واتسع سلطانها على كل ما صادفها من الآثار الأدبية فى الجاهلية .

وأنت إذا رددت النظر فيها لاتجد إلا شواهد عدل على قدم تلك الأمة العريقة ، وقدم آدابها التى انبثقت من سفوح الماضى السحيق .

وليس أندى على كبدى ، ولا أطيب لنفسى ، من الاعتراف بالجميل لذويه ، والفضل لمسديه ، فلا بدع أن أشيد بذكر حضرة صاحب العزة فخر العمداء الأستاذ البحاثة الثقة (ابراهيم بك مصطفى) عميد كلية دار العلوم ، بجامعة فؤاد الأول بمصر ، وأخى الأديب الكبير النقادة (مصطفى السقا) الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وحجة الباحثين فى الأحاديث النبوية الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقى) وصديقى الأستاذ العالم (محمد بدوى) المفتش بالتعليم الثانوى

وتلبية لتواضعهم سأكتفى بالإشارة إلى ماأمدونى به من أمهات المراجع غربية وشرقية ، ولم يبق إلا أملى فى الله أن يعم النفع بما ابتكرت ، وأن يثير همم الباحثين بما سجلت .

صنروع

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده سبحانه لأنه أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الثقافة الانسانية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسله أول من هتف بحرية البحث ، وحرض المفكرين أن يكتنهوا ما بين أيديهم وما خلفهم لعلهم يهتدون .

وبعد

فإذا كان « المرحوم محمود باشا الفلكى » قد استعان علم الفلك فحقق فى رسالة له :

(١) تاريخ موت إبراهيم بن سيدنا محمد (ص) بكسوف الشمس

(٢) وعين وقت الهجرة بعد أن تضاربت فيها الآراء

(٣) وضبط وقت مولده ، ومقدار عمره (ص)

فإنى قد استخرت الله ، وإياه استعنت ، فوفقنى إلى « نظريتى » لتحديد أزمان الجاهلية العربية ، فأمكن أن أعين قبل الهجرة تاريخ أى شاعر ، أو خطيب أو حادث ، أو يوم من أيامهم الكثيرة التى نثروا على سفوحها أروع أشعارهم وأسير أمثالهم ، وسكبوا فى ظلالها أبلغ حكمهم ، وأدسم آدابهم ،

معتمدا فى تحديد تلك الأزمان على (شجرات الأنساب) و (عمر الجيل) و (دليل الصحابة) إلى (عدنان) عند قبائل ربيعة أو مضر ، وإلى (قحطان) عند قبائل كهلان أو حمير ، مستأنسا (بأجيال العشيرة) ، و (دليل المعاصرة) ؛ فاذا أمكن بعد هذه الدعائم أن نجد صلة لذلك الشاعر مثلا (بدليل السجلات الملكية) للفرس ، أو المناذرة ، أو الروم ، كان فى ذلك أقرب ما نريد من الدقة لتحديد علاقته بدورة الفلك ، وتعيين تاريخه قبل الهجرة ، أو بعد الميلاد ، وتعمقه فى الجاهلية .

وكم أرق جفني وأقض مضجعي أن لا أجد لعصر الجاهلية ساحلا يرسو عليه الأدباء ، أو منارا يهتدى بهديه الباحثون ! وكم من مرة وقفت فيها مشدوها أمام قول علماء العصر العباسي :

١ ـ إن أول من حملوا راية الشعر فى الجاهلية كانوا من ربيعة أولا ، ثم من قيس ، ثم من تميم ..

٢ ـ وأول من قصد القصيد (مهلهل) ثم أبو ذؤيب التميمى، ثم ضمرة الكنانى

٣ ـ وعمر الأدب الجاهلى لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، فى الوقت الذى يقول فيه الأصمعى فى بعض رواياته : إن بين أوائل من قصدوا القصيد وبين الهجرة ٤٠٠ سنه !!

٤ ـ وأغرب مما تقدم ادعاء بعض المؤلفين المعاصرين لنا أن كل اللهجات العربية ذابت فى لهجة قريش بعد ظهورها ! فما ينسب إلى تميم مثلا ، أو قيس من اللهجات التى نفهمها إنما هو من لغة قريش فى لسان تميم ، أو لسان قيس إذ ليس فى لغة الأدب التى بين أيدينا شىء من لهجات تلك القبائل ، ولا نستطيع العثور عليها إلا فى معاجم اللغة؟ !

٥ ـ وأن القرآن إنما نزل بلغة قريش !

٦ ـ ومما يثير الأسى أن بعض هؤلاء لم يتسع وقتهم لتحقيق هذا ، ولكن راقهم بعض ما بيديه متعصبة الغربيين فاحتطبوا فى حبلهم ، محسنين الظن بهم ، والكريم يخدع !

فإزاء هذه المشكلات الأدبية لم تسمح نفسى فى عصر نهضتنا أن نأخذها قضية مسلمة مع ما فيها من تناقض وتردد ، فتجردت مذ سنوات لسبر غورها واكتناه حقائقها ، ونشرها بين الباحثين ، ولم يكن هذا ممكنا إلا بجهاز كالذى ابتكرته ، ودعمت قواعده بقواعد خمس سيأتى إيضاحها عند ذكر تلك النظرية ، ثم طبقتها على كثير من حوادث التاريخ قديمها وحديثها ، عربيها وعجميها فجاءت صادقة الخبر ، شهية الثمر :

من نتائج نظريتي :

١ ـ وقد استطعت بهـذه النظرية المبتكرة أن أضع جداول منظمة كالجداول الرياضية لضبط أزمان المعاصرين في الجاهلية من الشعراء والأدباء في القبيلة الواحدة ، ثم في كل القبائل ؛ وبذا تستطيع أن تجمع في الجيل الواحد آثار الأقدمين المعاصرين ، وفي الأجيال المختلفة آثار الأدباء مرتبة بترتيب أزمانها .

٢ ـ وأن تعرف بالتالي ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسلسله ، وهجرته من أديب إلى آخر ، ومن قبيلة إلى أخرى ؛ وما طرأ عليه في رحلاته العقلية في أذهان الأدباء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ، أو جمود ، أو فناء .

٣ ـ ومن السابق منهم بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟ وأي القبائل كان لها شرف الابتكار ؛ لما تقرر من أن نبوغ النابغ لا يقتصر عليه وحده ؛ بل يتعداه إلى أسرته ، فقبيلته ، فشعبه ، فجنسه .

٤ ـ وأن تحدد الزمن الذي ذابت فيه لغة القحطانيين في لغة العدنانيين .

٥ ـ ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التي صارت لسان الشعراء جميعا في العصر الجاهلي لا فرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو رَبَعيين ، وقيسيين ، وتميميين ، بعـد أن كان كل فرد منهم يتعصب لقبيلته ، ولهجتها ، بل لا يعرف سواها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها ، كما لا يشيد بغير مآثرها .

٦ ـ وبيان وجه الحق في قولهم : « أول من قصد القصائد مهلهل بن ربيعة » وأقدم الآثار الأدبية التي بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، إلى آخر ما مر من تلك المشكلات التي ما زال عشاق الحقائق في حيرة من أمرها

٧ ـ وتحديد أقدمية « اللهجة القريشية » التي يزعم كثير من الأدباء أن القرآن نزل بها ! !

٨ ـ ولم حكمنا بكذب الشعر المنسوب لعاد وثمود ، وآدم وحواء .

ولكثير من الشعر المنسوب المعمرين .

٩ ـ ولم اعترفت بما ينسب لطسم وجديس من شعر مع أنهم من العرب العاربة ؟

١٠ ـ وكيف اهتديت إلى أن أطول قصيدة عربية فى الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون وست سنوات قمرية .

١١ ـ وهذا غير ما ابتكرته مما سميته « الجيل الملكى » لتحديد المتوسط لحكم كل ملك، مما لم يسبقنى إليه أحد من المستشرقين وعلماء التاريخ الغربيين .

١٢ ـ وكيف انتصرت على البحاثة الألمانى (غلازر) فى تحديده عمر الجيل بخمس وعشرين سنة، إذ لم يقارب الجيل النسبى ، ولا الجيل الملكى ، فضلا عن أنه لم يعين لنا أى الجيلين يريد وإن كان السياق يدل على أنه يعنى الجيل النسبى ؛ إذ أن الجيل الملكى لم يكن للعلماء به علم قبل ابتكاريه .

١٣ ـ وبم صححت إجماع مؤرخى العرب على الخطـــأ فى قولهم إن « عدنان » عاصر « بختنصر » وحاربه .

١٤ ـ وكيف برهنت على أن القحطانيين أقدم من العدنانيين بالأرقام لا بالحدس ، ومتى ابتدأ تاريخ كل .

١٥ ـ واستدللت بنقشين على قدم اللغة الأدبية عند العرب، وعلى أن لغة النقوش كانت غير اللغة الأدبيـــة ، وأن لهجة القرآن تناسب لهجة النقش الأدنى ، ولهجة كثير من الشعراء قبل قريش ، فليست لهجته من آثارها .

١٦ ـ وأن فيما حوته كتب الأدب والتاريخ التى بين أيدينا نصوصا قيلت بحق فى القرن السابع بل الثامن قبل الهجرة ولكن الأدباء لا يدرون .

هذا بعض ما حققته بنظريتى ، أزجيه بين أيدى الباحثين فإن قاربت الحقيقة، ومهدت السبيل، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أثرت الشك فى بعض تلك المعلومات التى بلغت من نفوسهم مبلغ القداسة ؛ والشك أول اليقين .

عبد العزيز مشروع الأزهرى

لماذا لا نهتم بتراث أجدادنا ؟

لا مرية فى أن الغربيين فى العصر الحديث سادة الباحثين فى كل ما يمت إلى الحضارة الإنسانية بصلة !

فهم يبحثون الآن عن (سفينة نوح) فى جبل أرارات وليس بينهم وبين نوح صلة معروفة !

ويبحثون من سنوات فى السموات عن (سكان المريخ) وبعض الكواكب الأخرى ، وليس نوعهم من نوعنا ، ولا أجناسهم من أجناسنا ، ولا يرتبط كوكبهم بكوكبنا إلا بصلة الجاذبية العامة !

ومن قبل بحثوا ولا يزالون يبحثون عن (مدنيات الأمم القديمة) كبابل وآشور ومصر وليسوا بأصول لهم .

أفليس جديرا بنا — نحن حفدة العرب — أن نبحث عن تاريخهم وهو جزء من تاريخنا ، وأن نربط آدابهم بدورات الفلك الزمنية وهى آدابنا ، ونوضح صلتها الزمنية بالتاريخ الهجرى ، والتاريخ الميلادى ، وقد صار الأول نقطة التحول فى تاريخ العرب كافة ، والمسلمين عامة ؛ واتخذ الثانى مركز الدائرة التاريخية للعالم ، ولحوادثه القديمة والحديثة !

إنى لأنزوى حياء عندما أجدنا — نحن الشرقيين — عالة على الأجانب حتى بعد نهضتنا الحديثة ! فما لنا لا نثبت دعائمها بالبحوث العصرية فى ميادين الثقافة العربية ! وماذا يحول بيننا وبين إعطاء الآداب حقها ، والتواريخ قسطها ، ولغاتنا الأثرية نصيبها ! ألا نحذو حذو المستشرقين ، وعلماء اللغات والتاريخ والآداب لا لنكون مستغربين ، أو نحشره فى ثقافات الغربيين ، بل حفدة بررة ، لبعث ماضينا الخالد ، ونشر تراثنا الماجد !

فالمستقبل مازال يهيب بنا فى مثل جلجلة الرعد

(أيها القوام وبكم هبوا) !

العـــرب

درج المؤرخون القُدامى على تقسيم العرب فى الجاهلية إلى ثلاثة أقسام: البائدة ، والعاربة ، والمستعربة ؛ وقد استحسنت تقسيمهم قسمين : (العرب العاربة) و (العرب المستعربة)

(١) وإذا قلنا (العرب العاربة) فالمراد بهم العرب الخُلَّص الذين لم يلقحوا بجنس معروف من القبائل السامية التى لقح بها العرب المستعربة .

ويدخل فى العرب العاربة (العرب البائدة) كثمود الذين أهلكوا بالطاغية ، وكعاد من أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وكطسم وجديس الذين تفانَوا ودقوا بينهم عطر « مَنْشَم »

ويؤيد استحسانى قول « حمزه الأصفهانى » (١) .

العرب العاربة عشرة : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وعماليق ، وعبيل ، ووبار وجاسم ، (وقحطان) . . .

وقد بحثت عن (عَبيل) و (جاسم) فوجدت فى الفيروزابادى : « بنو (عَبيل) بن عَوص بن إرم بن سام (كأمير) قبيلة من قبائل العرب العاربة انقرضوا » وفى مادة جسم : « وبنو جاسِم حى قديم » وليس كل هؤلاء من قحطان خلافا لزعم الألوسى (٢)

ومن هذه القبائل من كانوا يسكنون الجنوب مثل عاد ووبار وقحطان ، ومنهم سكان الشمال كثمود ـ بعد هجرتها من الجنوب ـ وطسم وجديس .

أما فلول العرب البائدة ـ وهم الذين نَجَوا مما حل بإخوانهم فقد اندمجوا فيمن بَقِىَ من قومهم من القبائل العربية الأخرى : قحطانية أو عدنانية ـ

---

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض ص ٨١

(٢) بلوغ الأرب ج ٣ : ٨٠

فليست من أبناء إسماعيل ، بل من العرب العاربة ، فشأنهم شأن أبناء حمير وسبأ ، لأن سقوط (الدولة السبئية) بانهيار سيل العرم فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وسقوط (الدولة الحميرية) بالاحتلال الحبشى كان فى أوائل القرن السادس الميلادى ، فلا يقتضى إمحاء الشعب السبئى أو الحميرى ، فإن الشعوب باقية لا تفنى ، إنما تندمج ، أو تسمى بأسماء جديدة ، أو تتشكل بأشكال مغايرة كما سبق ، لظروف حربية ، أو اجتماعية ، كما يتشكل الماء ثلجا ، أو سائلا ، أو بخارا على حسب اختلاف درجة الحرارة .

(٢) وإذا قلنا « العرب المستعربة » فالمراد بهم العرب الذى صاروا عربا بعد أن لم يكونوا ، إذ الهمزة والسين والتاء للصيرورة ، ويدخل فى العرب المستعربة « العرب الاسماعيليون » ثم « العرب العدنانيون » بعدهم ، وفيما يلى بيان موجز مرتب ترتيبا زمنيا بدول العرب من أقدم عصورهم فى الجاهلية :

دول العرب العاربة

امتازت العرب العاربة بدولها المتحضرة ، وحضارتها الخالدة ، وخلودها الذى كشفت عنه قصورهم ، ومدنهم ونقوشهم وخطوطهم وعلومهم وقوانينهم فى بلاد اليمن ، وفى العراق ، وفى مدائن صالح (الحجر) .

كما امتازت العرب المستعربة بآدابها ، وبداوتها وأيامها التى خلدتها آدابها. وقدم العرب العاربة أتاح لها فرصة الاستيلاء على أخصب البقاع العربية فى اليمن والعراق قبل المستعربة والتاريخ مابرح يحدثنا أن المدنيات القديمة إنما قامت على ضفاف الأنهار ، والسبب فى هذا خصب أرضها ، وقد انطبق ذلك على عرب بابل فى العراق

[مدنية اليمن]:

فكيف قامت مدنيات اليمن وليس بها أنهار؟ قامت لأن أرضها خصبة ،

لكثرة أمطارها ، ولما لم تسعفهم هذه الأمطار بما يريدون لتأسيس مدنيانهم الباذخة المرجوة، أثاروا هممهم لهندسيهم، فوجدوا أن للأمطار موسما محدودا فى السنة ، وفى أكثر أيامهم لا تجود أرضهم . فوق أن الأمطار فى موسمها يذهب أكثرها بددا فى جوف رمالها ، أو تتجمع فتكون سيولا تهدد مدنهم وقراهم ومحافدهم ومزارعهم، فاستعانوا بالسدود لخزن هذه السيول ، كما تفعل الأمم المتحضرة الآن بإقامة الخزانات على الأنهار ، وقد كانت هذه السيول بمثابة الأنهار الطبيعية فى غير اليمن : يستفيدون من مياهها فى أى وقت، فوق وقايتهم من هجماتها، ولما لمسوه من مزايا السدود أكثروا منها حتى جاوزت المئات .

يدل على ذلك ما سجله الهمدانى أنه كان فى « يحصب » وحدها من مخاليف اليمن ثمانون سدا أخذا من قول شاعرهم « أبى العباس السلمى » :

وفى البقعة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلا[1]

أشهر السدود :

ومن كبار السدود « سد عاد » و « سد لحج » و « سد شحر » و « سد ذى رُعين » .. ولكن أشهرها وأكبرها « سد مأرب » .

(سد مأرب) :

وعند ابن الحائك الهمدانى أنه على حَنَشوا المأزمين » .

وعند الباحثين حديثا أنه فى الجنوب الغربى من مأرب حاضرة سبأ ، وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٨٠٠ ذراع ، وارتفاعه بضعة عشر ذراعا ، وعرضه نحو ١٥٠ ذراعا ، وطرفه الشرقى على الجبل الشرقى ، وطرفه الغربى على الجبل الغربى ؛ وهذان الجبلان متفرعان من جبال السراة فى الجنوب الغربى من السد ، وكلما بعدا عن السد انفرجا ، فاتسع الوادى بين السد ومدينة مأرب، وبلغ ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل[2]

---

(١) الاكليل ج ٨ ص ١٣٥ .

(٢) نقلا كتاب العرب قبل الاسلام ص 127 O. M. O. (1397)

مربع كانت جرداء قاحلة ، فأصبحت بعد إنشاء السد بساتين على سفوح الجبلين ، وبساتين هذين السفحين هى المرادة بقوله تعالى :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن (يمين) و (شمال) . . . »

موارد المياه :

وتتجمع المياه فى الخزان خلف السد فى (وادى أذنه) ، وهـذا الوادى ملتقى عدة وديان خلفه أصغرمنه ، منحدرة من جبال السراة الممتدة مئات الأميال من الجنوب الغربى ؛ فاذا تساقطت الأمطار على جبال السراة انحدرت فى هذه الوديان ، وساحت إلى الشمال الشرقى ، وحينئذ تتجمع كلها خلف السد فى واد واحد هو (وادى أذنه) كما تقدم .

تاريخ سد مأرب :

دلت النقوش التى عثر عليها فى القرن الماضى على أن « سمهعلى ينوف » بنى هذا السد ، وتاريخ هذا الملك يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، أى بعد قيام دولة سبأ بأكثر من قرن . أما تهدمه فلم يحدث مرة واحدة ، بل حدث عدة مرات ، وفى كل منها كان يرمم ، ولكن أكبرها هو الذى حدث فى القرن الثانى قبل الميلاد ، فهو الذى بسببه عمت الكارثة بسيل العَرِم ، وزوال مملكة سبأ . وعند العلامة « غلازر » أن ذلك كان سنة ١١٥ ق . م ، أما منطق نظريتى فقد كان قبل الميلاد بنحو قرن ، وسيأتى إثباتى ذلك عند برهنتى على عمر الجيل النسبى .

أما بعد فهذا أشهر دول العرب العاربة مرتبة ترتيبا زمنيا من أقدمها :

١ - [الدولة البابلية الأولى]

أقدم الدول العربية التى رجح كثير من المؤرخين ، وعلماء الآثار ، أنها عربية هى هذه الدولة واشتهرت بدولة « حمورابى » سادس ملوكها وأشهرهم وكانت حاضرتها « بابل » فى العراق وامتد حكمها من ٢٤٦٠ — ٢٠٨١ ق.م (٣٠٨٢ — ٢٧٠٣ ق . م)

٢ - [دولة العمالقة] :

كان العرب يطلقون عليهم « العمالقة » ، والفراعنة يسمونهم « الشاسو » واليونان يلقبونهم بالهكسوس . وكان مقرها أولا فى « شبه جزيرة سينا » وما حولها، فما زالوا يتحرشون بالمصريين حتى احتلوا مصر بعد بضعة قرون حوالى الزمن الذى تملك فيه العرب بابل .

وامتد حكمهم من ٢٢١٤ — ١٧٠٣ ق : م (٢٨٣٦ . ٢٣٢٥ ق . ه)

وقل أن نجد بين الآثار المصرية ما يدل عليهم مع أنهم احتلوا مصر عدة قرون، وما ذلك إلا لأن المصريين بعد إجلائهم هؤلاء المحتلين كرهوا أن يتركوا من آثارهم ما يدل عليهم بغضا للاحتلال الأجنبى ، فمحوا كل نقش لهم يدل عليهم ؛ تعفية لآثارهم

٣ - [الأنباط] :

قامت هذه الدولة فى الجنوب الشرقى من فلسطين أول أمرها ، واتخذت « بطرا » قاعدة لها بين « تدمر » و « غزة » . وعن عجب أن مؤرخى العرب أغفلوا تاريخها ، وخلطوا بين أنباط الشام وأنباط العراق ، ونقل « حمزة الأصفهانى » أن « الأرمانيين » هم نبط الشام و « الأدوانيين » هم نبط العراق.

وحدثنا « ديودوروس الصقلى » المتوفى فى القرن الأول من الميلاد أنهم خلفوا « الأدوميين » فى بلادهم فى القرن الخامس قبله ، وإن كان الباحثون لم يهتدوا إلى أقدم ملوكهم قبل « الحارث الأول » الذى ولى العرش ١٦٩ ق م وآخر ملوكهم « مالك الثالث » ، وفى أيامه سقطت بلاده فى قبضة الرومان سنة ١٠٦ م ؛ أما (ثروتهم) فكانت من تجارتهم فى الروائح العطرية ، والمر والقار ، وكانت مصر أكثر الدول التى يصدرونه إليها لاستعماله فى عمليات التحنيط .

(أما لغتهم) فكانت العربية ؛ تبعا لجنسهم عند كثير من الباحثين، ونقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير العرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة فى أيامهم .

٤ - [الدولة المَعينية] لم يكن لمؤرخي العرب علم بهذه الدولة، وإن كان « الهمداني » في إكليله أخبرنا أن من مخاوف اليمن — قصورها — « براقش » و « مَعين » .

وفيها قال مالك بن حريم :

ونحمي «الجوف» مادامت «مَعين» بأسفله مقابلةَ «عرْدا»

وقال علقمة :

وحلوا من « مَعين » حين حلوا لعزهم لدى الفج العميق

وهذه الدولة أقدم من « قحطان » بدليلين :

(الأول) (دليل النسب) وذلك أن من متوسط عدد الأجيال عصر النبوة إلى قحطان ٣١ جيلا فمدتها ٣١ × ٤٠ = ١٢٤٠ سنة وهي توافق قبل الميلاد سنة ٦١٨ سنة أي أكثر من ستة قرون .

(الثاني) (دليل النقوش) : وقد أخبرنا أن هذه الدولة أسست ملكها سنة ٢١٠٠ ق م فهذا التاريخ قبل زمن قحطان بنحو خمسة عشر قرنا . وقبل دولة سبأ بنحو ١٣ قرنا بعد الموازنة بينهما وكانت حاضرتها القديمة « قرنا » والحديثة « مَعين » ومقرها القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب في شرقي صنعاء ؛ ومؤسسوها من فلول الحموريين النازحين من العراق ؛ وقد امتد نفوذهم في إبان ذروة مجدهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وخليج العجم وبحر العرب أي شبه الجزيرة كلها .

٥- [دولة سبأ] :

وأشهر الدول القديمة دولة سبأ هذه، ومما وجه الأنظار إليها قوله تعالى عبرة بها: «لقد كانَ لِسَبَأ في مَسْكنِهم آية .. » فوق تسمية سورة من القرآن بها ، وكان مقرها اليمن ، وحاضرتها (سبأ وهي مأرب) وامتد حكمها من (٨٥٠ — ١١٥ ق م) (١٤٧٢ — ٧٣٧ ق هـ) .

وخبرنا « استرابون » رحالة اليونان بكثير من أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبقى أمر ملوكها سرا فى ضمير الغيب حتى باحت لنا نقوشهم بكثير من ملوكهم بين (مكرب . أمير) و (ملك) .

(رأى الأنساب فى تاريخهم) :

دلت شجرة أنساب القحطانيين على أن من عصر النبوة إلى سبأ الأكبر ابن يشجب ٢٨ جيلا مدتها ٢٨ × ٤٠ = ١١٢٠ سنة ، وهذه توافق سنة ٥٩٨ ق م أى نحو ستة قرون . وقد دلت الآثار على أن حكم هذه الدولة بدأ فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

فدليل الآثار أقدم من دليل الأنساب بنحو ٢٠٠ سنة فكيف التوفيق بينهما ؟

لا سبيل إلى ذلك إلا إذا رجحنا دليل الآثار على دليل الأنساب ، وهذه المدة التى نقصها الرواة أو بتروها من هذه السلسلة تعادل خمسة أجيال ، ومن الجائز جدا أن تسقط من سلسلة القحطانيين ، فلا عجب أن لا نجد أمامنا من ٣٦ جيلا إلا ٣١ جيلا فعذر الرواة واضح ، لأن طول المدة من العصر الإسلامى إلى سبأ نحو خمسة عشر قرنا ، أفلو مهم وقد اجتهدوا بقدر ماوسعهم الاجتهاد ، فقاربوا الحقيقة بأكثر من ٨٣ ٪ ! ! فى هذا الزمن المديد ! ! دون أن يعتمدوا فى هذا على سجل رسمى أو كتاب مسطور !! بل كان كل اعتمادهم على الذاكرة !! بعد الحافظة ! !

وبناء عليه نرى أن دليل النقوش أرجح ، ودليل الأنساب هنا لم يجاوز الحقيقة إلا قليلا .

[سقوط هذه الدولة]

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن سبب انهيارها انفجار (سد مأرب) وتدفق سيل العرم ، وهو عندى معقول ؛ اعتمادا على نظريتى التى ستأتى البرهنة عليها .

(بيني وبين جورجي زيدان)

ولا يقال ما قاله المرحوم جورجي زيدان : « إنه لبعيد أن تعجز الدولة في إبان سطوتها عن اتقاء مثل هذا السيل وعن ترميمه » ! . إذ من أنبأه وغيره أن ذلك الحادث كان إبان سطوة هذه الدولة !

إن الدليل على أنهم كانوا قد بلغوا نهاية الضعف أن تلك المأساة لم يجدوا ما يدفعون به شرها إلا الهجرة التي مزقتهم كل ممزق ، فكشف السيل عن ضعفهم ، ونثر كنانتهم ؛ فحل بعضهم في الحجاز كقبيلة خزاعة ، وبعضهم في العراق كأجداد المناذرة ، وبعض ثالث في الشام فتأسست منهم دولة الغساسنة ، ويؤيد استنباطي تلك الهجرة التي أجمعت عليها كتب التاريخ ، وأن الدول غالبا لا تسقط إبان قوتها ، بل بعد أن تكون قد بلغت من الشيخوخة نهايتها ولا يقال ما قاله الشاعر :

من لم يمت غبطة يمت هرما(١)

لأن هذا ينطبق على الأفراد لا على الدول . وهذا إذا راعينا القاعدة العامة لانهيار الدول ذوات القوة المطلقة، أما إذا راعينا القوة النسبية ، فإننا نجد أن الدولة قد تكون قوية في ذاتها ولكنها ضعيفة إذا قيست بدولة أخرى ، ولنا في « ألمانيا الهتلرية » مقنع .

ودولة سبأ لم تكن عندها « القوة النسبية » التي تضمن لها الحياة كدولة ، فهي عن القوة المطلقة أبعد ، لذا عجزت عن اتقاء السيل ، وترميم السد إلا بالرحيل شأن الضعيف الهزيل المغلوب على أمره .

٦ ـ وبعدها [دولة ثمود] وقد قامت بالحجر شمال الحجاز ، وكان قيامها في (القرن الثامن قبل الميلاد) (والرابع عشر ق هـ) و(عاد وثمود) ليسوا عدنانيين ، لأنهم أقدم من عدنان ، وقد كان جيله قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون فهم أقدم بأكثر من خمسة قرون ، فاينسب من الشعر العربي العدناني على لسانهم مدسوس عليهم ، ومما يدل على أنهم من العرب العاربة أن كتابتها بالحرف المسند الذي

(١) في القاموس المحيط : عبط الذبيحة نحرها من غير علة وهي سمينة فتية والمراد هنا من لم يمت شابا قويا مات ضعيفا عجوزا

كان لأهل اليمن القدماء ، ويظن « غلازر » أن « لحيان » من بقايا ثمود (١)

٧ - ثم [دولة حمير] وقد قامت على أنقاض دولة سبأ سنة ١١٥ ق م (٧٣٧ ق هـ) واستمرت حتى جاءها النذير. ثم الانهيار سنة ٥٢٥ م (٩٧ ق هـ) باحتلال الحبشة بلاد اليمن وبنحو ٤٦ سنة قبل الميلاد المحمدى وكانت تقيم دولة حمير فى أيام الدولة السبئية فى « ريدان » وهى « ظفار » قرب صنعاء بأذوائها وأقيالها ، ثم اتسع ملكهم باحتلالهم مملكة سبأ بعد سيل العرم . فصار الملك منهم يلقب (ملك سبأ وريدان) وذلك فى (ملوك الطبقة الأولى)

أما (ملوك الطبقة الثانية) بعدها، وهم التبابعة فقد صار الملك منهم يلقب (بملك سبأ وريدان وحضرموت) وأول هؤلاء (شمر يرعش) من ٢٧٥-٣٠٠ م وكان من معاصرى (امرىء القيس بن عمرو) صاحب (نقش النمارة) وهو الذى حكم اللخميين فى الحيرة من ٣٨٨ — ٣٢٨ م .

وقد سقطت الطبقة الثانية فى عهد الملك (ذى نواس) الحميرى اليهودى صاحب الأخدود : النار ذات الوقود .

(٨) وإذا كان « قصى » أسس لقريش مملكة فى الحجاز، فصارت فى حينها أكبر الممالك التجارية فى بلاد العرب فان (القتبانيين) و(الجبسيين) سبقوه بأربعة قرون ؛ إذ قامتا فى اليمن حوالى الميلاد المسيحى (أوائل القرن السابع قبل الهجرة) فقبضتا على مقاليد التجارة الداخلية واحتكرتا صادرات إفريقية إلى جزيرة العرب ، وتألق نجمهما فى التجارة وحدها ، ولم تشغلا أنفسهما بالحروب ،ودلالة هذا أن سكانهما كانوا من القلة فى درجة لا تسمح بتكوين جيش محترم للهجوم،لذا لم يعترف بهما مؤرخو العرب ، ولم يذكروا عنهما إلا صبابات من الأخبار لا تشفى من علة ، ولا تنقع من غلة .

ويقول «الهمدانى» (٢) فى تبأ « تبأ مدينة المعافر وهى لآل الكرندى

---

(١) Glaser, Geo 124, 230

(٢) صفه جزيرة العرب ص ٤٥

الطبقة الأولى (ملوك سبأ وريدان من ١١٥ ق.م — ٢٧٥ ب.م)		الطبقة الثانية (ملوك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها ٢٧٥ — ٥٢٥ م)	
الملك	مدة الحكم	الملك	مدة الحكم
١- علهان نهفان	١١٥ — ٨٠ ق.م	١ -شمر يرعش (بن يامر)	٢٧٥ - ٣٠٠ م
٢- شعر أوتار بن علهان نهفان	٨٠ — ٥٠ »	٢ -ذوالقرنين: إفريقس: الصعب	٣٠٠ - ٣٢٠ »
٣- يريم أيمن » » »		٣ -عمرو زوح بلقيس	٣٢٠ - ٣٣٠ »
٤- فرع ينهب	٥٠ — ٣٥ »	٤ -بلقيس (الفارعة)	٣٣٠ - ٣٤٥ »
٥- اليشرح يخضب وابنه يزل بين	٣٥ — ١٥ »	٥ -الهدهاد أخوها	٣٤٥ - ٣٧٤ »
٦- » يحمل بن » »	١٥ — ٥ ب.م	٦ -ملكيكرب يوهنعم (ينعم)	٣٧٤ - ٣٨٥ »
٧- وتار	٥ — ٢٥ »	٨ -أبوكرب أسعد بن ملكيكرب	٣٥٥ - ٤٢٠ »
٨- كرب ايل وتار يوهنعم	٢٥ — ٧٠ »	٨ -حسان بن أسعد	٤٢٠ - ٤٢٥ »
٩- ذمر على ذرح بن كرب ايل	٧٠ — ٩٥ »	٩ -شرحبيل يعفر بن أسعد	٤٢٥ - ٤٥٥ »
١٠-هلك أمير	٩٥ — ١٢٠ »	١٠- » ينوف	٤٥٥ - ٤٧٠ -
١١-ذمر على بيين	١٢٠ — ١٤٥ »	١١-معديكرب ينعم وابنه لحيعة	٤٧٠ - ٤٩٥ »
١٢-وهب ايل يحز	١٤٥ - ١٧٠ »	١٢-مرثد اللات ينوف	٤٩٥ - ٥١٥ »
[ملوك مجهولون]	١٧٠ — ٥٢٠ »	١٤-ذونواس (ويسميه اليونان ديميانوس)	٥١٥ - ٥٢٥ »
ياسر أنعم	٢٥٠ — ٢٧٥ »	١٤-ذوجدن (لم يكن له حكم)	٥٢٥ - ٥٣٠ »

(من العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ١٢٢ ، ١٢٣)

نقوشهم .

ويرى « غلازر الألماني » أن الجبينة طائفة من المعينيين ، استنباطا من

وفيه أيضا « قتبان » (٣) بالكسر موضع بعدن .

من بني ثمامة آل حمير الأصغر » وفي القاموس المحيط : جبأ كجعل بلدة باليمن ،

obeikandl.com

وهذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه لكنه أقرب إلى الصواب لأنه مبنى على التحقيق ومقابلة ما كتبه (العرب واليونان) وما نقش (على الآثار)

ومن العجيب أن فيه تناقضا مع ماذكره جورجى زيدان فى مواطن أخرى ومن ذلك :

أنه جعل الهدهاد ملك حمير حكم هنا من ٣٤٥-٣٧٤ م وفى صفحة ١٢٦ :

« ومن واقف الحميريين من ملوك الحبشة ملك اسمه « العلى اسكندى » حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٠ م وخلفه « العلى عميدة » - حكم من ٣٤٠ - ٣٤٨ م مع أنه فى الجدول هنا جعل حكم الهدهاد من ٣٤٥ فكيف يحاربه ٣٤٠ ولم يكن قد تملك بصريح عبارته فى الجدول ! وبعد صفحتين جعله ملكا فى تلك السنة !

دول اليمن الصغرى

ومن الملوك الصغار فى اليمن « الأذواء » و « الأقيال »

(١) فالأذواء جمع ، مفرده (ذو) بمعنى صاحب ويضاف عادة إلى الإمارة التى يحكمها فيقال ذو غمدان وذو يزن وهم نوعان : (الأذواء المثامنة) أى الثمانية ، والأذواء الآخرون ، والأولون ذكرهم صاحب القصيدة الحميرية فى ثلاثة أبيات منها وهى :

أين (المثامنة) الملوك وملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح !
(ذو ثعلبان) و(ذو خليل) ثم (ذو . . . شجر) و(ذو جدن) و(ذو صرواح)!
أو (ذو مقار) بعد أو (ذو جرقز) ولقد محا (ذا عثكلان) ماح !

(٢) والأقيال جمع ، مفرده قيل ، كما يطلق عليهم المقاول مفرده مقول كمنبر :

وهؤلاء أكبر من الأذواء نفوذا وأوسع ملكا ، وإن كانوا أقل من

التبابعة، فهم بترتيب العظمة : التبابعة ، ثم الملوك ، ثم الأقيال أو المقاول ، ثم الأذواء . والنوعان الأخيران كانا مستقلين استقلالا داخليا ، لذلك كان يستوى لديهم أحكم اليمن أهلها من السبئيين والحميريين ، أم من الأحباش ، والمسلمين .

والمتصفح لتاريخ ابن خلدون، يجد أنهم كانوا أحرارا فى شئونهم الداخلية إلى ما بعد الإسلام بأكثر من قرن(١)

ومن الدول العربية التى طواها التاريخ :

٩ - دولة تدمر : وإذا ذكرت «تدمر» ذكر من كواكبها اللامعة «الزباء» عند العرب ، أو « زينوبيا » عند الرومان .

كان مقرها فى الشمال الغربى لبادية السماوة، بين الشام والعراق ، ولموقعها طمع فيها الرومان ، فحاولوا فتحها فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، فخابوا ، إلى أن كانت سنة ١٣٠ م ، فاستسلمت لحمايتهم ، ثم اندمجت فى مستعمراتهم .

« الزباء : زينوبيا »

وقد تضاربت آراء الباحثين فى زينوبيا ملكة تدمر، أهى الزباء التى اشتهر أمرها مع جذيمة الأبرش الملقب كذلك بالوضاح ، أم غيرها ؟

ومن عجب أن أى باحث منهم لا ينكر أن أهل تدمر ، عرب أصلهم من البادية ، من بقايا العمالقة ، وأنهم مقسمون إلى أفخاذ ، شأن العرب ، وأن زمن تلك الشخصية المزدوجة واحد ، ومجال عظمتها واحد، وأن زينوبيا من أشرف بيت فيها، فهل إذا صاروا ملوكا، واتخذوا لغة الشام - وهى إذ ذاك الآرامية - للمخابرات الرسمية والتدوين والنقوش ، أو نالت من إمبراطور الرومان لقب « سبتميا »، وهو من أرقى ألقاب التشريف عندهم ، أو خالفت العرب فى بعض عاداتهم وتقاليدهم، كمعرفتها الآرامية والنبطية وبعض اللاتينية واليونانية فوق العربية ، وكاعتيادها ركوب الخيل فى أسفارها دون الهوادج

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢

إلا نادرا ، وكجمعها فى مجلسها كبار الشخصيات من الأمم المختلفة ، وكتحية القادمين عليها بالسجود لها جريا على عادة الأكاسرة، وكاستعراضها جنودها فى الميادين، وفى ميدان قصرها، فوق صهوة جوادها، متشحة بملابس الحرب ، متوجة بالخوذة الرومانية ، مجردة إحدى ذراعيها شأن قدماء اليونان ، أو تشبهت بملوك اليونان والرومان والفراعنة فى تخليد ذكرها بتمثالين : أحدهما لها، والآخر لزوجها أذينة، أنذ افعلت هذا وأشباهه متأثرة بأخواتها(١) الرومانيين ، مقتبسة من كل جديد ، يجب تجريدها من جنسيتها العربية !

لم يعد هناك شك فى أن زينوبيا هى الزباء ، ويدل على هذا مانقش على تمثالها فى حاضرتها (تدمُر)، فقد صرح فى هذا النقش باسمها التدمرى الصريح، (زنب) — بفتح الزاى ، والألف المقصورة ، وعلى توالى الزمن جعل العرب ألفها المقصورة ممدودة ،فقالوا (زباء) ، وقد يتركونها مقصورة .

ولتقادم العهد عليها بلغ نفوذها أقصاه سنة ٢٧١م، أى قبل الهجرة بنحو ٢٦١سنة قمرية ـ أخذ الرواة ينسجون حولها كثيرا من الأقاصيص الخيالية، ومن وهمهم أنهم جعلوا اسمها صفة، فنقل ابن الكلبى أنها لقبت بالزباء لطول شعرها إذ كانت إذا مشت تدلى وراءها ، وإذا نشرته جللها .

إن حقائق التاريخ لأكرم من أن يلهو بها العابثون ، أو يسخرها لإربته الحاسدون .

فالحق أن الزباء هى زينوبيا ملكة تدمر، صاحبة الشهرة التاريخية المدوية فى الشرق والغرب، عند الرومان والفرس والعرب، للأدلة الستة التى قدمتها .

أما الناحية الأدبية شعرا ونثرا وأمثالا بينها وبين « جذيمة الأبرش، أو « قصير » أو « عمرو بن عدى اللخمى » فستأتى فى النماذج الأدبية للهجة العرب قبل قريش.

١٠ — ورثة المنازرة : بعد انهيار سد مأرب ، وانفجار سيل العرم هام السبئيون على وجوههم مشردين فى بلاد العرب شمالا ، فذهب

(١) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص ٢٤٨

فريق إلى العراق ، وثان إلى الحجاز ، وثالث إلى الشام ، فأما فريق العراق فمكث هناك نحو ثلاثة قرون، حتى واتت الفرصة، واستأنفوا ملكهم هناك، فحملت (تنوخ) راية الاستقلال فى أيام ملوك الطوائف من الفرس (١) وأسسوا دولة آل تنوخ ، وتسمى كذلك (دولة آل نصر) أو (آل لخم) أو (آل عمرو بن عدى) أو (ملوك الحيرة) أو (المناذرة) وذلك سنة ١٩٠ م (٤٣٢ ق هـ) وأولهم (مالك بن فهم الأزدى) وآخرهم (المنذر بن النعمان المغرور) وهو الذى أعاد ملك اللخميين إليهم ، وبقى الملك فيهم إلى أن فتح (الحيرة خالد بن الوليد سنة ٦٣٢ م (١٢ هـ) وأشهر ملوكهم « جذيمة الوضاح » الذى قتلته الزباء .

و « امرؤ القيس بن النعمان » صاحب الغريّين ويوم البؤس والنعمان ، و« النعمان بن المنذر » أبو قابوس حاشد وفود العرب إلى كسرى برويز للمفاخرة. وكان نصيب هذه الدولة فى تشجيع الآداب العربية أوفى من نصيب أية دولة عربية فى الجاهلية ، ومع هذا لم يكن استقلالهم تاما بل كانوا فى ظل حماية الفرس .

---

(١) حكم ملوك الطوائف بلاد الفرس من بعد موت الاسكندر المقدونى ٣٢٣ ق . م ، إلى ما بعد التاريخ المسيحى بنحو ٢٠٠ سنة وهى نحو خمسة قرون وقد انتهت بقيام الدولة الساسانية سنة ٢١٦ م .

دولة اللخميين أو المناذرة أو النصريين				ملوك الدولة الساسانية فى فارس			
العدد	اسم الملك	سنة الحكم	مدته	الملك	سنة الحكم	المدة
١	عمرو بن عدى بن نصر اللخمى	٢٦٨م	٢٠	أردشير	٢١٦	١٥
٢	امرؤ القيس بن عمرو : البدء	٢٨٨م	٤٠	سابور الأول بن أردشير	٢٤١	٣١
٣	عمرو بن امرىء القيس	٣٢٨م	٤٩	بهرام الأول	٢٧٢	١
٤	« أوس بن قلام »	٣٧٧م	٥	« الثانى بن بهرام	٢٧٣	٣
٥	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	٣٨٢م	٢١	« الثالث بن بهرام بن بهرام	٢٧٦	١٧
٦	النعمان الأعور بن امرىء القيس	٤٠٣م	٢٨	نرسى بن بهرام	٢٩٣	٩
٧	المنذر بن النعمان الأعور	٤٣١م	٤٢	هرمز الثانى بن نرسى	٣٠٢	٧
٨	الأسود بن المنذر	٤٧٣	٢٠	سابور « ذو الأكتاف	٣٠٩	٧٠
٩	المنذر الثانى بن المنذر	٤٩٣	٧	أردشير « بن سابور	٣٧٩	٦
١٠	النعمان بن الأسود	٥٠٠	٤	سابور الثالث بن «	٣٨٣	٥
١١	(علقمة أبو يعفر)	٥٠٤	٣	بهرام الرابع « «	٣٨٨	١١
١٢	امرؤ القيس ذو القرنين بن النعمان	٥٠٧	٧	يزدجرد الاول بن بهرام الاثيم	٣٩٩	٢١
١٣	المنذر ٣ بن امرىء القيس بن ماء السما . (والحارث بن عمرو الكندى) .	٥١٤	٤٩	بهرام جور الخامس بن يزدجرد	٤٢٠	١٨
١٤				يزدجرد ٢ بن بهرام جور	٤٣٨	١٩
١٥	عمرو بن هند مضرط الحجارة بن المنذر	٥٦٣	١٦	هرمز ٣ فيروز بن يزدجرد	٤٥٧	٢٧
١٦	قابوس (بن هند) بن المنذر	٥٧٨	٤	بلاش بن فيروز	٤٨٤	٤
١٧	(فيشهرت أو زيد)	٥٨١	١	قباذ الأول بن فيروز	٤٨٨	٤٣
١٨	المنذر ٤ بن المنذر بن ماء السما .	٥٨٢	٣	كسرى أنوشروان بن قباذ	٥٣١	٤٧
١٩	النعمان بن المنذر أو قابوس	٥٨٥	٢٨	هرمز ٤ بن كسرى أنوشروان	٥٧٩	١١
٢٠	(إياس بن قبيصة الطائى)	٦١٣	٥	أبروز بن هرمز	٥٩٠	٣٨
٢١	(زاديه الفارسى) بن ماهان	٦١٨	١١	بن شيرويه بن كسرى إلى يزدجرد ٣	٦٢٨	٤
٢٢	المنذر المغرور بن النعمان	٦٢٨	٤			
			٣٦٤			

ويلاحظ أن أكثر ملوك الحيرة من نسل (عمرو بن عدى) - الاستة - هم من جعلت أسماؤهم بين أقواس ، ومن ملوكهم :

وكان أهل الشام وحوران ومن يليهما يؤرخون بتقويم بُصرى عاصمة حوران، وقد بدأ بدخولها فى حوزة الروم ١٠٥ م. ومما نقش فى ذلك الحجر أن عمرا توفى سنة ٢٢٣ أى بصروية ، وتوافق سنة ٣٢٨ م .

فمكان تقويم بصرى بدأ سنة ٧٣ ق م أى بعد سيل العرم ببضع سنوات على نظريتى، وبنحو ٤٢ سنة على رأى غلازر الألمانى .

١١ — دولة الغساسنة : وهذه الدولة أيضا من فلول عرب اليمن، الذين شتت شملهم سيل العرم ، ولئن حل المناذرة فى العراق لقد حل الغسانيون فى الشام ، فوق أنهم لم يكونوا مثلهم فى القوة أو فى المكانة أو فى تشجيع الآداب العربية ، ولم يكن تاريخهم واضحا وضوح التاريخ اللخمى ، ولا ملوكهم معروفين معرفة ملوك الأنبار ، ولا ترتيب ملوكهم، وسنوات حكمهم بالدقة التى اشتهر بها ملوك آل نصر ، وإن كانوا مثلهم فى تبعيتهم لدولة أجنبية .

وأقدم ما وصلنا عن تسلسل ملوك الغساسنة، مانبأنا به حمزة الأصفهانى[1] أن ملوكهم ٣٢ ملكا ، وحكمهم نحو ٦٢٦ سنة ، ولهذا سأتوسع فى تحقيق أيامهم ، وعدد ملوكهم ، وبدء حكمهم ، اعتمادا على عمر الجيل الملكى الذى ابتكرته

رأيى :

وعندى أن ملوك الغساسنة نحو ٣٢ ملكا موافقة لحمزة ، ولكن حكمهم نحو ٤٨٠ سنة، وهو قريب من تحديد أبى الفداء « ٤٠٠ سنة »[2] لا ٦٢٦ سنة؛ إذ أنهم بعد هجرتهم إلى الشام كانوا فى غاية من المذلة والحسرة ؛ للنكبة التى حلت بهم بسيل العرم ، وكان الضجاعمة وهم بنو عمهم وملوك الشام إذ ذاك

---

(١) تاريخ سنى ملوك الارض

(٢) ج ١ : ٧٦

على بينة من منزلتهم وماضيهم وطموحهم ، فلم يسمحوا لهم إلا بالعيش المحدود والحرية الجزئية فى تصرفاتهم .

عمر الجيل الملكى : وبرا بما وعدت به من قبل ، من تحقيق متوسط عمر الجيل الملكى ، وأنه أقل من متوسط عمر الجيل النسبى ، وتنظيما لمدة الفساسنة . اخترت عشرا من الدول ، وقسمت مدة حكمها على عدد ملوكها ، فنتج أن متوسط حكم كل ملك ، ١٥,٣ سنة . وهذه أسماؤها ، ومدة حكمها ، وعدد ملوكها ، والمتوسط النهائى لحكم كل ملك :

العدد	الدولة	مدة حكمها	ملوكها	ملاحظات	
				بدء حكمها	نهايته
١	الدولة الساسانية	٤٠٢	٢١	٢٢٦ م	٦٢٨ م
٢	دولة الروم	٢٤٦	١٤	٣٩٥	٦٤١ »
٣	المناذرة	٣٦٠	٢٢	٢٦٨	٦٢٨ »
٤	الدولة الأموية	٨٨	١٤	٦٦٢	٧٥٠ »
٥	» العباسية	٥١٥	٣٧	٧٤٤	١٢٥٨ »
٦	» الطولونية	٣٦	٥	٨٦٩	٩٠٥ »
٧	» الفاطمية	٣٠٢	١١	٩٧٠	١١٧٢ »
٨	دولة الأكراد	٧٨	١٠	١١٧٢ م	١٢٥٠ »
٩	» الأتراك	٢٧٨	١٠	١٢٨٨	١٥٦٦ »
١٠	من محمد على إلى اللقاء فؤاد	١٣٠	٩	١٨٠٦	١٩٣٦ »
		٢٢٣٤	١٥٣		

فمتوسط حكم كل واحد منهم = ٢٢٣٤ ÷ ١٥٣ = ١٥,٢ سنة

وقلت عن « الجيل الملكى » عن « عمر الجيل النسبى » ؛ لأن وراثة العرش عند الملوك ، ولدى تلك الأمم لم يكن لها نظام ثابت ، إذ ربما كانت لأكبر من فى الأسرة . وبعد مضى فترة يرى أحد الملوك أن يستأثر بولاية العهد لأكبر أبنائه هو ، بعد أن كان الحق من بعده لأخيه مثلا ، فتثور أحقاد المستحقين ، وأطماع الأقوياء منهم ، فتكثر الفتن والقلاقل ، فتتصف بأعمار هؤلاء عصفا ،

فيكثر عددهم وعمر دولتهم واحد ؛ ومن نتائج هذا أن ينكمش متوسط «عمر الجيل الملكى» ،وهذه القاعدة عندى لاغبار عليها ، بل هى أدق من المتوسط الذى اختاره البحاثة الألمانى « غلازر » لعمر الجيل فى دولة سبأ وغيرها ، وهو ٢٥ سنة . وبتطبيق نظريتى فى عمر الجيل الملكى على عدد ملوك الغساسنة وهو ٣٢ نجد مدتهم ٣٢ × ١٥٫٣ = نحو ٤٩٠ سنة منها ١٦ بعد هجرتهم ، فيكون حكمهم بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة . وهذه تعادل منتصف القرن الثانى الميلادى ، أى قبل المدة التى حددها بعض الباحثين بنحو ٧٠ سنة ،

حيرة جورجى زيدان :

لم يستطع «جورجى زيدان» أن يوفق بين متناقضات المؤرخين فى هذا .

ا ـ فتراه تارة يقرر أن الغسانيين لم ينزلوا الشام إلا بعد أواسط القرن[1] الثانى للميلاد وهو قريب من تقديرى .

ب ـ وتارة أخرى يقول : وقد يكون نزولهم فى القرن الثالث .

حـ ـ وطورا يجد ستة من أولاد « الحارث الثانى بن جبلة » تولوا الحكم ، فيأخذ من هذا التعدد أنهم كانوا متعاصرين ، إذ لا يعقل ـ عنده ـ أن يحكموا ـ الواحد بعد الآخر ـ بعد وفاة والدهم ، ومجموع مدات حكمهم ٩٤ سنة ! »

ردى :

١ ـ أثبت قبلا أن الغسانيين حكموا الشام فى أواسط القرن الثانى للميلاد فهم نزلوا قبل هذا التاريخ .

٢ ـ وليس من الضرورى أن يكون الأخوة الستة عند حكمهم متعاصرين ؛ إذ بناء على أن عمر الجيل الملكى نحو ١٥,٣ سنة ـ وهو ماحققته ـ يصبح فى الإمكان أن تكون مدة حكم هؤلاء الستة ٩٤ سنة ، فمتوسط حكم كل ١٥,٢ سنة ، فلا ضرورة للمعاصرة فى حكمهم .

وما ألجأه إلى افتراض المعاصرة إلا أنه سبق أن وافق « غلازر » فى أن

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٨٨ .

متوسط عمر الجيل ٢٥ سنة ؛ فيلزم على هـــذا أن تكون مدة حكمهم ٢٥ × ٦ = ١٥٠ سنة ، ولكن الواقع كان نحو ٩٤ سنة ، فلا سبيل عنده للتوفيق إلا دعوى المعاصرة. لتتكمش الـ ١٥٠ سنة إلى ٩٤ سنة، مطابقة للحقيقة! ومن عجب أنه لم يلجأ إلى دعوى المعاصرة إلا فى دولة الغساسنة دون جميع الدول ، وفى هذه ما يكفى لضعف دعواه ، وما يبطل زعم « غلازر » من استواء عمر الجيل النسبى ، وعمر الجيل الملكى .

١ – تواريخ اليونان تؤيد استنتاجى لعمر الجيل الملكى :

جاء فى هذه التواريخ أن الحارث الخامس بن جبلة أكبر ملوك غسان ، حكم من ٥٢٩ – ٥٦٩ م، وبالرجوع إلى ترتيب الحارث هذا ، نجده الخامس والعشرين من ملوكهم، و ٢٥ × ١٥,٢ = ٣٨٠ سنة، وبضمها إلى سنة ١٥٠م تتعين السنة التى بدأ فيها حكم الحارث ، وهى ٥٣٠ م، وهى قريبة من ٥١٩ م، التى سجلها مؤرخو اليونان ؛ فإذا عرفنا أنهم قرروا أن مدة حكمه ٤٠ سنة ، كان معناه أن وفاته كانت فى نحو ٥٦٥ م .

٢ – ويؤيد هذا من ناحية ثانية ، تسجيلهم أن ذلك الملك شخص إلى القسطنطينية سنة ٥٦٣ م لمفاوضة القيصر بشأن ابنه المنذر ، ليكون خلفا له فى إمارة القبائل التى يحكمها .

٣ – ويؤيده من ناحية ثالثة ، أن هذا الملك الغسانى هو الذى توسط لامرىء القيس الشاعر الكندى فى الذهاب إلى «قيصر» القسطنطينية، بعد أن أودع السموءل دروعه ، إذ قد تقدم أن وفاة « امرىء القيس » كانت حوالى ٥٥٩ م، أى فى عهد هذا الملك الغسانى .

٤ – دليل النسب يؤيد عمر الجيل الملكى :

وبتصفح ماسجله حمزة الأصفهانى أيضا [1] ، نجد أن جابى الضرائب لسليح – أصول الضجاعمة – هدد « جذع بن سنان » إن لم يدفع الضرائب ،

(١) تاريخ سنى ملوك الأرض ، ص ٧٦ .

فضربه بسيفه حتى بَرَدوهو يقول : « خذ من جذع ماأعطاك ».[1] فذهبت مثلا ، فاندلعت الحرب بين ، سليح » و « غسان » فأخرجت غسان سليحا . ومن هذا يتبين أن « جذعا » هو الذى مهد السبيل ،فتأسست «دولة الغساسنة» ، وبالبحث فى شجرة أنساب حمير نجد من « جذع » إلى « قحطان » ٢١ جيلا فمنه إلى الهجرة (١١ جيلا) مدتها ١١ × ٤٠ = ٤٤٠ قبل الهجرة (١٨٢ م) .

وقد سبق عند تحقيق متوسط عمر الجيل الملكى إثبات أن حكم الغساسنة بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة،فهل بين التاريخين إلا ٣٤ سنة،وهى أقل من جيل واحد من أجيال النسب !

(٣) مجمع الامثال الميدانى .

obeikandl.com

الملك	مدة الحكم	إلى	من
جفنة بن عمرو	٥ سنوات	٢٦٥	٢٢٠
عمرو بن جفنة	٥ »	٢٧٠	٢٦٥
ثعلبة بن عمرو	١٧ سنة	٢٨٧	٢٧٠
الحارث الأول بن ثعلبة	٢٠ »	٣٠٧	٢٨٧
جبلة بن الحارث الأول	١٠ سنوات	٣١٧	٣٠٧
الحارث الثانى بن جبلة (ابن مارية) ويلقب بالأعرج ، وخالته هند الهنود زوجة حجر آكل المرار من كندة	١٠ »	٣٢٧	٣١٧
عمرو	١٠ »	٣٨٠	٣٢٧
النعمان	٥٠ سنة	٤٣٠	٣٨٠
الحارث الثالث	٣٠ »	٤٦٠	٤٣٠
حجر	٢٦ »	٤٨٦	٤٦٠
الحارث الرابع	٢٦ »	٥١٢	٤٨٦
جبلة	١٧ »	٥٢٩	٥١٢
الحارث بن أبى شمر (الخامس)	٤٠ »	٥٦٩	٥٢٩
النعمان أبو كرب	٥٦ »	٦٢٥	٥٦٩
ثراحيل	٨ سنوات	٦٣٣	٦٢٥
جبلة	٣ »	٦٣٦	٦٣٣

المنذر الأكبر — المنذر الأصغر — النعمان — الأيهم — جبلة — عمرو

عمرو (لم يحكم) — جفنة الحرق — النعمان — النعمان

النعمان — عمرو — المنذر — حجر

عمرو — النعمان

الحارث الثالث

النعمان

حجر

الحارث الرابع

جبلة

الحارث بن أبى شمر (الخامس)

جبلة (لم يحكم) — النعمان أبو كرب

ثراحيل — الأيهم — المنذر — عمرو — الحارث (لم يحكم)

جبلة

أول من ذكرهم اليونان من أمراء غسان فى خدمة الروم ، أمير اسمه « جبلة » لم يذكروا والده ولا لقبه . وكل ماقالوه : إنه نصرهم سنة ٤٩٧ م ، فأخمد ثورة أقلقت راحتهم ، فنحوه رتبة فيلارك (Phylarch) أى أمير . أو رئيس قبيلة ، وجعلوه عاملا على بطرا .

ويرى « نولدكى » أن جبلة هذا هو والد (الحارث بن جبلة أكبر ملوك غسان) وأكثرهم ذكرا فى كتبهم من ٥٢٩ — ٥٦٩ م ، وأخبرنا صاحب « العرب قبل الإسلام » (١) أنه جاء فى تاريخ مالالاس أن الحارث المذكور حارب المنذر ملك الحيره سنة ٥٢٨ م — وهو المنذر بن ماء السماء ، الذى حكم من ٥١٤ — ٥٤٦ م « يوم عين أباغ » . ويذكر التاريخ أن الغسانيين اشتبكوا فى حرب مع المناذرة ، وانتهت بانتصار الحارث بن جبلة ، وقتل « المنذر بن ماء السماء » فى هذا اليوم الذى يسمى أيضا « يوم ذات الخيار » (٢) ٥٤٦ م وعقب « يوم الخيار : يوم عين أباغ » كان يوم حليمة ، وفيه حمل « المنذر الرابع بن المنذر المقتول » على الحارث الغسانى فى « مرج حليمة » فدس إليه « لبيد بن عمرو الغسانى » فقتله غيلة و « الحارث بن جبلة » هو الذى توسط لامرىء القيس الشاعر ، فاتصل بقيصر الروم ، بعد أن استودع السموءل دروعه .

٥ - ملوك الأنباط يؤيدون نظريتى :

وأدق الأدلة التاريخية التى تؤيد نظريتى فى تحديدى ٣ و١٥ سنة لمتوسط « عمر الجيل الملكى » تاريخ الأنباط .

(١) فقد حقق المؤرخون الغربيون أن أقدم من عثروا عليهم من ملوكهم « الحارث الأول » وقد بدأ حكمه سنة ١٦٩ ق م .

(٢) وأن ملوكهم الذين عثروا عليهم ١٨ ملكا .

(٣) وأن آخرهم « مالك الثالث » وقد حكم من ١٠١ — ١٠٦ م .

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٩٠ (٢) ص ١٩١

تحقيق :

١ — وبضرب عدد ملوكهم فى متوسط عمر الجيل الملكى الذى حققته ينتج ١٨ × ١٥٫٣ = ٢٧٥٫٤ سنة

ب — وبحصر الزمن الذى حكموا فيه قبل الميلاد وبعده ، ينتج أنه ١٦٩ + ١٠٦ = ٢٧٥ سنة .

إذن اتفق الدليل التاريخى لمدتهم ، مع دليل الجيل الملكى الذى ابتكرته.

(١) ولم يبق بعد الآن شك فى أن عمر الجيل الملكى أقل من الجيل النسبى.

(٢) وأن أدق تحديد لعمر الجيل الملكى هو ١٥٫٣

(٣) وأنه لم يسبقنى إلى هذا الكشف ، وهذا التحديد ، أحد من الباحثين قديما أو حديثا ، غربا أو شرقا ، فيما أعلم .

(٤) وأنه بعد سقوط الأنباط فى أيدى الرومان بمدة ، قامت دولة الضجاعمة بأمرهم ، محمية برعايتهم ، فى أول القرن الثانى الميلادى .

(٥) وأن « الغساسنة » قاموا فى « حوران » حوالى القرن الثانى الميلادى .

التنبيه : فالنتائج التى نستخلصها مما تقدم هى :

(١) أن دولة الغساسنة قامت فى الشام قبل الهجرة بنحو أربعة قرون ونصف (١٧٢ م) خلافا لحمزة الأصفهانى .

(٢) وعدد ملوكهم فى هذه المدة كانوا نحو ٣٢ ملكا وفاقا لحمزة الأصفهانى. وخلافا لجورجى زيدان و « نولدكى » .

(٣) وأن تحديد الغربيين لزمن قيام الغساسنة سنة ٢٢٠ م يدل على أن القاعدة التى اتخذوها لقياس الأزمان الماضية المجهولة ، تقرب إلى درجة المطابقة من قاعدة الأنساب التى اتخذتها دعامة من دعائم نظريتى التى ابتكرتها لتحديد الأزمان المجهولة فى جاهلية العرب .

(٤) وأن الباحثة الألمانى « إدوارد غلازر » بتحديده الجيل فى تواريخ

الملوك بخمس وعشرين [١] سنة ، جاوز الحقيقة بنحو الضعف . فلاهو وافق جيل الأنساب ، المتصلة ـ وهو الذى حددته بنحو ٤٠ سنة ـ ولاهو وافق الجيل الملكى الذى أثبت أنه ١٥,٣ سنة باستقرائ عشر دول فى ص ٢٢ السابقة ، من هذه الطبقة .

تشجيعهم الأدب :

لقد شاهدت حاضرتهم « بصرى » فى حوران [٢] كثيرا من مباهج أيامهم ورواقص لياليهم ، وطالما ازدانت مجالسهم فيها بالشعراء والأدباء ، لالأنهم عرب خلّص ، يهتزون للأدب اهتزاز الكريم للندى فحسب ، بل انسياقا وراء المنافسة الشديدة بينهم وبين المناذرة . فعاد هذا على الأدب والأدباء بأطيب الثمرات ، ولو أنها كانت دون ماعند « المناذرة » ، ولعل السبب أن هؤلاء كانوا أغنى وأقنى ، وأكثر اتصالا بالشعراء والخطباء والحكماء ، فوق أن التاريخ مازال يتلو علينا أنباء الوفود العربية ، التى طالما أمّت بلاط الأكاسرة من خطباء وشعراء ، واهتمام ملوك الفرس بالقبائل العربية النازلة فى مملكتهم ، أو المخيمة فى حدودهم ، كإياد وتغلب وشيبان وتنوخ وتميم وبنى لحيان ، إن هذا الاهتمام أوحى إليهم أن يؤسسوا ديوانا للترجمة من العربية وإليها ، وأن يسندوا مقاليده إلى « عدى بن زيد بن حماد العبادى التميمى » من أوائل من كتبوا بالعربية فى ديوان الأكاسرة حماة المناذرة [٣] ، وليس الأمر كذلك عند « الروم » حماة الغساسنة .

وأشهر مداح الغسانيين من الشعراء « علقمة الفحل التميمى » و « النابغة الذبيانى » ، فإنه بعد أن أوجس خيفة من « النعمان بن المنذر » فى الحيرة للوشاية المشهورة فى « قصة المتجردة » لجأ إلى منافسه « عمرو بن الحارث

---

(1) Glaser , Abb . 30

(٢) أنقاضها يطلق عليها الآن « إسكى شام » .

(٣) الاغانى جـ ٢ ص ١٠٢ .

الأصغر بن الحارث الأعرج الغسانى ، فرحبوا بقدومه، فكساهم من شعره حللا خلدت ذكرهم ، وأشهر ماقاله فيهم قصيدته فى مدح هذا الملك ومطلعها :

« كلينى لهم يا أميمة ناصب »

وبعد أن ظل مشمولا برعايتهم بضع سنوات، أحس مرض «النعمان» ، فطار لعيادته ، وأزجى فى ساحته أفانين استعطافه، وروائع معاذيره ، فاستل ذلك سخيمته ، فأحله ماكان له من منزلته السابقة، وأخذ البليل يغرد حتى فرق بينهما ريب الدهر .

وقبله « المرقش الأكبر » وأحدث من مدحهم حسان بن ثابت

١٢ — دولة كندة :

كانوا قبل تكوين دولتهم يسكنون « البحرين » و « المشقر » .

فنبت بهم ، فتحولوا عنها إلى « حضرموت باليمن، وأقاموا هناك فى بلدة « كندة » فاتصلوا بملوك حمير ، فاستخدموهم لبعض أعمالهم .

واتفق فى عهد « حسان بن تبع » ملك حمير — حكم من ٤٢٠ — ٤٢٥ م — أن « حجر بن عمرو » سيد كندة — وهو أخو حسان لأمه — انتظم فى حاشيته ، ولم يلبث أن زاد إكرامه له، فولاه قبائل « معد » كلها ، وسبب ذلك أن سفهاء بكر غلبوا على عقلائها ، وأكل قويهم ضعيفهم ، فقرر ذوو الحزم منهم أن يتصلوا بتبع اليمن : حسان ، لدفع الخطب ، فتم لهم ما أرادوا ، وولاه ملكا عليهم .

قدومه إلى نجد : فقدم « حجر » إلى نجد ونزل « بطن عاقل » ، وظل بها حتى مات، ودفن هناك، فتولى ابنه «عمرو بن حجر» بن عمرو آكل المرار . وفى أيامه فتح الأحباش اليمن ، فسقطت « دولة حمير » فضعف شأن « كندة » وقبيل وفاته تولى ممالكه أولاده بالترتيب الآتى :

(١) حجر بن عمرو آكل المرار توفى ٤٥٠ م
(٢) عمرو بن حجر بن عمرو « ٤٩٠ م
(٣) الحارث بن عمرو جد امرىء القيس « ٥٤٠ م
(٤) حجر بن الحارث أبو امرىء القيس « ٥٥٠ م
(٥) امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية « ٥٥٦ م

رأى اليعقوبى(١)

كانت بين « كندة » و « حضرموت » حروب أفنت عامتهم. وطالت بينهم حتى ضرستهم، ولما كثر القتل فى « كندة » لانت بعض اللين ، وكرهت محاربة « حضرموت » فدخل أهل اليمن التشتيت ، فانتشروا فى البلاد ، فملك كل قوم عظيمهم ، وهاجرت كندة إلى أرض معد فجاورتهم) ثم ملكوا عليهم أول ملك منهم يقال له :

	سنة
(١) (مُرْتِع) بن معاوية بن ثور فملك	٢٠
(٢) ثم (ثور بن مرتع) فلم يقم إلا قليلا ثم مات	..
(٣) فملك بعده (معاوية بن ثور)	..
(٤) ثم ملك (الحارث بن معاوية)	٤٠
(٥) ثم ملك (وهب بن الحارث)	٣٠
(٦) ثم ملك (حجر بن عمرو آكل المرار) وهو الذى حالف بين كندة وربيعة .	٢٣
(٧) ثم ملك (عمرو بن حجر ٢ ومن معه من ربيعة فلقيه (الحارث بن أبى شمر)	٤٠ وغزا الشام
(٨) ثم ملك (الحارث بن عمرو)	

فقتله على الحيرة ، وفرق ملكه على أولاده الأربعة: حجر وشرحبيل وسلمة ومعد يكرب .

(١) تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ١٧٦ (٢) ص ٤٢٧

(ا) فحجر ملكه على (أسد وكنانة) .

(ب) وشرحبيل ملكه على (غنم) و (طى) و(الرباب) والمفضليات ص ٤٢٧ جعلته على (بكر بن وائل)و(حنظله بن مالك) و (بنى زيد مناة بن تميم) و (بنى أسيّد) و (طوائف أخرى من بنى عمرو) واتفق مع اليعقوبى فى الرباب ، وهم من عشيرة تميم .

(ح) وسلمة على (تغلب و (النمر بن قاسط) وزاد فى المفضليات (سعد بن زيد مناة بن تميم) .

(ى) ومعديكرب على (قيس عيلان) .

وتفيض المفضليات هنا فتقول(١) : لما ملك [قباذ ملك فارس) كان ضعيفا فتوثبت (ربيعة) على [النعمان الأكبر أبى المنذر الأكبر ذى القرنين](٢)

فأخرجوه ، فخرج هاربا حتى مات (قباذ) وترك ابنه « المنذر » فيهم ، وكان أرجى ولده عنده ، فانطلقت « ربيعة » إلى « كندة — وكان الناس فى الزمن الأول يقولون : إن كندة من ربيعة .

فجاءوا « بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى » فملكوه على « بكر بن وائل » وحشدوا له ، وقاتلوا معه » فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق .

تخلى قباذ عن المنذر : وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش ، خشية أن يتسع الخرق على الراقع .

فلما رأى ذلك «المنذر» أرسل إلى الحارث الكندى »: «إنى فى غير قومى ،

---

(١) ص ٤٢٧ (٢) لقب بهذا لضفيرتين كانتا له .

وأنت أحق من ضمني، وأنا متحول إليك » فحوله إليه ، وزوجه ابنته «هند» عمة امرىء القيس الشاعر .

تنظيم ممالك كندة : فلم يلبث أن وجه عنايته إلى توطيد دعائم ملكه، مستعينا بأولاده — وقد تقدمت ممالكهم — .

قتل الحارث الكندي أبي الملوك : لم ينس اللخميون ثأرهم ، ولم يناموا عن ملكهم المسلوب ،وحقهم المغصوب ، فمازالوا في تفكير وتدبير حتى قتلوا (١) « الحارث » غريمهم الأول سنة ٥٤٠ م وأخذوا يشنونها حربا شعواء ضد أولاده ، ويقول اليعقوبي هنا (١) «وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال « المنذر » حتى صاروا له أكفاء » .

دهاء المنذر : فلما رأى أن السياسة أجدى من السيف تظاهر بمسالمتهم ،ملوحا لهم بالمصاهرة ، متودداً إليهم ، مرسلا بالهدايا إلى أخيهم سلمة (٢) ومن ناحية أخرى دس الى (شرحبيل) من أوغر صدره لتخصيص أخيه بالهدايا دونه ، وما برح يؤجج نيران التنافس بينهما حتى تفاقمت الفتن،وجمع كل واحد لأخيه الجموع ، وناديا بالجوائز لمن يأتي برأس الآخر!! ثم التقيا بين الكوفة والبصرة فكان يوما عبوسا قطريرا، تكشف غبارة عن مصرع شرحبيل في (يوم الكلاب الأول) (٣) وكانت هذه القذيفة الثانية للمنذر .

ندم سلمة : فلم يكد « سلمة » يعلم الدم المسفوح ، ومصرع شقيقه لأمور تافهة حتى أدرك عمق الهاوية التي حفرها المنذر ، ليتهاوى في قاعها الأخوة المخدوعون ، واحدا بعد واحد !! فقال في زفرة حارة :

إن جنبي عن الفراش لناب كتجافي الأسر فوق الظراب (٤)
من حديث نمى إلي ، فما يز . . . قأ دمعي ، ولا أسيغ شرابي !!

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ١ : ٣٧٨

(٢) سلمة أكبر من شرحبيل على رأي اليعقوبي جـ ١ ص ١٧٨ وشرحبيل هو الأكبر على رأي وديع الأعشى جـ ١ ص ٣٩١ (٣) الكلاب موضع بين البصرة والكوفة

(٤) البعير الأسر ما في سرته داء يمنعه أن يبرك . والظراب الحجارة الناتئة التي حدت أطرافها كالسهام .

مصرع حجر :

وكانت ثالثة الأثافى أنه لما اطمأن [المنذر] إلى السلاح الجديد : سلاح الدهاء . وإثارة الفتن فى خفاء وصمت ، بين الكنديين ، وقبائل العرب العدنانيين ، اتجه إلى (قبيلة بنى أسد) التى كانت تدين بالولاء ، هى وكنانة للملك حجر ابن عمرو الكندى ، لأنه وجدها تربة صالحة لإنماء بذوره ، فما زال حتى رفعت الستارة عن مصرع حجر سنة ٥٥٠ م ! !

مهانة كندة : ويحدثنا التاريخ فى إطناب ، عن المحاولات التى قام بها امرؤ القيس بن حجر ، أمير شعراء الجاهلية للثأر ، وفشلها ، والتجائه إلى ملك الروم بعـــد أن يئس من إقناع ملوك العرب وقبائلها قحطانية وعدنانية .

أما عمه (الملك معديكرب) فلم يذكر لنا هذا التاريخ أنه مد إليه يد النجدة ، بل تركه ينزل (بكرا) التى كان ملكها عمه : (شرحبيل) ثم تغلب التى كان ملكها عمه (سلمة)

الشك فى قحطانيتهم

لم أجد فيما مر بى من تاريخ العرب إلا إجماعا على أن المناذرة ، والغساسنة ، و آل كندة ، من عرب اليمن القحطانيين ، ولكن بعض الباحثين الغربيين ، وشايعهم بعض المشارقة ، كجورجى زيدان ، يرون أنهم عدنانيون(١) لما يأتى :

١ — لأن لغتهم عدنانية لا قحطانية .

٢ — ولأن اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ، وليس لهذا الحرف ذكر فى كتابة هؤلاء ، أو فى أطلالهم .

٣ — وأنهم لم يختاروا بعد « سيل العرم » مكانا فى اليمن ، بل اختاروا الشمال مهاجرا لهم .

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ : ١٨١ .

٤ — ومعبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانية .

٥ — وليس فى أسمائهم رائحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل أسماؤهم عدنانية ، فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسابين ، وهى أضعف من أن يعول عليها فى هذا الشأن (١)

رأيي

١ — أما أن لغة اللخميين والغساسنة وكندة عدنانية لا قحطانية ، فسببه أنهم بعد تشتت شملهم بسيل العرم ، وتفرقهم فى المدينة وفى مكة ، وفى عُمان ، وفى تهامة ، وفى الشام ، وفى العراق ، لم تصبح لهم تلك القوة التى كانت لهم ، مجتمعين فى ديارهم ، وفى مملكتهم ، وبين ذى جلدتهم وأهلهم ، وقد فارقتهم سطوة الملك ، ورهبة المنصب ، وأملت عليهم السياسة الرشيدة أن يصطنعوا — فى غربتهم وكربتهم — لغة من حلوا بينهم ؛ والتفاهم معهم ، بل الامتزاج بهم .

٢ — ولم يتخذوا فى كتابتهم حرف المسند ، ولا فى نقوشهم خط اليمن ، تعفية على الماضى ، وسدا للتعالى على جيرانهم الذين قد يسيئون الظن بهم ، وقد يكون هذا من دواعى التهامهم ، أو مطاردتهم على أقل تقدير .

ولهذا نظائر فى التاريخ

(ا) من ذلك أن « العبرانيين » لما أقبلوا من الصحراء ، حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وعبروا الأردُن ، فنزلوا فلسطين ، كانوا قبلا يتكلمون بلهجة آرامية ، أقرب إلى العربية منها إلى أى لغة أخرى ، فأخذوا يتعلمون لغة سكانها الأصليين ، وهى الكنعانية (٢) ، واتخذوها لغة التخاطب والكتابة .

(ب) والعرب فى تلك الأحقاب ممن كانوا يخالطون العالم المتمدين ، بالتجارة

---

(١) العرب قبل الاسلام ص ١٨٣

(٢) قصة الادب فى العالم ج ١ ص ٧٩

والسياسة ، اضطروا إلى معرفة رجال الدولة ، وأهل الوجاهة ، ومعرفة لغتهم ، لاستخدامها فى المخابرات والتدوين ، فتعلموا الآرامية ، وكتبوها بالقلم الآرامى لسهولته .

(ج) و (الجرمانيون) الذين هبطوا المملكة الرومانية قد اضطروا إلى تعلم اللغة اللاتينية ، وجعلوها لغتهم الرسمية ، أما عند التخاطب فكان لكل طائفة منهم لغتها الخاصة (١)

(د) و (محمد على باشا) عندما اختار مصر وطنا نهائيا له ، لم يكن هو وشيعته وجنوده من العرب ، ولا لغتهم بالعربية ، أرادوا أولا أن تسير اللغة التركية بجانب اللغة العربية ، فاتخذ الوقائع المصرية لسان هذه الرغبة ، وبقيت ردحا من الزمن تحرر باللغتين التركية والعربية ، بل إن إسماعيل باشا نفسه عندما أمر بإنشاء « دار العلوم » جعل الغرض من تأسيسها تخريج عدد صالح من المدرسين لتدريس اللغتين : التركية والعربية ، ولكن البيئة العربية لم تسمح لتلك البذرة الأجنبية أن تنمو فى ظلالها ، فابتلعت العربية التركية ، واندمج الأتراك والأرنئوط ومن لف لفهم فى المصريين ، وصار الجميع حماة النيل ، فى ظلال أشبال إسماعيل .

(٣) ولم يجر الغساسنة والمناذرة وأشباههم ، بعد سيل العرم إلى أرض اليمن ، لأن كل الجهات العامرة كانت مزدحمة بأهلها ، ولا جدوى من سكناهم صحارى الجنوب ، ومع هذا فكلتاهما من أملاك حمير ، أو غيرها ، وفى احتلال إحداهما إثارة للويل بعد السيل ، إذ أن عرب الجنوب كانوا أعرف بقيمة الوطن من عرب الشمال .

فالهجرة إلى الشمال أنسب وأرحب من جميع الوجوه ، وارتحالهم إلى جهة أخرى غير اليمن ، وبين قوم أدنى من غيرهم فى سلم المدنية . من دواعى استقرارهم ، وتمتعهم بالهدوء حتى يلموا شعثهم ، ويثبتوا أقدامهم .

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٨١

وهناك سبب آخر أشار إليه ابن خلدون ، وهو أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر [١] ولايخفى أن عرب اليمن أهل حضر ، وعرب الشمال أهل بدو ، وإذا ثبت هذا ثبت أن عرب الشمال أسمح نفسا وأعز ضيفا ، وأظهر فى عالم النجدة وإغاثة الملهوف .

وسبب ثالث، هو أن نزوحهم الى الشمال يتيح لهم الفرصة ، فيتصلون بملوك الفرس فى العراق ،أو ملوك الروم فى الشام ، وقد يكون هذا مدعاة إلى إعادة ملكهم المفقود ، وأملهم المنشود، والملكية لحمة ، كلحمة النسب ، وأدنى من هذا أن يصيروا عمالا لهم ، وسفراء بينهم وبين القبائل العربية ، التى تقض مضاجعهم بإغاراتها المتلاحقة .

٤ـ وكانت معبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانيين ،إتماما للتنسيق الذى أرادوه ، والسياسة الرشيدة التى اختطوها لمستقبلهم ، إذ لا يعقل أن ينزلوا ضيوفا بين قوم ضيافة أبدية ، ويشرعوا فى التقرب منهم بما فيه صلاح الفريقين ، ثم يخالفوهم فى أرهف الأحاسيس ، وأدق العواطف ،وهى الدينية فلا بدع إذا شاركوهم فى احترام آلهتهم ، بل تقديسها وعبادتها ، ولا سيما إذا كانت من الآلهة العامة للعرب .

٥ـ أما الحجة الأخيرة للمعارضين، على أن المناذرة والغساسنة والكنديين ليسوا بقحطانيين ، فهى أنه ليس فى أسماء هؤلاء واضحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل هى أسماء سائر عرب الشمال ، ولاسيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم ، كالأنباط ونحوهم ، مثل الحارث وثعلبة وجبلة .

والرد عليها أهون مما مضى ؛ لأن الأسامى ليس لها من الخطر مثل ما للغات، أو الكتابة أو المعاش أو المعبودات ، فإذا كان « مزروع » اسما جدى ،فليس من الضرورى إن أسمى واحدا من أبنائى به . بل ليس من الضرورى أن يكون من أسماء المسلمين أو أسماء العرب أو المصريين ،لأن التسمية استلطاف ،

---

(١) المقدمة ص ٦٩

وكم رأينا من المصريين من يسمى بهتلر ، أو وليم ، أو اسكندر ، وليس ذلك بهين إذا أردت أن أمنع أبنائى من تعلم لغتى، أو أردت لهم اعتناق دين آخر، أو وطن ثان، والضرورة التى أرغمت السبئيين على ترك أوطانهم، أرغمتهم أيضا على أن يتأقلموا بالإقليم الذى نزحوا إليه، فى لغتهم، وكتابهم، ومعبوداتهم ، وعاداتهم وتقاليدهم، فما بالك بأسمائهم، وهى أهون الجميع، فهل من عيب على علماء الأنساب إذا كانوا أمناء فى نقلهم ! وهل يلام ثقاتهم إذا أخبرونا أن انفجار سيل العرم أحدث فى بلاد اليمن رجة، وأسقط دولة ، وأثار بين العدنانيين ضجة، ونزحت قلول المنكوبين إلى أطراف الجزيرة، مسودين، بعد أن كانوا سادة ، وسوقة بعد أن كانوا ملوكا ! وأن الزمن لم ينصفهم بإرجاع مملكتهم إلا بعد أحقاب أربت على ثلاثة قرون ! .

فالحق أن الغساسنة والمناذرة والكندية من القحطانيين لا العدنانيين .

١٣ — طسم وجديس :

قرر المؤرخون من العرب ، أن هاتين القبيلتين من العرب البائدة من إرم، ليسوا من العدنانيين، وسكانهم شرقى نجد فى اليمامة مواطن العدنانيين — يدل على أنهم نزحوا من الجنوب ، وإبادتهما فى أوائل القرن الخامس الميلادى يدل على أنهم كانوا يتكلمون باللغة العربية العدنانية ، أسوة بالدول العربية الجنوبية ، التى هاجرت إلى الشمال ، فقضت عليهم البيئة أن يتخذوا العدنانية لسانهم، مثل كندة والمناذرة والغساسنة .

كيف نقانوا ؟.

ويذكر مؤرخو العرب كذلك أن قبيلة « طسم » كانت لها السيادة على قبيلة « جديس » وظلوا على هذه العلاقة مدة، حتى آل الملك إلى رجل أحمق من طسم ، فقضى ألا تزف بكر إلى زوجها حتى يسبقه إليها ، وبعد حقبة فاضت الكأس ، فدفن الجديسيون سيوفهم فى الرمال، وأقاموا وليمة للملك الطسمى وحاشيته ، وبينما هم منهمكون فى طعامهم ، انهال عليهم الجديسيون

فقتلوهم ، وتتبعوا أكثر طسم فاستأصلوهم ؛ فهرب بعضهم إلى حسان تبع اليمن ، مستنجدين به ، فسار إلى جديس ، فلم يبق منهم أحد ، وهكذا تفانى الحيان ، ودقوا بينهم عطر مَنشَم

ماينسب البرهم من الشعر :

إذا كان الأدباء لم يجدوا غضاضة فى اعترافهم بشعر امرىء القيس الكندى ، أو عمرو بن معدى كرب الزبيدى ، أو الشنفرى الأزدى ، أو عبد يغوث الحارثى ، أو طُفيل الغَنَوِىّ ، أو الأفوه الأودى ، وجميعهم من كهلان .

ولم يعترضوا على الشعر المنسوب لزهير بن جناب الكلبى ، أو عوف ابن سبيع الجَرمى ، أو نهد بن زيد القضاعى ، أو عمرو بن مرة النهدى ، وجميعهم من حمير إحدى شعبتى قحطان ، فلا مانع عندى أن نعترف كما اعترفوا بشعر القحطانيين الذين اتصلوا بالعدنانيين ، ولو قبل العهد القريشى ، فكيف والشعر الذى نسبوه إلى طسم وجديس كان فى القرن الخامس الميلادى ، فى عهد حسان تبع اليمن الذى حكم من ٤٢٠ — ٤٢٥ م أى نحو قرنين قبل الهجرة وهو من معاصرى (قصى بن كلاب) أول ملوك قريش ! .

لقد أجمعت كتب الأدب على أن « عُفَيرة » بعد أن نال منها ملك طسم ، قبل أن تزف إلى زوجها ، خرجت شـــاقة درعها فى أقبح منظر ، وهى تصيح :

لا أحد أذل من جديس !! أهكذا يفعل بالعروس !!

وبعد أبيات صاحت مرة اخرى وهى تنشد تحرض أهلها وقبيلتها :

أيجمُل مايؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل !!
وتصبح تمشى فى الدماء (عفيرة) عشية زفت فى النساء إلى بعل !!
فلو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكنا لانقر بذا الفعل !!
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم ودبوا النار الحرب بالحطب الجزل !!

فلما سمع أخوها الأسود ، وكان سيدا مطاعا ، جمع قومه وأعدوا العدة

ليسلم الشرف الرفيع من الأذى . فلما أبادوا طسما قال :

ذوقى بعينيك ياطسم بجالة فقد أتيت لعمرى أعجب العجب !!

(آثارهم) : ولطاتين القبيلتين أو الأمتين قلاع ومدن أثرية ، فمن قلاعها (المشقر) لما ذكرى فى أيام العرب ، ومن أشهر مدنهم (القَرّية) فى اليمامة وهى حاضرة طسم .

(٢) العرب المستعربة
(إسماعيليون) ثم (عدنانيون)

خيل إلى بعض الباحثين قديما وحديثا أن العرب (الإسماعيليين) هم العرب (العدنانيون)

ا — أما القدماء فلهم عذرهم إذا خلطوا بين الفئتين ، لأنهم يروون ماسمعوا مقتضبا تارة ، ومخلوطا خزفه بدره ، وحقه بباطله تارة أخرى ، ولأن تطاول المدد السابقة مما يساعد على هذه الفوضى .

ب — وأما الحدثاء فنهم من تابع القدامى ، وأطرفهم ماسجله فى أيامنا الأستاذ « محمد جميل بيهم » رئيس المجمع العلمى اللبنانى ، ورئيس إخوان الثقافة (١) فى قوله : « إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق التوراة ؛ فقد ورد ذكرهم فى قصة يوسف ، خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد » وقد كان « جورجى زيدان » حذرا عند إيراده هذا الخبر فقال : « فإذا صحت غزوة (بختنصر) كما ذكرها العرب كانت (معد) قبيلة كبرى فى القرن السادس قبل الميلاد (٢).

والمؤرخون القدماء أوضح عذرا من البحاثة اللبنانى عندما تناقلوا أن أن « بنو خذ نصر » ملك آشور حاربت عدنان — والعرب يسمونه بختنصر

---

(١) كتاب فواتل العروبة ومواكبها خلال العصور ص ٣٩

(٢) العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ١٦٩

والتوراة تسميه « نبوخذ راصر » (١) وأن (ابنه : معدا) كان إذ ذاك بعد العاشرة (٢) .

تحقيق

وبإعادة النظر فيما قرره الأستاذ « بيهم » نجده اشتمل على أمرين :

(الأمر الأول) أن العدنانيين كانوا معروفين فى القرن الثامن عشر الميلادى

و (الأمر الثانى) أن أخبار هؤلاء (العدنانيين) أيضا ورد ذكرها فى التوراة فى قصة يوسف، ثم فى مناسبات أخرى ، ولكى أصل إلى الحقيقة بحثت فى سلسلة نسب عدنان أولا ، وفى التوارة ثانيا .

١ — أما فى سلسلة النسب، فقد رأيت أن من الهجرة النبوية إلى عدنان ٢٢ جيلا، وقد أثبت فيما سيأتى أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة، فلمعرفة الزمن الذى كان فيه عدنان يجب أن نضرب ٢٢ × ٤٠ والناتج هنا سيكون ٨٨٠، أى نحو تسعة قرون، منها ستة قرون من الميلاد المسيحى إلى الهجرة ، فيكون الزمن الذى وجد فيه عدنان هو القرن الثالث قبل الميلاد .

والأستاذ بيهم قد قرر أن العدنانيين كانوا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، والفرق بين تقديرى وتقديره هو الفرق بين ١٨ قرنا ، ٣ قرون أى ١٥ قرنا، فهو زمن مديد كما ترى، فما حجة الأستاذ فى هذا الفرق ، بعد أن أدليت بحجتى ، معتمدا على سلسلة النسب ، التى كان القدامى يعتمدون عليها ، ولو أنهم أنقصوا المتوسط عن تقديرى !

صرح مركزى :

ومما جعل مركزى حرجا ما تناقله مؤرخو العرب من اشتعال الحرب بين (بخت نصر) و(عدنان) (٣) لأن المؤرخين العصريين قرروا أن (نبوخذ نصر) آخر الغزاة من ملوك آشور، كان فى القرن السادس قبل الميلاد !! فلو صح أن

---

(١) سفر إرميا اصحاح ٤٩ عدد ٢٨ وما بعده

(٢) تاريخ ابن الاثير جـ ١ ص ١١٧

التوراة صرحت بوجود العدنانيين فى زمن سيدنا يوسف، وصح أن مؤرخى العرب لم يجاوزوا الحقيقة حين أخبرونا بمعاصرة عدنان لبخت نصر، بل باندلاع الحرب بينهما، لكانت قاعدتى باطله، واستنباطى خطأ !! وأسلوبى فى البحث أبعد الأشياء عن أساليب العلماء الباحثين !! والمحققين العصريين!

رأى التوراة : وإزاء هذه الاعتراضات، وإجماع مؤرخى العرب على الحرب العدنانية البختنصرية، وأن ملك آشور كان فى القرن السادس لا الثالث، لم أجد مناصا من الرجوع إلى الحجة التى اعتمد عليها الأستاذ بيهم، فأسرعت إلى التوراة، باحثا عن قصة يوسف، فلم أجد عنوانا لها بين أسفاره وعنواناتها التى بلغت ٣٩ سفرا وعنوانا، من أسفار العهد القديم وفهرسته، وإزاء تصميمى على الوصول إلى الحقيقة فيما نصت عليه التوراة، عثرت — بعد طول التطواف — عليها فى سفر التكوين، ولم يقعدنى أن إصحاحاته ٥٠ إصحاحا، بل تابعت البحث والاطلاع حتى وجدت الضالة المنشودة فى الإصحاح ٣٧، ففى العدد ٢٤ يتحدث عن إخوة يوسف وطرحهم إياه فى البئر.

وفى العدد ٢٥ وما بعده يقول : « ثم جلسوا ليأكلوا طعاما، فرفعوا عيونهم ونظروا، وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد، وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا، ذاهبين لينزلوا بها الى مصر، فقال يهوذا لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه ! ! تعالوا نبيعه للإسماعيليين .. »

إذن ليس بدقيق قول الأستاذ بيهم : إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق التوراة !! لأن الذى وصل إلينا عن طريقها هو أخبار الإسماعيليين لا العدنانيين، واذا ساغ أن ينسب الأبن الى الآباء أو الأجداد فليس من المستساغ أن ينسب الأب أو الجد الى الأبناء والحفدة، كما لا يصح أن ينسب المعلوم الى المجهول، أو الموجود إلى الذى لم يكن قد وجد.

فالنتيجة لهذا :

١ ـ أن العرب الذين كانوا فى عهد يوسف لم يكونوا من العدنانيين، بل

كانوا من الإسماعيليين .

ب ـ وأن عدنان لم يكن قد وجد فى القرن الثامن عشر الميلادى، فليس معقولا أن يوجد له اتباع ، وأن تكون لهم أخبار !! بقى على أن أثبت أو أنفى قول النوارة : «إن القافلة التى رآها إخوة يوسف مقبلة الى مصر كانت قافلة الإسماعيليين » إذ يجوز أن يكون هـذا الزمن قبـل أن يوجد الاسماعيليون أيضا .

زمن اسماعيل :

إذا كان المؤرخون العصريون قد أثبتوا أن « يوسف الصديق » كان فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فقد أثبتوا أيضا أن «إسماعيل بن إبراهيم» عليهما السلام كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد[١] ، فهل ورد فى كلام مؤرخى العرب مايلقى ضوءا على هذا الموضوع ؟

تصفحت عشرات من كتب التاريخ والأدب ، فعثرت بعد لأى على قول « أبى الفداء » فى تاريخه[٢] :

« اختلفوا فى عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل ، فأكثر ما نقل ٤٠ أبا ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب « رخيا » كاتب «إرميا» وقيل ٣٠ أبا ، وقيل ٢٠ ، وقيل ١٥ وقيل ٩ ، وقيل ٧ آباء »

(١) وبتجربة الآباء إذا كانوا سبعة تبين أن المدة من إسماعيل إلى عدنان ، ثم من عدنان إلى الهجرة ٧ + ٢٢ = ٢٩ جيلا مدتهـــا ٢٩ × ٤٠ = ١١٦٠ سنة قمرية وهذه توافق ١١٢٠ سنة شمسية أى حوالى سنة ٥٠٣ قبل الميلاد المسيحى ، وهذا يخالف ماحققه المؤرخون العصريون من أن إسماعيل كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد .

---

(١) العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ١٦٧

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ : ١٩٣

(ب) وبتجربة المدة على القول بأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا تبين أنها ٤٠ × ٤٠ = ١٦٠٠ سنة قمرية أو ١٥٥٢ سنة شمسية ، وبما أن الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان ٢٢ جيلا ، وأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا على قول الأكثرين ، فإذن الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد ٤٠ + ٢٢ = ٦٢ جيلا ، مدتها ٦٢ × ٤٠ = ٢٤٨٠ سنة قمرية أو ٢٤٠٥ سنة شمسية ، ونظرا إلى أن الهجرة كانت ٦٢٢ م يكون إسماعيل قبل الهجرة بنحو ٢٤٠٥ — ١٢٢ م = ١٧٨٣ سنة أى انه كان فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، كما كان ميلاده فى القرن التاسع عشر قبله .

ويؤيد هذه المدة ماحققه المؤرخون العصريون ، كما يؤيد أن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا قول الأصفهانى ، فإنه لم يكتف بذكر هذا الرقم فحسب ، بل ذكر اسم كل واحد من هؤلاء الأربعين فى ترجمة أبى قطيفة الشاعر (١) .

زمن بنوخذ نصر :

ولتحقيق ماتناقله مؤرخو العرب ، من أن هذا الملك الغازى الأشورى ، الذى دوخ كثيراً من الأمم ، كان فى عصر «عدنان» ، بل ثارت بينهما الحرب ، فانتصر الآشوريون ، وانهزم العرب ، يحسن بى الرجوع إلى الزمن الذى كان فيه عدنان ، فنجده فى القرن الثالث قبل الميلاد ، بناء على نظريتى ، وبالعودة إلى التاريخ الذي أجمع عليه محققو المؤرخين العصريين ، نجد (بنوخذ نصر) كان فى القرن السادس قبل الميلاد . إذن كان الملك الأشورى قبل عدنان بنحو ثلاثة قرون ، وبهذا يتبين أن المعاصرة لم تجمع بين هاتين الشخصيتين الكبيرتين ، وبالتالى ليس صحيحا أن الحرب ثارت بينهما .

---

(١) الأغانى جـ ١ : ١٣

برهان التوراة :

ويؤيد هذا الاستنباط أيضا أن التوراة قالت عن « قيدار » وعن « ممالك حاصورا » التي ضربها « بنوخذ نصر » :

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدار ، اضربوا « بني المشرق » يأخذون خيامهم وغنمهم . . »

وبنو المشرق هؤلاء ليسوا إلا العرب ، ولم تقل التوراة إنهم بنو عدنان ، بل نسبتهم إلى قيدار بن اسماعيل ويقول المؤرخون : أصبح الإسماعيلية في عرف التوراة من ذلك الحين قبيلتين : « قيدار » و « بنيت »[1]

وفي عهد الملك الآشوري كان يطلق على العرب (الإسماعيلية) أو (أبناء المشرق) أو (أبناء قيدار) إذ لم يكن عدنان قد وجد فليس ثمة شك بعد هذا في أن عدنان لم يعاصر « بنوخذ نصر » أو (بختنصر) كما يسميه العرب ولم يحاربه ، خلافا لمؤرخي العرب ، ولا عبرة بإجماع مؤرخيهم على هذا ، إذ أنهم انساقوا بحسن نية إلى أول من نقل ذلك إليهم من القصاص ، وإذا كان القدماء معذورين في نقل هذا الينا دون تمحيص ، فما عذر الأستاذ البحاثة « بيهم » ألم يكن في إمكانه أن يبحث أمر هذه المعاصرة بحثا علميا ، مستعينا مؤرخة الغرب الحديثين ، وعلماء الآثار ! حقا لكل عالم هفوة .

القحطانيون ومؤرخو العرب

نظرية السلاسل النسبية التي ابتكرتها ، ودعمت قواعدها ، وقد نجحت نجاحا تاما في تحقيق تاريخ الإسماعيليين والعدنانيين ، لو أردنا تطبيقها على أنساب القحطانيين ، وتحقيق تاريخهم ، ما كنا إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ! وإليك البرهان : (تحقيق)

---

(١) العرب قبل الاسلام ص ١٦٨

١ ـ تبين لى مما نقلته عن رواة العرب، وعلماء الأنساب منهم، أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا (فى شجرة الكهلانيين) و ٣٠ جيلا (فى شجرة الحميريين) فمتوسطهما ٣١ جيلا .

وزمنها ٣١ × ٤٠ = ١٢٤٠ سنة أى أن قحطان كان يعيش فى القرن الثالث عشر قبل الهجرة والقرن السابع قبل الميلاد .

٢ ـ وبالرجوع إلى تاريخ القحطانيين عند علماء الآثار نجد « دولة سبأ » أقدم من « دولة حمير »[1] .

(ا) لأن سبأ بدأت دولتها سنة ٨٥٠ ق م ، وسقطت بسيل العرم سنة ١١٥ ق م .

(ب) فاستولت على أنقاضها دولة حمير من ١١٥ ق م وفقدت استقلالها سنة ٥٢٥ م[2] بالاحتلال الحبشى .

٣ ـ وبموازنة تاريخهم الذى حققته، معتمدا على سلسلة النسب، بتاريخهم الذى حققه الأثريون، معتمدين على النقوش ، نجد تاريخهم الذى دلت عليه النقوش ، أقدم مما دلت عليه روايات علماء النسب، فى شجرة أنسابهم، بنحو ٢٣٢ سنة ، وهذه تعادل نحو ٧ أجيال ، ومنشأ هذا الفرق

(ا) إما أن متوسط عمر الجيل عند القحطانيين يجب أن يكون ٧٢ سنة ، ويناقض هذا الاستقراء .

(ب) وإما أن فى سلسلة النسب حلقات مفقودة تستغرق نحو ٧ أجيال

فكأن أجيالهم لو كانت كاملة لبلغت نحو ٣٨ جيلا ، ولكن متوسط ما أورده الرواة هو ٣١ جيلا وعندى أن الـ ٣٨ جيلا أقرب إلى الحقيقة ، لأن سقوط ٧ أجيال من نحو ٣٨ جيلا ، له نظائر فى بعض فروع الأنساب

---

(١) العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ١١٨

العدنانية وإن كانت هذه النظائر فى أنساب العدنانيين أقل لقرب عهدهم إذا قيس بعهد القحطانيين ، ونجدها على قلتها فى فروع الأنساب لا فى أساسها للسبب نفسه .

الفجوة الزمنية : فليس عجبا أن نرى فى تاريخ القحطانيين فجوة فى أنسابهم ، تتبعها فجوة فى زمانهم ، إنما العجيب ألا تكون هذه الفجوة مع تباعد الزمن ، أو أن نقرأ لجورجى زيدان مانسبه لحمزة الأصفهانى أن بين (حمير) و (الحارث الرائش) أول التبابعة (مائة وخمسين أبا) !! (١)

فوضى تاريخ القحطانيين

١ — وقد راعتنى ضخامة هذا العدد، فرجعت إلى حمزة فى كتابه، فوجدته يحدد العدد بالحروف لا بالأرقام، مسجلا أن الآباء بينهما (خمسة عشر أبا) ولا شك ان مازاد على ١٥ أبا وهو ١٣٥ أبا من سوء حظ التاريخ القحطانى إذ أن الرواة وأخبارى العرب ومؤرخيهم ، قل أن يتفقوا على أى شىء فى هذا التاريخ جملة وتفصيلا .

٢ — ومن ذلك أيضا أن حمزة عند عده ملوكهم ، وضع أمام كل ملك مدة حكمه نقلا عن بعض السابقين، فكان عدد ملوكهم ٢٦ ملكا، وإذا جمعنا ما وضعه عن مدد حكمهم، نجدها ١٧٠٠ سنة، ولكن حمزة جعلها - بالحروف لا بالأرقام أيضا - ٢٠٢٠ فكأنه لم تكفه الـ ١٧٠٠ سنة ، مع ما فيها من مبالغة فسما بها إلى ٢٠٢٠ سنة، وبذلك يكون قد تصيد من الهواء ٣٢٠ سنة .

٣ — وأفدح من هذا أننا قل أن نجد مؤرخين اتفقا على عدد ملوكهم أو أسمائهم ، أو ترتيبهم ، أو أعمالهم ، أوأزمانهم ، أو مددهم ،مما يدفع خالى الذهن إلى الاعتقاد أنه كان بين المؤرخين تسابق، لإشاعة الفوضى فى كل

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٠٥

ما له علاقة بتاريخ اليمن، تارة بالزيادة، وأخرى بالنقص، وطورا بالمبالغة، وأطوارا بالتحريف، ففقدت تواريخهم مايجب من الدقة والتسلسل والتحقيق،

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

اللغة العربية بين « العاربة والمستعربة »

هذه اللغة التى نكتب بها الآن، ونقرأ بها، وتؤلف الكتب، وتحرر الجرائد والمجلات والمذكرات . هى أرقى أنواع اللهجات العربية للعرب المستعربة حفدة عدنان ـ حفيد إسماعيل عليه السلام ـ ومما لا ريب فيه أن لهجة العرب الإسماعيليين كانت بعيدة الشبه عن اللهجة التى يستعملها العدنانيون، ولما كانت اللغات من الكائنات الحية . وأنها لهذا فى تطور مستمر . كان لنا أن نحكم أن اللهجة التى كان يستعملها العرب الإسماعيليون أولا، غير اللهجة التى كانوا يستعملونها فى عصر عدنان، وأن اللهجة العدنانية فى أول أمرها، كانت (امتدادا) للهجة العرب الإسماعيلية فى آخر أمرها ، وأن اللهجة العربية الحالية تخالف اللهجتين السابقتين إلى درجة بعيدة .

فليس عجبا أن نجد مسافة الخلف بين لهجات اللغة الواحدة فى تباعد مستمر ، كلما تقادم العهد ، فان هذا التدرج من لهجة إلى أخرى ، فى اللغة الواحدة ، منذ طفولتها إلى آخر ما قدر لها من عمر ، أشبه الأشياء بالصور المختلفة لشخص واحد منذ ولادته إلى آخر حياته : وليدا ، وطفلا ، وغلاما، وشابا ، وشيخا ، وكهلا ، وهرما ، إذ البداهة تحكم بأن صورة هذا الشخص رضيعا غير صورته طفلا ، وهما غير صورته شابا ، وهن غير صورته كهلا، وهكذا ، كما تقضى بأن صورته هرما أبعد الأشباه عن صورته وليدا ، وقياسا على تلك المراحل نجد اللهجة العربية ـ العدنانية مثلا ـ فى طفولتها غير اللهجة التى كان ينطق بها العرب الإسماعيليون ، ولهجة العرب العدنانيين فى مهدها غير لهجتهم فى عصر النبوة ، وأبعد من ذلك لهجة العرب المستعربة عند العدنانيين إذا قيست بلهجة العرب العاربة عند القحطانيين .

لغة العامة ولغة المصنفين

يقول علماء اللغات: إن بينهما فروقا كثيرة فى الإعراب ، وفى الضمائر، وفى كثير من أحوال الاشتقاق، والتصريف، وأنهما تختلفان اختلافا جوهريا، ويشتد هذا الاختلاف فى المفردات نفسها ؛ وأوجه الشبه والاتفاق أقل جدا من أوجه الخلاف (١) .

الاختلاف بين اللهجات العامية

وإذا كنا لانشك فى الخلاف الجزئى بين اللهجات العدنانية، كالربعية والمضرية وفروعها كالتميمية ، والقيسية . . فكذلك يجب ألا نشك فى لهجات اللغة العاربة ، وما بينها من خلاف ، ومثل ذلك لهجة المعينيين، فهى لاتتحد اتحادا تاما بلهجة السبئيين فى لغة حمير ، فروفهما واحدة تقريبا ، ولكنها تختلف عنها اختلافا واضحا فى ضمير المذكر الغائب ، فإنه فى « المعينية » السين . بدل الهاء فى السبئية وسائر اللغات السامية ، إلا البابلية والحبشية ، فعند معين يقولون « بيتس » بدل « بيته » عند السبئيين، وهكذا .

ذلك لأن المعينيين اقتبسوا الأبجدية الفينيقية لسهولة استعمالها بالنسبة للحرف المسمارى ؛ ولأنهم كانوا جلبوها معهم عند ما نزحوا إلى اليمن من العراق، فلغة المعينيين أولا كانت لغة بابل العامية ، وهذه كانت غير اللغة المدونة فى العراق ، وعلى توالى الزمن تنوعت تلك الأبجدية، حتى صارت قريبة من الحرف المسند ، بقدر ما بعدت عن لغة بابل (٢) ، لأن اللغات تتأقلم كما تتأقلم الكائنات الحية ، ولكنها مع هذا التحول تظل محتفظة ببعض الآثريات اللغوية .

نماذج من تحمل العلماء

فكيف يسوغ مع هذا أن ينهض بعض علمائنا ، كابن دريد فى كتاب

---

(١) مقدمة ابن خلدون .

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١١١ حـ ١

الاشتقاق، وحمزة الأصفهانى وغيرهما، فيحاولوا أن يرغموا الأسماء القحطانية مثلا، على أن تكون مشتقة من أصل عدنانى !! وفاتهم أن قحطان أقدم من عدنان، وأن القديم لا يمكن أن يشتق من الحديث، وأن التباعد بين اللغتين كبير، وهذا مما شجع بعض الباحثين أن ينفوا عربية اللغة القحطانية، وأن يجعلوها فرعا من اللغات السامية، لا من اللهجات العربية، وما دعا «عمرو ابن العلاء التميمى» أن يقول: «ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»[1] وهذا بعض ما تحمله الأولون:

١ ـ سميت (دمشق) لأن من بنوها دمشقوا بنـــاءها أى أسرعوا فى إتمامه.

٢ ـ وعمرو (مزيقيا) جد الأوس والخزرج لقب بمزيقيا، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين، ثم يمزقهما بالعشى[2]؛ أنفة أن يلبسهما غيره.

٣ ـ وسمى أحد موكهم (سبأ) لأنه لم يدع بأرض اليمن واحـــدا إلا سباه !!

٤ ـ وسمى آخر (بطلّ) لأنه أول من طوى المناهل !! ومن عجب أن حمزة يستنكر الاشتقاق من هاتين الكلمتين[3] وحدهما !!

٥ ـ وأن (الحارث الرائش) ـ أول التبابعة ـ سمى بهذا، لأنه أول من غزا منهم، فأصاب الغنائم، فارتاشت حمير فى أيامه !!

إن هذا ليذكرنى بما كان من أحد فقهاء الريف عندما سئل: ما اسم أخى سيدنا يوسف؟ فأسرع قائلا: اسمه نكتل! وحجته فى هذا قوله تعالى: «فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون»!!

فضل الملوك على التاريخ

وبهذا يعرف أن الفضل للملوك فى تزويد التاريخ الإنسانى بهذه الوثائق،

---

(١) طبقات الشعراء للجمحى (٢) القاموس المحيط

(٣) تاريخ بنى ملوك الارض ٨٢

التى لم تقتصر على تخليد ذكراهم وحدهم ، بل خلدت معهم أممهم ، ومدنيتهم ، ودرجة ثقافتهم ، وبعض رجالهم فى ميادين الحرب ، أو الطب ، أو الدين ، وهى الأمور التى مابرحت لها السلطان الأعلى ، على رجال الشرق إلى اليوم . وإن فى هذا لفرصة عادلة ، للملوك والحكام فى الزمن القديم ، يخفف ماينسب إليهم من قسوة ، ومظالم ، واستبداد ، إذ أنه لايتوان أى قوى حتى فى هذا العصر ، من اللجوء إليها ، إذا ما دعته الفرصة ، تصديقا للأثر : « الظلم كمين فى النفس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه » .

ولولا الملوك ، ورغبتهم فى تخليد ذكراهم ، بأمثال تلك النقوش والرسوم ، فى أمثال تلك الآجرات والصخور ، ماعرفنا شيئا عن المدنيات القديمة ، أو الدول التاريخية ، أو لغاتها ولهجتها ، أو علاقتها بالأمم المجاورة .

أفيسوغ لمنصف بعد هـــذا أن يبالغ فى قذف الملوك التبابعة مثلا ، أو الفراعنة ، أو الأكاسرة ، أو القياصرة بعد ماسطروه فى كتاب الإنسانية الخالد ، من أمجاد باذخة ، وآساس متينة ، ومدنيات خالدة ، وقد ذهب الظالمون والمظلومون ، وبقى ماهو أجدى ، هدية من الأجداد ، وحلقات ذهبية تربط الماضى بالحاضر !

خلود الأدباء

وقد يكون عجيبا ، أنه فى الوقت الذى كان الملوك يأمرون ، فتنقش آثارهم ، ثم يشيرون بحفظها ، فتصبح سرا فى ضمير الغيب ، وخبئا فى الكهوف والأنفاق ، وعلى التماثيل والمعابد ، كان علماء الرواية من ناحية أخرى ، يسجلون آثار الأدباء ، من شعر وخطب ونصائح ، ويستودع الشعراء ورواتهم ما تتنزل به عليهم شياطينهم ؛ وقد صار المعسكران أحقابا متطاولة ، يسيران جنبا إلى جنب متوازيين ، ولو أنهما لم يكونا متكافئين ! ! فما السر فى أن مد الحادثات وجزرها ، نال من الملوك والحكام ، أعمق مما نال من الشعراء والخطباء ، وأننا نستطيع أن نسرد كثيرا من أنساب الشعراء القحطانيين مثلا ، وأنساب الأوس والخزرج ، من عصر النبوة إلى قحطان ، ونعجز كل العجز أن

نجد هذا الحظ لملوكهم أو ملوك الغساسنة ؟ يخيل لى أن أهم الأسباب :

١ ـ أن الأدباء كانوا أقرب إلى قلوب الأمة العربية ، فاحتفظت القبائل بآثار من أحبت .

٢ ـ وأن الآثار التى تركها الملوك ، كانت مادية ، منقوشة على آثار مادية ، أما الأدباء فآثارهم ـ فى كل زمان ومكان ـ أدبية ، وعطب الماديات أسرع من عطب الأدبيات ، وخلود المعنويات أبقى من خلود الحسيات .

٣ ـ وآثار الملوك فى القديم ، كانت فخراً لهم وحدهم لا لأممهم ، أما الشعراء فكانوا ألسنة القبائل المترجمة عن آمالها وآلامها ، المسجلة لأيامها ومواقفها ، الذائدة عنها وعن أحسابها ، فاحتفاظها بآثار أدبائها طبعى ، لأن كل شخص منهم كان يرى فيها خلجات نفسه ، ونبضات قلبه ، ومثار شعوره ، ووحى ضميره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يرون فى هذه الآثار غذاءا لأرواحهم ، وبلسما لجراحهم ، وهذا مالايجدونه فى آثار الملوك إلا إذا كانوا عدنانيين : شعراء أو خطباء ، وفوق هذا نجد فيما بقى لدينا من الآثار الأدبية الجاهلية — على قلتها — برهانا على صدق شعور العرب ، وحجة على إبائهم ، وشاهدا على كبريائهم ، وهذه هى الحرية الحقة التى يتغنى بها الغربيون الآن ؛ زعما منهم أنهم باذرو بذرتها ، وطلائع نهضتها .

كيف نبتعث مجدنا المطمور ؟

الواجب علينا نحن العرب بعد الآن ، حكومات وهيئات ، أن نتعاون لبعث هذا التراث الدفين ، والمجد المطمور ، وذلك لايكون إلا بأمرين :

(الأول) أن نرسل بالبعوث العلمية إلى جامعات الغرب ، ليتلقى أبناؤنا دروسا مختلفة ، فى كل اللغات الشرقية الأثرية : لغات الشعوب العربية البائدة والعاربة كالبابلية والنبطية .. سواء منها ماثبت نهائيا أنه لأقوام من العرب ، وما اختلف فيه العلماء أهى لشعوب عربية أم غير عربية ، ويزودون فى أثناء ذلك بتاريخ تلك الأمم ومدنياتها .

(الثانى) أن يرسل الخريجون — بعد تشجيعهم بمغريات المرتبات والمكافآت وكبرى الوظائف — إلى بلاد اليمن والحجاز وفلسطين والشام والعراق، وبقية البقاع الأثرية فى الجزيرة العربية ، فينفضوا أرضها حجرا بعد حجر ، ومحفدا بعد محفد ، ومخلافا بعد مخلاف ، وقطرا بعد قطر ؛ وفى أثنائها يبحثون ، ويسجلون، فتتولى الحكومات العربية طبعه ونشره، فى الممالك كلها، بين علمائها، لا فرق بين العرب وغيرهم ، ويدرس بعدها فى كل المدارس العربية ، كل بما يناسبها . بهذا وأمثاله نكون قد قمنا بشىء مما وجب علينا، نحو آبائنا الخالدين ، وبعث مدنياتهم، وبشىء مما يجب علينا لأبنائنا وحفدتنا ، ولا نسل بعد ذلك عن نتائج ذلك الجهاد الثقافى الموفق إذا شاء الله تعالى .

أهمية الباحثين عن آثارنا

ومما يثير همتنا لتحقيق هذه الآمال ، أن الغربيين مازال شغفهم يتزايد يوما بعد يوم ، بالبحث عن آثارنا ، مسلحين بأحدث الأساليب العلمية، ولم يكفهم ماعثروا عليه فى عدن من القرن الثامن عشر الميلادى ، وهأنذا أقرأ الآن فى ١٩٥٠/١/١٨ برقية لوكالة الأنباء العربية فى القاهرة، عن وصول الدكتور الكسندر هونيمان، أستاذ العلوم الشرقية فى جامعة « سنت أندريو » بأسكتلندة ، والدكتور وليم البرايت ، رئيس قسم العلوم الشرقية (بجامعة جونز هوبكنز فى ولاية بالتيمور الأمريكية .

وستسافر هذه البعثة إلى (عدن) للانضمام إلى « البرت جام » الأستاذ بجامعة لوفان البلجيكية، للتنقيب عن الآثار فى تلك المنطقة، واستقراء تاريخها القديم .

مصرى يحلق فى سماء الجو

وإشراف الحكومات العربية ، والهيئات العربية ، لبعث تراث الآباء والأجداد، ليس مستحيل المنال، أو عسر التنفيذ ؛ فقد استطاع فرد منا نحن المصريين — وهو طيب الذكر سعادة حسن أنيس باشا — أن يستعد لهذا الأمر ، وأن يرود تلك البقاع ، وأن يوجه أنظار العالم المثقف بأسلوبه

العصرى ، وطيارته الصغيرة ، وأن يمد العلماء والأثريين ببحوثه النافعة ، وخرائطه الدقيقة ، لحدود مملكة سبأ ، وسد مأرب ، ومحاضراته المتعددة فى « لندن » . و « الجمعية الجغرافية بباريس » وأنبائه التى كانت تتخاطفها مجلات العالم وجرائده وشركاته البرقية .

وأن يسترشد ببحوثه وعلمه وخبرته ، العالم الفرنسى « مسيو أندريه مالرو » وهو المؤرخ العظيم ، سنة ١٩٣٤ أى من ١٥ سنة لا غير ، ومعه « الكابتن نورنيليون الطيار الفرنسى » وقد أصر هذان الفرنسيان على أن يكون بحاثتنا ثالثهما إلى تلك الأصقاع الأثرية ، فتم لهما ما أرادا . وشاهدا أروع آثار سبأ وسدها . وصورا كثيرا مما شاهدا ، وهما محلقان فوق تلك الأطلال والدمن ، العزيزة علينا ، الجاثمة هناك جثوم « أبى الهول » فى بطحاء الأهرام ، إنى أعتقد أن حكومات العرب وشعوبها وهيئاتها العلمية ، لا يعجزها أن تشرع فى مثل ما شرع فيه واحد منا ، ولا أقل شغفا بالبحث عن كنوز نامن « مؤسسة دراسة الإنسان الأمريكية » التى وصلت بعثتها الآن إلى عدن لهذا الغرض .

نصيبى المتواضع لبعث أمجادنا

وهل يسوغ لمثلى أن يشير على الناس بالبرويتسى نفسه ؟ لا ، لهذا لم أقبل أن أظل بمنأى عن نصيبى ، والقيام به ـ بقدر استطاعتى ـ فى هذا الجهاد ، فى الوقت الذى أهيب بأبناء العرب الأكرمين أن يسرعوا لتنظيم العمل ، وتحقيق الأمل ، ونشر المآثر العربية بالأساليب العصرية ، وقد كان أول ما أثار حيرتى ، أن العلماء أصبحوا على بينة من تواريخ الأمم القديمة ، بفضل ما كشفوا من نقوشها ، أما العرب العدنانيون فلا نقوش لهم تذكر ، وما ورد إلينا على ألسنة الرواة مشوش مضطرب ، مختلط قديمه بحديثه ، ، وخرفه بدره ، لا يعرف السابق منها من اللاحق ، ولا أقدم آثارهم الأدبية ، ولا زمانها ، ولا رجالها ، ولا أول من قصد القصائد ، ولا طفولة الأدب العربى ، ولا ترتيب أيامها . . فاستلهمت الله فى ١٩٢٨/٩/١١ م : ذكرى ميلادى ، وأخذت أطلع على مئات

من المراجع شرقية وغربية ، وبعد سنين بدأت أسجل « شجرات الأنساب العربية » فإذا بي وقد فرغت من تشجير قبائلها ، وتسجيل أنسابها ، وهو أول عمل من نوعه فى التاريخ ، لم يسبقنى إليه أحد ، إلا ما كان من « محاولات جزئية » أبرز مظاهرها كان فى العصر العباسى وما بعده ، من تشجير الأنساب النبوية ، وفى العصر الحديث عنّ لبعض المستشرقين شىء كهذا ، فسلسلوا فى جداول أنساب بعض الدول الإسلامية .

أما التشجير الكامل لشعوب العرب ، وعمائرها ، وقبائلها ، وبطونها ، وأفخاذها : عدنانيها وقحطانيها ، فأمر أفخر به ، وأسجد لله شكرا أن أظهره على يدى ، وطواه عن غيرى من أقدم العصور العربية إلى الآن .

وأبرزه على يدى وحدى ، فى أنسب الأوقات ، وفى هذه الأيام التى أخذت الدول العربية فيها تمسح عن عيونها الكرى ، وترنو إلى مستقبلها الزاهر الباسم ، وتوثق الصلة بينها وبين ماضيها المجيد ، وتنهض « الجامعة العربية » لرأب الصدع ، وتتجه بالدول العربية ملتحمة متحدة متفاهمة ، إلى حياة العزة والكرامة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وحسبى أن أشير هنا إلى أهم شجرات النسب التى ألفتها :

العدد	الشجرة	ملاحظات
١	شجرة ربيعة	شعراؤها من أول من حملوا لواء الشعر العربي من العدنانيين في الجاهلية
٢	« قيس	كانوا ورثة ربيعة في الشعر
٣	« بني تميم	آل إليهم الشعر بعد قيس فظل فيهم مئات السنين
٤	« السعديين	وأنضج ثمراتها المزارعة عشيرتي الأقربون وهم من بني تميم، وحسبها أن من ثمراتها جرير والفرزدق
٥	« الحناظلة	وهم حماة الذمار وأباة الضيم
٦	« بني عمرو بن تميم	وحسبها أن منها سيدنا محمدا ﷺ، وخلفاء الدولتين: الأموية والعباسية
٧	« قريش	ومنهم نسأة الشهور
٨	« كنانة	ومنها كثير من الشعراء كالكميت وعبيد بن الأبرص
٩	« أسد	ومن شعرائها أبو ذؤيب الهذلي، وقد أسهمت في الوضع اللغوي وكان فيها نيف وسبعون شاعرا مشهورا (١)
١٠	« هذيل	
١١	شجرة الكهلانيين	وهم من القحطانيين ومنهم الأنصار: الأوس والخزرج
١٢	« الحميريين	« « « ومن قبائلها قضاعة وبطونها وأفخاذها

قيمة هذه الشجرات

كان في نيتي أولا أن تكون هذه الشجرات بمنزلة المصورات الجغرافية، وسيلة للإيضاح، ومصورا تاريخيا، يعتمد عليه المؤرخون والأدباء، لمعرفة قبائل العرب: فروعها وأصولها، وعدنانيها وقحطانيها، ومن أجنبهم كل شجرة من العظماء في كل مناحي العظمة . . . ؛ لأن احتياج الدراسين الآن إلى وسائل الإيضاح، أصبح لا يقل عن احتياج الكائنات الحيه إلى الهواء، ولكني عدلت عن هذا لكثرة النفقات، ولأن النفوس لم تهيأ بعد لمثل هذا العمل.

---

(١) ١٨٦ جمهرة ابن حزم

ومن لى بمن يقنع وزارة المعارف بأثر هذا المشروع ! !

فما زلت أفكر وأقدر ، وأوازن وأدبر ، حتى عوضنى الله خيرا من مشروعى السابق ، وأوحى إلى أن أتخذ هذه الشجرات ، وسيلة لأزمان الشعراء والأدباء ، ومن تعرف سلسلة نسبهم من القواد والملوك ، وكل ذى مكانة من العرب .

وماذا يمنع من انتهازى الفرصة ، وابتكارى « قاعدة حسابية » لتاريخ العرب ، وتاريخ آدابهم فى العصر الجاهلى أساسها الأول شجرات النسب .

ولكن ، الشجرات لا يمكن أن تحدد زمانا وإن استطاعت أن تحدد تسلسلا !

نعم إن آثار العرب فى أطراف جزيرتهم قد تتضافر مع الشجرات ، ولكن الآثار - وإن كانت ترشدنا إلى أسماء بعض الملوك ، أو ظلال مدنياتها - ليس للأدباء فيها من نصيب ، لأن الملوك فى كل الآثار هم مركز الدائرة ، ونقطة الارتكاز ، والهدف الأول والأخير .

إذن لا بد من ضميمة إلى هذه الشجرات ، حتى نتمكن فى يسر من تحديد الأزمان ، وربط كل شخص فيها أو قبيلة بدورة الفلك ، وتعيين أيام العرب وحوادثها المشهورة ، بالنسبة إلى التاريخ الهجرى أو التقويم الميلادى ، وليست هذه الضميمة إلا (تقدير عمر الطبقات) أو عمر أجيال النسب ، بعد أن حددت عددها هذه الشجرات .

عمر الجيل

وقد وفقت أخيرا بعد بحوث وتجارب إلى أدق ما يناسب عمر الجيل وهو (أربعون سنة) فكيف حددت هذا العمر دون سواه ؟

وكيف اهتديت إليه كوسيلة لمعرفة التاريخ الجاهلى العربى ، جملة وتفصيلا إذا عرفنا الأجيال مسلسلة ؟

تاريخ عمر الجيل

(١) أول ما وجه نظرى إلى هذه الوسيلة العلامة (ابن خلدون) فى ترجمة حياته التى كتبها بنفسه ، فقد عد من نسبه إلى (جده خلدون) عشرة أجيال ثم قال : « لا أذكر من نسبى إلى خلدون غير هذه العشرة ، ويغلب على الظن أنها أكثر ، وأنه سقط مثلهم ؛ لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس ، فإن كان أول الفتح ، فالمدة لهذا العهد ٧٠٠ سنة ، فيكون زهاء العشرين : ثلاثة لكل مائة » أى ثلاثة أشخاص لكل مائة سنة ، وبذلك اهتديت إلى أن متوسط عمر الجيل عند ابن خلدون ٣٣,٣ سنة ، وأن كل مائة سنة تضم ثلاثة أجيال .

(٢) وقد تابعت البحث بعدها ، فتبين لى أن هذه الطريقة أو القاعدة ليست من مبتكرات ابن خلدون « بل هو مسبوق إليها » يؤيد هذا أن (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسى المتوفى فى القرن الخامس الهجرى [1] وجدته عند الكلام على (بنى الحارث بن كعب بن عمرو) يذكر أن (من ولده علبة بن ربيعة بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية ابن صلاءة بن كعب بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب) هكذا ذكر بعض أهل النسب . . . ثم قال : « وهو عندى محال بلا شك بل يسقط بين ربيعة وعبد يغوث أسماء ثلاثة ولابد »

فهذه الاستحالة التى حكم بها ابن حزم ، تدل على أن هذا النسب الذى نقله ، خالف القاعدة التى سار عليها علماء الأنساب ، فكأن هذه الرواية التى جعلت عدد الأجيال من (علبة إلى كعب) ١٢ جيلا ، ليست رواية مضبوطة ، لمخالفتها القاعدة التى وضعها علماء النسب ، وكان يجب بناء عليها أن يكون عدد الأجيال من علبة إلى كعب الثالث ١٥ جيلا لا ١٢ جيلا ، وهى التى نصت عليها الرواية ، بل زاد ابن حزم دقة بتعيينه (موضع الحلقات) المفقودة فجعلها بين ربيعة وعبد يغوث .

---

(١) جمهرة ابن حزم (طبع دار المعارف بمصر) ص ٣٩١

(٣) ثم توغلت فى البحث، فقرأت للأصفهانى، فى ترجمة (السموءل) ما يأتى:

« حكى عبد الله بن أبى سعد، عن دارم بن عقال — وهو من وُلد السموءل — أنه ابن عادياء بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن (عمرو مزيقيا) ابن عامر بن ماء السماء.

وهنا قال صاحب الأغانى:

« وهذا عندى محال، لأن الأعشى أدرك (شريح بن السموءل) وأدرك الإسلام.

وعمرو مزيقيا قديم، لايجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء، ولا عشرة »!

تحقيقى

وبالرجوع إلى (شجرة الكهلانيين) نجد (عمرو مزيقيا) هو الجد الثانى للأوس والخزرج وهما أصل الأنصار — رضى الله عنهم — ومن الأنصار ذلك الصحابى الجليل:

١ — (ثعلبة بن حاطب) الذى نزل فيه قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين..)، ومنه إلى جده « عمرو مزيقيا » ١٤ جيلا.

٢ — و (عبد الله بن جبير) رئيس الرماة الخمسين من المسلمين فى أحُد، ومنه إلى (مزيقيا) ١٤ جيلا وهذان من الأوس.

٣ — و (زيد بن ثابت) كاتب النبى ﷺ، الذى أمره أن يتعلم السريانية، وكان فوق هذا أحفظ الناس للقرآن، ومنه إلى (مزيقيا) ١٥ جيلا.

٤ — و (حسان بن ثابت) شاعر النبى والمسلمين، ومنه إلى (مزيقيا) ١٤ جيلا.

ومتوسط الأجيال المذكورة هنا لهؤلاء الصحابة الاربعة ١٤ جيلا.

والأجيال التى حفظها علماء النسب من شريح بن السموءل إلى (مزيقيا)

ـ والغاية داخلة ـ ٧ أجيال ، فكأن نصف الأجيال قد سقط ، فاعتراض الأصفهانى لقلة عدد الأجيال فى نسب السموءل إلى مزيقيا ، ثم تحديده أنها يجب أن تكون أكثر من عشرة بتقدير سليم ، يشعر أنهم عمدوا عند تحديد الأزمنة ، وبعدها عن الزمن الإسلامى على عدد الاجيال ، والعمر الذى رأوه لكل جيل .

نظريتى لتعيين الزمن الجاهلى

فى تاريخ الأدب ، وتاريخ العرب

بالعثور على قيمة عمر الجيل ، وتحديده بأربعين سنة ، يصبح لتشجير الأنساب العربية قيمة جديدة ، هى أننا نستطيع تحديد الزمن ، بين عصر النبوة وعدنان ـ فى شجرات العدنانيين ـ أو قحطان ـ فى شجرات القحطانيين ـ ولكن شجرات عرب اليمن كثيرة ، وأكثر منها شجرات العدنانيين ، فأى شجرة نجعلها الأساس ؟ ولم نفضل شجرة على شجرة فى التقديم ؟

دفعا لهذا نظرت فى أنساب العدنانيين ، فوجدتها تتفرع إلى شعبتين كبيرتين : (شعبة مضر) و (شعبة ربيعة)[1] فجعلت لربيعة شجرة واحدة ،

---

(١) (الصحابة الأربعة والعشرون من قريش) هم مع مراعاة أن سيدنا رسول الله (ص) إلى عدنان ٢٢ جيلا — : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمرو بن العاص والزبير بن العوام ، وأم حبيبة زوج النبى ، وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة ، وعقبة بن نافع وعتبة بن أبى لهب ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الله بن مظعون ، وطلحة بن عبد الله ، وعتاب ابن أسيد ، ومسطح بن أثاثة ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومروان بن الحكم ، وسهل بن وهب وجهم بن قيس ، وعبد المطلب بن ربيعة وعبد الله بن عامر .

(والصحابة المختارون من بنى تميم ا ـ منهم من المزارعة : عمرو بن الأهتم ، والزبرقان ابن بدر ، وجارية بن قدامه ، وخباب بن الأرث ، وابنه عبد الله ، وحصين بن مشمت ، وزهرة بن جويه ، وقيس بن عاصم

ب — ومن الحناظلة سبيب بن خراش والحتات بن زيد وعطارد بن حاجب وعباض الدارى وأسماء بنت سلمة وأسماء بنت مخربة والمحدث (أبو العشراء) ، ومالك بن نويرة وأخوه متمم والأقرع بن حابس .

واخترت منها ٢٤ صحابيا ، مجموع الأجيال منهم إلى عدنان ٤٠٠ جيل ، وبقسمة عدد الأجيال على عدد هؤلاء الصحابة ، ينتج أن متوسط أجيال الصحابي منه إلى عدنان ٢٥ جيلا .

ثم اخترت أشهر قبائل مضر وهي تميم وقريش وقيس وكنانة .

ا — فمن (شجرة تميم) اخترت ٢٤ صحابيا ، فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ٤٦٢ جيلا ، متوسطها ١٩,٢٥ جيلا .

ب — ومن (شجرة قريش) اخترت ٢٤ صحابيا ، جملة أجيالهم ٥٤٥ جيلا إلى عدنان متوسطها ٢٢,٧١ جيلا .

ح — ومن (شجرة قيس) اخترت ٢٤ صحابيا جملة أجيالهم ٤٩٣ جيلا متوسطها ٢٠,٥٤ جيلا .

د — ومن (شجرة كنانة) اخترت ٢٤ من الصحابة ، جملة أجيالهم ٤٦٥ جيلا ، متوسطها ١٩,٨ جيلا[1] .

فمجموع المتوسطات الأربعة ٨١,٩٠ جيلا ، ومتوسطها لكل صحابي ٢٠,٥ جيلا .

= ح — ومن بني عمرو بن تميم الحارث بن وهب ، وهند بن زرارة ، وصفوان بن صفوان وحنظلة بن الربيع كاتب النبي وغاضرة بن سمرة وأبو سمرة وحيدة بن مخرم ورباح بن ربيعة (وأشهر صحابة قيس) مرصد بن كناز والربيع بن ربيعة وعروة بن أسماء والخنساء والحجاج بن علاط وعثمان بن أبي العاص ووهب بن عبد الله وجابر بن سلمة وقيس بن عاصم المنقري وقبيصة بن المخارق الهلالي وحلحلة بن قيس وثابت بن جابر والشماخ ونعيم بن مسعود ومعقل بن سنان والحارث بن جبيل ويزيد بن الأخنس وعقبة بن وهب وسمرة بن جندب وعتبة بن غزوان والضحاك بن سفيان والورد بن خالد وصفوان بن المعطل والحارث بن عبد العزى .

والصحابة الأربعة والعشرون من كنانة هم — رضي الله عنهم أجمعين — أبو ثعلبة بن شيطان الضمري وشبيب بن حرام وعمرو بن أمية ، ورافع بن عمرو ، وهشام بن صبابة ، وثعلبة ابن الحكم ، ومحلم بن يزيد ومحلم بن جثامة ، وأسيد بن إياس ، وأبو رهم ، وجنادة بن عوف (القدس) ، وعامر بن واثلة ، والحارث بن مالك ، وأمية بن خويلد ، وسارية بن زنيم ، وخالد بن مالك ، والحويرث بن عبد الله ، وكلاب بن أمية ، وجندب بن جنادة ، وحذيفة ابن أمية ، والحارث بن عوف وكلثوم بن الحصين ، وخالد بن سيار ، وأنيس بن إياس .

وقد تقدم أن متوسط الجيل لربيعة ٢٥ جيلا (١).

فمتوسط الأجيال لربيعة ومضر — وهما أخوان — = ٢٢,٦٥ جيلا .

فكأن أقرب الشجرات الخمس ، من شجرة العدنانيين إلى المتوسط العام شجرة قريش .

وكأن إرادة الله قضت أن يحفظها من الإفراط والتفريط ، حتى فى أجيال أنسابها على ألسنة الرواة ، وكذلك جعلنا الله أمة وسطا ، وخير الأمور أوسطها

(٣) أما القحطانيون فقد تشعبت أنسابهم إلى شعبتين كبيرتين أيضا : (كهلان) و(حمير) كما تفرع العدنانيون إلى شعبتين كبيرتين : (مضر) و(ربيعة) والمتوسط العام للصحابة فى (شجرة الكهلانيين) إلى قحطان ٣٢ جيلا

« « « « (« حمير) « « ٣٠ «

فمتوسطهما ٣١ جيلا . وقد تقدم أن متوسط فرعى عدنان ٢٢,٦٥ جيلا

زمن (قحطان) و (عدنان) :

ا — فالزمن فى غابة العدنانيين ، من عصر النبوة إلى عدنان ٢٢,٦٥ × ٤٠ = ٩٠٦ أى نحو تسعة قرون قبل الهجرة (أو ٣٠٠ ق م)

ب — وفى (غابة القحطانيين) ٣١ × ٤٠ = ١٢٤٠ قبل الهجرة (أوائل القرن السابع) قبل الميلاد المسيحى .

وستأتى نتيجة الموازنة بين هذا الزمن الذى حددته الأنساب ، والزمن الذى حدده (غلازر الألمانى) لقيام دولة سبأ سنة ٨٥٠ ق م .

كيف حددت عمر الجيل النسبى :

إنما قيدت الجيل هنا (بالنسبى) لأنه هو المقصود عند إرادتنا معرفة

(١) والصحابة الأربعة والعشرون الذين استخلصت منهم متوسط عدد الاجيال فى ربيعة هم : الجارود بن حنش ، والاشيم العبدى وسفيان بن حولى العجلى ، وصهيب الرومى والنمر بن تولب النمرى ، وعامر بن ربيعة العنزى ، وطلق بن على الحنفى ، وثمامة بن أثال ، وحسان بن مخدوج ، وخداش الراوية العجلى ، والاغلب الراجز ، وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن المعمر ، ويسر بن خوط ، وزيد بن حارثة ، والمثنى بن حارثة ، والأسود بن ربيعة وشيبان بن محرز الحنفى ، وعامر بن ربيعة العنزى ، وعامر بن سلمة الحنفى ، وشراحيل بن معبد

الزمن بين رجل وآخر من حفدته . وهو الذى قدرته بأربعين سنة ، وقدره ابن خلدون بنحو ٣٣ سنة ؛ أما (الجيل الملكى) فهو أقل من نصف ما قدرته للجيل النسبي ، ولو كان تسلسل الملك وراثيا ، كما سيأتى البرهان عليه فى موضعه ، وسأبسط وجهة نظرى هنا لتحديدى متوسط عمر الجيل النسبي بأربعين سنة ، وإن كنت لم أهتد إلى وجهة نظره .

١ ـ وحجتى الأولى أن العرب فى الجاهلية ، كانوا أشبه الناس بالفلاحين عندنا فى عوائدهم ومنها الزواج ، والشبان عندنا فى القرى يتزوجون فى سن مبكرة ، أى حوالى العشرين ، إلا فى الابن البكر ، فكان أبواه يسرعان بتزويجه قبل هذه السن ؛ تعجيلا لسرورهما ، أما من بعده من الأبناء فكانوا يتأخرون عن هذه السن ، حتى يستقر معاشهم على أسس اقتصادية أو تعليمية ، وما برح الفلاحون عندنا يرهبون فترة الاقتراع العسكرى ، فإذا سلمنا أن متوسط نهاية العمر للإنسان ٦٠ سنة ، تبين لنا أن مجموع الطرفين : الطرف الأول للزواج ، والطرف الأخير لنهاية الحياة ٢٠ + ٦٠ = ٨٠ ، فمتوسطهما ٤٠ سنة ، وهى الوسط المتناسب لعمر الجيل النسبي .

٢ ـ أما حجتى الثانية فهى أنى وجدت مؤرخى العرب قد قدروا الزمن من (قصى) إلى عصر النبوة بنحو قرنين ، فأسرعت إلى الأجيال بعد قصى إلى النبى ﷺ فوجدتها خمسة و ٥ × ٤٠ = ٢٠٠ سنة وهى توافق ماقدروه تمام الموافقة .

٣ ـ وروت كتب الأنساب والأدب والتاريخ أن مفاتيح الكعبة قبل قريش كانت بيد (خزاعة) وأن آخر من توفى من خزاعة هو (حُلَيل بن حبشية) وكنت قد سجلت فى مجلة دار العلوم عدد ٣ سنة ١٩٤٨ م أن « قصيا » كان ذا شخصية جبارة ، فاستغل الفرصة ، وعمل على أن تكون مفاتيح الكعبة بيده ، فكانت أول خطوة لتحقيق هذا الأمل ، أن تقرب من (حليل) هذا ، فما زال حتى تزوج بنته (حُبَّى) فلما أحس (حليل) بدنو أجله ، أوصى ابنته بالإشراف على الحجابة ، وأشرك معها « المخترش : أبا غبشان »

فلم يزل يتحين الفرص حتى اجتمع فى شرب بالطائف ، فما هى حتى أسكره ، واشترى مفاتيح الكعبة منه بزق خمر ، ولما كان يخشى أن تذهب السكرة ، فتأتى الفسكرة أشهد عليه ، وانتهى الأمر بإخراجه من الكعبة ، وتملك « قصى » حجابتها . وصارت إليه مفاتيحها نهائيا ، حتى جاء الإسلام والقريشيون حجاب البيت .

تحديد زمن خزاعة :

فلو أردنا أن نعرف الزمن الذى ظلت فيه خزاعة قابضة على إدارة الكعبة، فلا بد أن نلجأ إلى شجرات النسب ، ثم نعد الأجيال من (المخترش) إلى خزاعة ، فنجدها سبعة أجيال ، لأنه (المخترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة) .

و ٧ × ٤٠ = ٢٨٠ سنة أى ثلاثة قرون ، وهى التى استولت فيها خزاعة على مفاتيح الكعبة .

فهل فى تقارير المؤرخين مايؤيد هذا ؟ .

(ا) استفتيت (الألوسى) فى بلوغ الأرب حـ ١ ص ٢٤٦

(ب) و (ابن كثير) فى البداية والنهاية حـ ٢ ص ١٨٧

(حـ) و (المسعودى) فى مروج الذهب حـ ١ ص ٦٢٤ ، ٢٧٠

فوجدتهم أجمعوا على أن (خزاعة) وليت البيت كابرا عن كابر نحو ٣٠٠ سنة .

فإذا كان منطق تحديدى لعمر الجيل يحدد هذه الأجيال السبعة لخزاعة ؛ بنحو ٢٨٠ سنة ، فإن الفرق بين ما نص عليه المؤرخون ، وما حددته لعمر الجيل وهو ٢٠ سنة فإنه هو (النحو) الذى يشير إليه المؤرخون، وفى الإمكان أن نلتقى تماما إذا علمنا أن الأربعين التى حددتها للجيل، إنما هى السن المتوسطة ، فبضم ٢٠ سنة إليها يكمل عمر المخترش ٦٠ سنة ، وهذا يدل على أن (قصيا)

عندما اشترى من (المخترش) مفاتيح الكعبة كان عمر المخترش نحو ٦٠ سنة ، وبذا يكون الاتفاق تاما منطقيا بين تحديدى وتحديد مؤرخى العرب .

٤ ـ والتجربة الرابعة التى تدل على أن تحديدى أدق من تحديد ابن خلدون هى ما يأتى :

تقدم أن (حُليل بن حَبشية) أنجب (حبىّ) زوج قصى ، (وأباغبشان) الذى باع مفاتيح البيت وهو نشوان ؛ فالآن أقرر أن من أولاد (حليل) ابن حبشية) كذلك (عبدنهم بن حليل) ، ومن حفدة عبدنهم الذين عاصروا النبى ﷺ ذلك الصحابى الجليل (كُرز بن علقمة بن هلال بن جريبة ابن عبدنهم .

فهذه الأجيال الخمسة من قصى إلى زمن النبى ﷺ عمرها ٥ × ٤٠ = ٢٠٠ سنة ، وهذه المدة نفسها تحدد مرة أخرى زمن استيلاء قريش على الكعبة فى الجاهلية .

٥ ـ والتجربة الخامسة : برهنت من قبل على أن خزاعة تولت أمر البيت ٣٠٠ سنة ، وأن قريشا تولت أمره ٢٠٠ سنة بعدها ، و ٢٠٠ + ٣٠٠ = ٥٠٠ سنة فهل فى سلسلة النسب مايؤيد هذا الزمن ، مرة واحدة ، من خزاعة إلى عصر النبوة ؟

نعم . أخبرنا البغدادى[1] أنه لما خرج (مُزَيقيا) من اليمن ومعه رجل اسمه (جذع بن سنان) وبقية قومه نزلوا بلاد (عك) فقتل جذع ملك بلاد (عك) ـ وافترقت الأسد ، والملك فيهم (ثعلبة بن عمرو بن عامر) فانصرف عامله فحارب (جرهم) فأجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا . . . وجاء (قصى بن كلاب) فاستولى عليها .

وبحساب الأجيال من (الملك ثعلبة) إلى طائفة من نسله مثل ،

---

[1] خزانة الأدب جزء ٢ صفحة ١٢٢

(أ) (أوس بن خالد) نجد من هذا الصحابي الجليل إلى (جده: الملك ثعلبة) ١١ جيلا لأنه: (أوس بن خالد بن عبيـــد بن عامر بن حطمه ابن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثه بن ثعلبة).

(ب) ومن حفيده الآخر عامر بن عبد عمرو إليه ـ ثعلبه ـ ١٢ جيلا.

(حـ) ومن سويد بن النعمان إلى جده ثعلبة هذا ١٣ جيلا.

ومتوسط أجيال الصحابة الثلاثة ١٢ جيلا.

فالمدة من ثعلبة إلى عصر النبوة ١٢ × ٤٠ = ٤٨٠ سنة، وهذا العدد قريب جدا من المدة التي أشار إليها المؤرخون، لاستيلاء خزاعة وقريش على البيت الحرام وعلى حساب (ابن خلدون) تكون مدة خزاعة وقريش لهذه الأجيال الاثنى عشرة ٤٠٠ سنة، ولكن المؤرخين ليس فيهم من ذكر هذا الرقم لخزاعة وقريش، بل أجمعوا على أن المدة ٥٠٠ سنة لا ٤٠٠

٦ — والتجربة السادسة منتزعة من تاريخنا الحديث.

هي أن المدة من (محمد علي الكبير) سنة ١٧٦٩ م إلى مولانا جلالة الملك المفدى «فاروق الأول» ـ زاده الله توفيقا بعد توفيق سنة ١٩٤٩م = ١٨٠ سنة وبقسمتها على هؤلاء الخمسة: فاروق الأول بن فؤاد الأول بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي علي، يكون الناتج ٣٦ سنة ولكن جلالة الملك الآن قد أشرف عمره السعيد على الثلاثين، فالباقي لبلوغه الأربعين ١٠ سنوات، وبضمها إلى ١٨٠ تصير ١٩٠ سنة، وبقسمتها على ٥ ينتج متوسط عمر الجيل في هذه الأجيال الخمسة وهو ٣٨ سنة، أما على رأي ابن خلدون فإن الـ ١٩٠ سنة تنكمش إلى أقل من ١٦٧ أي تقل عن الحقيقة بنحو ٢٣ سنة.

٧ — وأقرب من كل ما تقدم أن المدة من ميلاد إبراهيم باشا سنة ١٧٨٩م إلى الآن ـ ١٩٤٩ م ـ بلغت ١٦٠ سنة انتظمت في ثناياها أربعة أجيال:

جلالة الملك فاروق، ووالده جلالة الملك فؤاد الأول ـ طيب الله ثراه ـ

---

(١) خزانة الادب جزء ٢ صفحة ١٢٢

ثم جده الأول إسماعيل. ثم جده الثانى إبراهيم باشا و ١٦٠ — ٤ = ٤٠ سنة هى متوسط عمر الجيل هنا : وهذا الشاهد يؤيد تحديدى ١٠٠ ٪ ولو أنه ليس حدا ثابتا، إذ هذه الأربعون هى الحد المتوسط، فقد تنزل إلى ٣٨ ، وقد ترتفع إلى ٤٢ سنة .

ا — بينى وبين بحاثة :

بعد أن دعمت عمر الجيل بهذه الدعامات هزتنى نشوة السرور، فاتصلت بأستاذى البحاثة حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير إبراهيم بك مصطفى عميد دار العلوم سابقا[١] ، وعضو المجمع اللغوى الآن ، وعرضت عليه ماوصلت إليه فى تحديد عمر الجيل ، فهنأنى وقال : لاتنس أنه قد سبقك بمثل هذه البحوث وهذا التحديد بعشرات السنين (برسفال)[٢] فى أنساب العرب

ب — فقد جعل عمر الجيل ٣٠ سنة ، ولكنى لم أوافقه على رأيه ، واستصوبت أن يكون عمر الجيل ٢٥ سنة لا ٣٠ ؛ لأن الحروب المستمرة كانت تباكر العرب بالفناء ، فكانوا يتزوجون فى سن مبكرة ، قبل أن يقتلوا فى سن مبكرة ، إذ قليل منهم من كان يبلغ الستين ،فضلا عما فوقها !.

ولكنى أوضحت لأستاذنا البحاثة وجهة نظرى بالبراهين السبعة التى تقدمت ، وأخبرته أنى بصدد العثور على أدلة أخرى ذات بال[٣] ، فشجعنى بما يناسب أخلاق العلماء .

جـ — ومن عجب أنى بعد اطلاعى على هذه الحدود الثلاثة لمتوسط عمر الجيل ، عثرت على رأى (العلامة الألمانى غلازر)[٤] فوجدته قد جعل

---

(١) بعد إحالة عزته إلى المعاش رأت جامعة فؤاد الأول الانتفاع بتجاربه فانتخب عميدا مرة أخرى عند طبع هذا الكتاب (يونية ١٩٥٠م) .

(٢) A. P. Caussin De Perceval

(٣) وقد عثرت بالفعل على خمسة أدلة أخرى مذكورة هنا .

(٤) العرب قبل الاسلام . ج ١ ص ١١٩ .

المتوسط لعمر الجيل ٢٥ سنة، عند تقديره مدة ملوك سبأ، وقد بلغ عدد من عثر عليهم ٢٧ ملكا .

وهذا بيان بأشهر ماقيل فى متوسط عمر الجيل :

	الزمن المحقق من فاروق إلى إبراهيم	على تحديدى مقدار المدة	نظر ابن خلدون مقدارها فى	رأى برسفال مقدارها فى	رأى غلازر مقدارها فى	فى رأى أستاذنا إبراهيم بك مصطفى
عمر الأجيال الأربعة	١٦٠	١٦٠	١٣٣,٣	١٢٠	١٠٠	١٠٠
عمر الجيل	—	٤٠	٣٣,٥	٣٠	٢٥	٢٥

٨ — التجربة الثامنة : زمن سيل العرم

إذا كان الأدباء فى حاجة إلى تجربة جديدة ليتبينوا بها مبلغ مافى قاعدتى من حصانة بعد أن دعمت قواعدها ، وثبت قوائمها بالبراهين السبعة الماضية فليسمحوا لى أن أتعمق بهم قليلا فى غياهب الجاهلية، لأدلهم على حادثة هامة غيرت مجرى التاريخ فى الجزيرة العربية !! وأى حادثة أروع ، بل أى مأساة أوجع !! من مأساة « سيل العرم » وتقويض سد مأرب ، وقضائه على مدنية سبأ ، ودولتها ،وشعبها، وتمزيقها كل ممزق ، فى أطراف الجزيرة! لقد سجلت هذه المأساة عبرة فى الغابرين . وضربت مثلا فى تمزيق الشمل ، فأصبح يقال لكل طائفة ذهبت بددا : « تفرقوا أيدى سبأ » .

ومازال صوت القرآن يدوى بقوله تعالى: « فجعلناهم أحاديث،ومزقناهم كل ممزق ، إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

لقد ظلت هذه الفاجعة عميقة الأثر فى كل القبائل العربية ، ومابرحوا يتناقلونها أحقابا متطاولة ، خلفا عن سلف كفجيعة قاسية ، وعبرة لمن يتذكر من ذوى الألباب ، ، ثم تلتها أحقاب أخرى اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ، والحق بالباطل ! فلاعجب أن يكون قدامى المؤرخين فى عماية من حقيقتها ، لطول العهد ، وكثرة مانسجته الأخيلة حولها .

زمن هذه الكارثة :

لقد رأى بعض الباحثين أن زمن هذه الكارثة كان قبل الميلاد بمئات من السنين ، وجعله بعض آخر بعد الميلاد بمئات من السنين ، وكان (الآب أنستانس الكرملى) أعجب الجميع رأيا فى هذه المشكلة التاريخية ، إذ انتهز الفرصة عند نشر « كتاب الإكليل للهمدانى » ج ٨ فقرر فى الهامش (١) مايأتى :

« اتضح اليوم للعلماء أن انهدام سيل العرم كان بين ٥٤٢ م وسنة ٥٧٠ م ، وليس قبل ذلك كما توهمه كثير من علماء العرب ، وبصراء الغرب » .

رأيى

ومعذرة إذا خالفته فى الرأى ، معتمدا على الأدلة الأربعة الآتية :

١ — الدليل الأول منطقى :

هو أنه لو ثبت أن سيل العرم كان بين هذين الزمنين اللذين حددهما لكانت دلالته أن انهدام « سد مأرب » و « اندفاع سيل العرم » كانا قبل ميلاد سيدنا محمد ﷺ بأشهر أو بسنة على الأكثر ، ولوصح هذا لربطوا بهذا الحادث مولد النبى ﷺ وقالوا : ولد بعد سيل العرم بسنة مثلا ، كما قالوا ولد فى عام الفيل ، ولكنهم لم يؤرخوا إلا بعام الفيل ، مع أنه أهون من سيل العرم ، فهذا دليل على أن الصلة كانت منقطعة بين هذا السيل ومولد خاتم الرسل ؛ وأن الزمن بينهما كان يبلغ مئات السنين لا سنة أو بعض سنة كما يقول خالد الذكر الكرملى .

٢ — الدليل الثانى تاريخى :

وهو أن الزمن الذى حدده هذا العلامة بطرفيه كانت فيه بلاد العرب محتلة بالجيش الحبشى ، بل كان قد مضى على احتلالها نحو ٦٩ سنة ، لأن

---

(١) ص ٢٦٨ ج ٨ كتاب الاكليل .

هذا الاحتلال كان بإجماع المؤرخين ، فكيف يتفق تحديد (الآب الكرملى) مع هذا الإجماع ! وقبل الأحباش كانت دولة حمير تخفق أعلامها على بلاد اليمن ، ومن المعلوم أن دولة حمير لم تقم إلا على أنقاض دولة سبأ، بعد انهيار السيل ، وأن ذلك كان قبل الميلاد المسيحى ! فكيف غابت كل هذه الحقائق عن بحاثتنا ـ طيب الله ثراه ـ كل مافى الأمر أن الأحباش رموا السد فى عهدهم ، لتهدم بعض جوانبه . ويفهم هذا من عثور العلامة الألمانى «غلازر» على أثرين عليهما نقوش ، تفيد هذا التهدم الجزئى أيام الأحباش ، وأحد الأثرين مؤرخ سنة ٥٣٩ م (٨٣ ق هـ) وثانيهما سنة ٥٦٥ م (٥٧ ق هـ) ، واستغرق ترميم السد فى المرة الثانية نحو ثلاثة عشر شهرا (١) وقد سبق هذين الانفجارين كثير غيرهما .

٣ - (الدليل الثالث) معدوما بدليل المعاصرة

إن الزمنين اللذين حددهما (الآب الكرملى) لسيل العرم هما ٥٤٢ م و٥٧٠ م وهذا الوقت كانت فيه (دولة اللخميين) مرفوعة العمد فى العراق ، بل كان قد مضى عليها مايقرب من ثلاثة قرون ، ومثلها (دولة الغساسنة) فى حوران بالشام، وإجماع المؤرخين العرب قد انعقد على أن هاتين الدولتين ملوكهما من فلول اليمنيين ، الذين أرغمهم سيل العرم على الهجرة إلى هذه المواطن الجديدة ، فأسسوا فيها بعد قرون هاتين المملكتين ، ومؤرخو الفرس والروم لايختلفون مع مؤرخى العرب فى هذا، فأى الفريقين نصدقه ؟ هؤلاء جميعا أم الآب الكرملى وحده ؟ .

وليس الزمنان متقاربين حتى كنا نتحمل الأعذار ، ونقرب بين وجهتى النظر ، ولكن تطاول العهد ، ومرور بضعة قرون ، بين تقدير الطرفين، يجعل هذه المحاولة نوعا من العبث .

(ب) هذا من جهة المعاصرة ، أما من جهة الأجيال النسبية ، فإن شجرة

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٠٩ و Mitt . 1897

الأنساب تدلنا على أن «عمرو مزيقيا» ملك سبأ، وهو الذى نبأته العرافة بحدوث السيل ، ثم حدث السيل فعلا بعد هجرته ببضع سنين . هذا الملك وهو جد الأوس والخزرج كان منه إلى (العصر النبوى) ١٧,٥ جيلا مدتها ٥ر١٧ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة قبل الهجرة ، وبضم العشرين سنة الاحتياطية[١] يكون انفجار السد واندفاع السيل سنة ٧٢٠ قبل الهجرة (نحو ١٠٠ قبل الميلاد) .

٤ - (تضافر الدليل النسبى مع الدليل النقشى)

وبموازنة الدليلين نجد أن العالم الألمانى « غلازر » قدر لوقوع هذه المأساة سنة ١١٥ ق م[٢] ، وبذا لم يبعد عن تقديرى إلا نحو خمس عشرة سنة .

وقص علينا الأستاذ المرحوم الخضرى بك[٣] أن العلامة الفرنسى سيديو قدر لوقوع السيل سنة ١٢٠ ق م ، وهذا التقارب بيننا يدل على أن البون شاسع بين تقادير نا نحن الثلاثة من جهة ، وتقدير (الأب الكرملى) إذ يبلغ نحو ٦٧٣ سنة زائدة على متوسط الفترة التى حددها غلازر ، و ٦٧٨ عند سيديو ، و ٦٥٨ عند دليل النسب .

ومن جهة ثانية نجد الحادث عندنا نحن الثلاثة ، حدث قبل الميلاد ، وعنده بعده .

وفى هذا التفاهم العجيب بين منطق النقوش ، ومنطق التحديد الذى اخترته لمتوسط عمر الجيل ، مايدل على متانة نظريتى ، مع أنها لم تستعمل من قواعدها الخمس إلا قاعدة النسب وقاعدة المعاصرة .

٩ - (الدليل التاسع) على أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة :

---

(١) الاربعون سنة التى اخترتها لمتوسط عمر الجيل وسط بين ٢٠ و ٦٠ فهى فى تحديد الزمن قد تزيد ٢٠ سنة على الاكثر فى كل الأجيال المتصلة بسلسلة النسب وقد تنقص ٢٠ سنة كذلك .

(٢) Glaser, Abb .30 و ص ١١٩ ج ١ من العرب قبل الاسلامى

(٣) تاريخ الدول الاسلامى ج ١ ص ١٧

من ملوك اللخميين فى العراق (الملك جذيمة الوضاح)

وقد صار من المقرر ـ اعتمادا على السجلات الملكية فى دواوين المناذرة والفرس ـ أن هذا الملك تولى من ٢٥١ م ـ ٢٦٨ م — ٣٨٣ ق هـ ـ ٣٦٥ق هـ وأيدت هذا السجلات الكنسية ، التى أشادت بذكره ، لأنه أول من تنصر من ملوك اللخميين فى العراق .

فهل علم النسب وعلماء الرواية يؤيدون هذا ؟

(ا) استفتيهم فأفتونى بما يأتى :

الملك جذيمة أبوه (مالك بن فهم) ، ومن أعمامه (سُليم بن فهم) ومن إخوته (الحارث بن مالك بن فهم)

فمن ذرية سليم (الصحابى المشهور : أبو هريرة : عمير بن عامر) ومن عميرة إلى سليم بن فهم عشرة أجيال (١)

كما أن من ذرية الحارث بن مالك بن فهم (الصحابى الجليل القاضى كعب بن سور) ومن كعب هذا إلى مالك بن فهم عشرة أجيال أيضا (٢)

و ١٠ × ٤٠ = ٤٠٠ سنة قبل الهجرة ولكن (الملك جذيمة بن مالك ابن فهم) يقل عن أبيه جيلا ، ومثله أخوه (الحارث بن مالك بن فهم) الجد السابع للصحابى كعب بن سور المتقدم ، وعمر الجيل نحو ٤٠ سنة ، وبطرحها من ٤٠٠ سنة المتقدمة ينتج ٣٦٠ سنة قبل الهجرة ، وهذه توازى من السنين الميلادية (الشمسية) سنة ٢٧٣ م تقريبا ، وقد تقدم أن (الملك جذيمة) توفى سنة ٢٦٨ م ، فكان سلسلة النسب ،لم يبعد زمنها عن الزمن المسجل فى السجلات الملكية. عند المناذرة واللخميين والفرس ، والسجلات الكنسية

---

(١) أجيال أبى هريرة هى : أبو هريرة بن عامر بن عبد ذى الشرى بن طريف ابن عتاب بن أبى صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم ١ هـ من الاشتقاق ص ٢٩٥

(٢) أجيال القاضى كعب إلى فهم هى :

كعب بن سور بن بكر بن عبد بن ثعلبة بن سليم بن ذهل بن لقيط بن الحارث بن مالك ابن فهم ١ هـ نقلا عن أسد الغابة حـ ٤ : ٢٤٢ .

إلا خمس سنوات . فهل هذا الفرق يؤبه له فى أربعة قرون ؟ وهل إذا جاوزت قاعدتى سنة واحدة فى كل مائة سنة ، حققها المؤرخون، يكون هذا التجاوز مدعاة للشك فى متانتها ؟

(١٠) الدليل العاشر : نقل إلينا تاريخ العرب قبل الإسلام (١) أن بنى قضاعة أقدم النازحين من القبائل العربية ، ثم قال : ويظهر أنهم نزحوا حوالى تاريخ الميلاد أو قبله قليلا .

التحقيق :

بعض علماء النسب يعتبر قضاعة ابن مالك بن عمرو من القحطانيين ، وبعض آخر قرر أن قضاعة ابن عدنان ، وقد أورد الرأيين ابن حزم فى الجمهرة (٢) .

ا ـ فعلى أن قضاعة من القحطانيين نجد الأجيال منه إلى قحطان ١١ جيلا (٣) ثم منه إلى عصر النبوة ـ فى المتوسط ـ ٢٢ جيلا ، فزمنها ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، أى قبل الميلاد بنحو (٨٨٠ ـ ٦٢٢) ٢٥٨ ولكن الجلاء لم يكن فى عهد قضاعة نفسه رأس هذه القبيلة ، بل كان فى عهد (حزيمة بن نهد القضاعى) حفيده السادس ، ومن حزيمة إلى قحطان ١٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوه نحو ١٤ جيلا ؛ زمنها ١٤ × ٤٠ = ٥٦٠ سنة أى بعد الميلاد (بنحو ٦٢ سنة) لأن الهجرة كانت ٦٢٢ م . فتحديد زمن الجلاء باعتبار قضاعة من القحطانيين كان فى القرن الأول الميلادى لا قبله كما سطره جورجى زيدان، نقلا عن الغربيين .

ب ـ وعلى اعتبار (قضاعة) ابن عدنان نجد من عدنان إلى عصر النبوة

---

(١) ج ١ : ١٧١ (٢) جمهرة أنساب العرب ٢١١

(٣) لأنه قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ الأكبر ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

فى شجرة القريشيين ٢٢,٧ حيلا فمن حزيمة إلى عصر النبوة (٢٢,٧ - ٩ = ١٣,٧ جيلا مدتها ١٣,٧ × ٤٠ = ٥٤٨ سنة أى بعد الميلاد بالفرق بين ٦٢٢ ، ٥٤٨ وهو ٧٤ سنة وهذا العدد لا يزيد على ٦٢ إلا بنحو ١٢ سنة مما يدل على أن قضاعة الغلام كان حقا فى زمن عدنان الشيخ على أى نسبة .

(فالنتيجة) : (١) أن هجرة قضاعة فى عهد حزيمة كانت فى القرن الأول الميلادى لا قبله، سواء أكان القضاعيون من القحطانيين أم من العدنانيين ، (٢) والنتيجة الثانية أن تحديد عمر الجيل بأربعين سنة ، يتفق تمام الاتفاق مع الزمن الذى قدره علماء الغرب، لهجرة قضاعة، استنباطا من التواريخ المقارنة

الدليل الحادى عشر :

انتهى علماء الغرب من تقرير أن (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام كان فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، [1] فهل فى قاعدتى ما يؤكد هذا التاريخ ؟

تحقيق

(١) ذهب مؤرخو العرب مذاهب شتى ، فى حصر عدد الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ، فأكثر ما نقلوه هو ٤ جيلا - وهو الموجود عند أهل الكتاب - أخذوه من كاتب (إرميا) [2] ، وقد ذكر أسماء هذه الأجيال الأربعين الأصفهانى [3] ، فاذا ضم إلى هذه عدد الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان وهو ٢٢ جيلا ، كان عدد أجيال الفترتين : ٤٠ + ٢٢ = ٦٢ جيلا

(٢) ويضرب ٦٢ × ٤٠ ينتج ٢٤٨٠ سنة من إسماعيل إلى عصر النبوة منها ٦٢٢ سنة من ميلاد المسيح عيسى إلى الهجرة ، فالباقى ١٨٥٨ سنة ق م ، وبهذا ينتج أن (إسماعيل) كان حقا فى القرن ١٩ قبل الميلاد .

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ : ١٦٧

(٢) البداية والنهاية ج ٢ : ١٩٢

(٣) الاغانى ج ١ : ١٣ (طبع دار الكتب المصرية)

اسماعيل على رأى ابن خلدون :

ولو أردنا أن نقدم برهانا آخر على أن متوسط عمر الجيل ، عند ابن خلدون ليس بدقيق ، لكان أسهل الطرق لهذا .

أن تضرب عدد الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد فى ٣٣,٣ متوسط عمر الجيل عنده أى ٦٢ × ٣٣,٣ = ٢٠٦٤,٦ سنة قبل الميلاد وبعده

والسنوات التى قبل الميلاد = ٢٠٦٤,٦ − ٦٢٢ = ١٤٤٢,٦ سنة ق م وهذا يدل على أن إسماعيل كان فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد (عند ابن خلدون) وهو يقل عما قرره المؤرخون الغربيون بأربعة قرون ونصف ، فى الوقت الذى اتفقت فيه نظريتى مع ما قرروه ١٠٠ ٪

(١٢) عمر الجيل فى الكتب المقدسة :

ومالنا نذهب بعيدا ونتصيد الحجج من هنا ومن هناك ، للبرهنة على تقدير الجيل بأربعين سنة ، وأن هذا أدق التقارير ، وهذا (القرآن) بين أيدينا ، ألم يقرر فى سورة المائدة آية ٢٦ لما أراد الله سبحانه أن يستأصل بنى إسرائيل الذين طبعوا على الذلة فى مصر ، واستمراء العصيان والفسوق ، انقذهم سيدنا موسى بالهجرة منها ، ثم دعاهم إلى حرب عدوهم فقالوا .

« اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون . قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » ، ومثل هذا فى (سفر التثنية) فى الإصحاح الأول من « التوراة » وجاء فى سفر العدد فى الأول .

« وكلم الرب موسى . . . قائلا : أحصوا كل جماعة بنى اسرائيل . . . من ابن عشرين فصاعدا ، كل خارج للحرب » وفى الاصحاح ٣٣ من سفر العـــدد أيضا بيان المواضع التى نزلوا فيها بين كل مرحلة وأخرى ، وقد قطعوا فى السنتين ٣٢ موضعا ، ومن « قادش » استأنفوا التيه ، وظلوا

أيضا فيه ٣٨ سنة حتى عبروا « وادى زارد » كما فى سفر التثنية فى الإصحاح الثانى .

والزمنان ٢ + ٣٨ = ٤٠ سنة وهى التى صرح بها القرآن

[النتيجة] ففى هذه النصوص دليلان : (الأول) أن تحديد الجيل بأربعين سنة أدق من تحديد ابن خلدون ، ومن أتوا بعده ، سوى « الثانى » أنه عند انتهاء التيه كان قد مر على شبان بنى إسرائيل، الذين اختارهم موسى ٦٠ سنة ، وقد أخبرتنا التوراة أنهم كانوا قد انقرضوا جميعا ، فلم يدخل الأرض المقدسة إلا أبناؤهم ، بعد أن فنى كل الجيل السابق ، فتحديد ٦٠ سنة لنهاية الأعمار، تحديد غالب معقول، كما أن تحديد متوسط عمر الجيل بأربعين سنة ، تحديد أيدته التجارب القديمة والحديثة ، وعاضدته الحوادث التاريخية المشهورة، وأرشدت إليه الكتب السماوية : التوراة أولا ، والقرآن أخيرا .

اختلاف المؤرخين

بعد أن كتبت ما كتبت هنا ، ووصلت إلى هذه النتيجة، عرضت الأمر على صديق لى ممن يقدسون كل قديم ، وينفرون من كل جديد ، واثقين من قول القائل : « لم يترك الأول للآخر شيئا »

ساخرين من سخرية ابن قتيبة [1] فى قوله : « رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده ، إلا أنه قيل فى زمانه ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده »

---

(١) الشعر والشعراء ص ٧

ولم يسلم من هذا الداء حتى العلماء الراسخون ، وهذا «أبو عمرو بن العلاء» لأنه عاصر جريرا والفرزدق والأخطل وسمع شعرهم كان يقول :

« لقد نبغ هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته » ! !

فمع اعترافه بنبوغ هؤلاء الشعراء ، وحسن شعرهم تورع عن روايته لا لعيب سوى أنه حديث ! !

فلا بدع أن يقابلنى صديقى العالم بما عرف عن المتورعين من قديم ، ولا عجب أن ينتهز فرصة الاختلاف ، بينى وبين اثنين من العلماء المشهورين ، لزمن سيل العرم ويقول : إن قاعدة تخالف الحقيقة التى استأثر الله وحده بعلمها ، وتباعد بين أقوال علماء الآثار بنحو ٢٧ سنة قاعدة منهارة ، لا يسوغ لمن يتحرى الدقة أن يركن إليها فى تاريخ أمم ، وتقويم شعوب ، وتحديد مدنيات ! !

ردى : وردى على أخى العالم وشيعته من ناحيتين :

(الأولى) أنه لم يتفق اثنان من الباحثين على رقم واحد لتعيين الزمان الذى حدث فيه سيل العرم ، فلم يريدون منى مالم يرد من باحث قبلى !

(الثانية) أن الخلاف بين تحديدى وتحديد (سيديو) وهو ٣٢ سنة ، وبينى وبين (غلازر) وهو ٢٧ سنة ، ليس بالفرق الذى تهتز له الرواسى ، أو بالأمر الذى يكون مدعاة للشك فى قاعدتى . فإن المؤرخين ما برحوا يختلفون لا فى ٣٢ أو ٢٧ سنة بل اختلفوا بالفعل إلى درجة أن الفرق بين مؤرخ وآخر بلغ نحو ١٠٠٠ سنة ، أى أكثر من ٣١ ضعفا لما بينى وبين سيديو من خلاف ، بل فى الكتب المقدسة ماهو أعمق من تقادير الباحثين المدنيين

وسأتعمد أن أسوق أمثاجا من الأدلة ، فى تواريخ الأمم المختلفة ، وسأبدأ هنا بتاريخ الفراعنة ، لأنه مبنى فى الغالب على ما أنبأت به آثارهم ونقوشهم ، على جدران معابدهم وهياكلهم وتماثيلهم وأوراق البردى ، ومع هذا تجد فى تاريخهم حلقات مفقودة ، كما تجد حلقات مثلها مفقوده فى بعض

سلاسل النسب ، فنشأ من ذلك الاختلاف الشديد بين المؤرخين، لأسباب كثيرة أهمها ، سقوط بعض الأسر من الأحجار، كتاريخ العمالقة وإن لم يتم كشف جميع الآثار إلى الآن ، فاستعان الباحثون بما عثروا عليه من المصادر الأخرى ، فحدث بينهم هذا الاختلاف .

نماذج من اختلاف المؤرخين

١ ـ أخبرنا المرحوم « أحمد بك ـ باشا ـ كمال » الأثرى المصرى فى كتابه « بغية الطالبين » أن علماء الآثار اختلفوا فى مبدأ تأسيس الدولة المصرية . وهذه آراء بعضهم :

[بوبك]	جعله	٥٧٠٢ ق . م
[أبخر]	«	٥٦١٣ ق . م
[مريت]	«	٥٠٠٤ ق . م
[بروكش]	«	٤٤٠٠ ق . م ووفق المدد التى أوردتها الآثار
[لوت]	«	٤١٥٧ ق . م
[لبيسيس]	«	٢٨٩٢ ق . م

وإذا أمعنا فى النظر رأينا أن هذه الفروق البعيدة ، مؤسسة فى الغالب على ماهو مدون فى ملخص النسخ المشتملة على تاريخ « مانيتون » التى لابد أن يكون حدث بها تحريف ممن كلفوا نقلها .

وألاحظ أن الفرق بين أصغر هذه التقديرات وأكبرها ٢٨١٠ سنة وهو كثير كما ترى .

صنيع شاباس :

وقد راعت هذه الفروق كثيرا من الباحثين ، وأن حساب تلك المدد بالدقة المطلوبة، موجب للوقوع فى الغلط لبعدها عنا ، فاستصوب « شاباس » حسابها بالقرن ؛ حذرا من الوقوع فى هذه الأخطاء ، وهذا بيانها عن المؤلف المذكور :

القرن قبل الميلاد :

٤٠ قرنا المدة الخرافيه « ماقبل التاريخ »

٤٠ « تاريخ ولاية مينا أول الفراعنة

٢٣ « بناء أهرام الجيزة

٢٨ « تاريخ ولاية الملك « بيتى » من الأسرة الخامسة

٢٤ ـ ٢٢ مبدأ حكم الأسرة الثانية عشرة

١٨ قرنا خروج العمالقة من مصر ، وابتداء الدولة الجديدة (١٨)

١٧ « تاريخ ولاية الملك « تحوتمس الثالث »

الاختلاف حتى فى الكتاب المقدس

وأعجب من كل ماتقدم، أن نجد اختلاف التقدير حتى فى التوراة ، فقد ورد فيها إحصاء بنى إسرائيل مرتين : مرة فى الإصحاح الأول من (سفر العدد) ومرة فى الإصحاح السادس والعشرين منه ، وهذا بيان الإحصائين مع النقباء الاثنى عشر :

عدد	النقباء «الاسباط»	احصاؤهم فى الاصحاح ١١	فى الاصحاح ٢٦	مقدار مازاده الاول أو ما نقصه
١	رأوبين	٤٦٥٠	٤٣٧٣٠	+ ٢٧٧٠
٢	شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠	+ ٨١٠٠ ٣
٣	جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥٠٠	+ ٥١٥٠
٤	يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠	— ١٩٠٠
٥	يساكر	٧٤٤٠٠	٦٤٣٠٠	+ ٩٩٠٠
٦	زبلون	٥٧٤٠٠	٦٠٥٠٠	— ٣١٠٠
٧	افرايم	٤١٥٠٠	٥٢٧٠٠	— ١٢٢٠٠
٨	منسى	٣٢٢٠٠	أق ٣٢٥٠٠	+ ٣٠٠
٩	بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠	— ١١٢٠٠
١٠	دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠	— ١٧٠٠
١١	أشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠	— ١١٩٠٠
١٢	نفتالى	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠	+ ٨٨٠٠

نموذج آخر فى الاختلاف الأدبى

فى زمن امرىء القيس بن حجر

	العدد	المصـــدر	بالتاريخ الهجرى	بالتاريخ الميلادى	ملاحظات
٢	١	المواهب الفتحيه لحمزة فتح الله ج ١ ص ٤٣ قدرها بنحو	١٤٣ ق هـ	٤٩٢ م	قدرها بالتاريخ الهجرى
٣	٢	ونقل عن ابن قتيبة أن بينه وبين الاسلام ٤٠ سنة وهذه توازى	٥٣ ق هـ	٥٦٩ م	
	٣	ديوان العمدة لابن رشيق ١٤٨ قبل البعثة بنحو ١٥٤ سنة	١٦٧ ق هـ	٤٥٥ م	
		هذه تقادير القدماء وفيما يأتى تقادير العصريين :			
٤	٤	دائرة المعارف الاسلامية	٨٥ ق هـ	٥٣٧ م	قدرها بالتاريخ الميلادى
٥	٥	ديوانه المخطوط بدار الكتب المصرية	٨٣ ق هـ	٥٣٩ م	» » »
٨	٦	شعراء النصرانية للأب لويس شيخو	٥٧ ق هـ	٥٦٥ م	» » »
١	٧	سيديو فى مختصر تاريخ العرب	١٧٢ ق هـ	٤٥٠ م	» » »
٢	٨	الشهاب الراصد للأستاذ لطفى جمعه	١٢٢ ق هـ	٥٠٠ م	» » »
٣	٩	الوسيط للسكندرى وعنانى قد يكون أبعد من	١٠٠ ق هـ	٥٢٢ م	» » الهجرى
٦	١٠	تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية (لرجال وزارة المعارف) ص ١٥١	٨٢ ق هـ	٥٤٠ م	» » الميلادى
٧	١١	العرب قبل الاسلام لجورجى زيدان ص ٢١٨	٦٢ ق هـ	٥٦٠ م	» » »
٩م	١٢	أدباء العرب للبستانى — وكأنه أخذه من الأب لويس شيخو		٥٦٥	
	١٣	نظريتى	٣٧ ق هـ	٥٥٩ م	قدرتها بالهجرى والميلادى

obeikandl.com

تعقيب وتحقيق

(١) تقدير القدماء ليس بشيء ماعدا (ابن قتيبة) فهو أقربهم إلى الحقيقة؛ لأن (أمرأ القيس كان يعاصر قيصر الروم (جوستنيان) ، وهذا الملك تولى الحكم من ٥٢٧م ، وكان يعاصر كذلك (كسرى أنو شروان) لأنه هو الذى أمد (المنذر ابن ماء السماء) بجيش ليطارده، وأنو شروان تولى من سنة ٥٢٦م، كما أن المنذر اللخمى ابن ماء السماء تولى من ٥١٤م . فلو أن شاعر كندة كان عمره ٤٠ سنة فى الزمن الذى قدره له ابن قتيبة، لكان عمره عند وفاة حجر أبيه (٤٠ + ٩٥ = ١٣٥ سنة) لأن هذه الوفاة كانت سنة ٥٥٠ م وقد عاش بعدها نحو عشر سنوات ، فكأنه قد عاش ١٤٥ سنة ولم يقل أحد إنه كان من المعمرين، بل أجمعوا على أنه عندما طرده أبوه لتغزله ببنت عمه علنا ، كان شابا غرا فى سن البلوغ، وهى سن الطيش ، ولم يعش بعدها أكثر من عشر سنوات مطالبا بثأر أبيه ، فتقدير (ابن رشيق) ليس بشيء ، كذلك ما أشبهه ، وأقربهم إلى الصواب رأى ابن قتيبة .

(٢) كما أن (رأى سيديو) فى المحدثين أبعد الآراء عن الحقيقة لما بينت ، ويخيل إلى أنه استقاه من (ابن رشيق) .

(أ) كيف هرمت زهير :

تقدم أن متوسط الأجيال فى قبيلة كهلان من جيل النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا .

ولكننا إذا عددنا الأجيال من الصحابى الجليل حُجر بن عدى وهو من شجرة كهلان ، من عشيرة امرىء القيس الأقربين وجدناها ٢٥ جيلا ، إذن الطبقات لا تسعفنا فى فرعه ، لوجود بعض أجداده المعمرين ، الذين هبطوا بالعدد نحو ستة أجيال ، فى مدة تقرب من ١٣٠٠ سنة .

(ب) ففى هذه الحالة لا مناص من التجائنا إلى أنساب طائفة أخرى مركزها غير قحطان ، وقد وقع اختيارى على ثلاثة من هذه العشيرة :

١ ـ الشاعر (عمرو بن أبى الجير) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرىء القيس أيضا ٦ أجيال .

٢ ـ والصحابى (حجر بن عدى) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرىء القيس أيضا ٧ أجيال .

٣ ـ والصحابى (شريح بن مرة) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرىء القيس أيضا ٨ أجيال .

فهذه ٢٤ جيلا متوسطها ٨ أجيال .

(٤) ثم عرجت على « الشاعر امرىء القيس » فوجدت منه إلى «معاوية» جده وجدهم ٧ أجيال .

فخرجت من هذه الموازنة بنتيجة : هى أن « امرأ القيس » تقل الأجيال التى بينه وبين جده معاوية عما عند ثلاثة ، عاصروا النبى ﷺ بجيل واحد، وهؤلاء الثلاثة من عشيرته .

وكان مقتضى هذا ، أن يكون شاعرنا قبل البعثة المحمدية ، بنحو أربعين سنة ؛ وهذا يوافق استنتاج ابن قتيبة تمام الموافقة ، ولكن امرأ القيس لم يعش حتى يبلغ الأربعين ، إذ أن والده عندما طرده لعودته إلى نظم الشعر بعدما نهاه كان غرا نزقا ، لا يكاد يبلغ العشرين من عمره ؛ ويتبين هذا فى قوله ـ وهو أول شعر نظمه كما يقولون ـ :

أذود القوافى عنى ذيادا ذياد غلام جرىء جوادا
فلما كثرن وعنينه تخير منهن ستا جيادا

فلم يجد بدا من أن يكشف القناع ، ويسير فى أحياء العرب ، ويختلط بشذاذهم ؛ وما زال يهيم وراء ما يشتهى ومن يشتهى ، حتى قتل أبوه ، وأتاه

نعيه . فكان المقاطعة أثرها ، وللصبوة أمرها ، فظل يحتسى ويحتسون ، حتى انفض السامر ، فبدأ الفتى يفكر فى الثأر ، ويستنصر القبائل ، وأخيرا دفعه إلى أن يستنجد بقيصر الروم « جوستنيان » .

ويحدثنا « نونوز » المؤرخ اليونانى أن « جوستنيان » قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع فى إصلاح أمره ، وإعادة ملكه ، فضجر ، وعاد إلى الجزيرة ولم يلبث أن مات !

(زمن وفاته) فتكون وفاته قبل الهجرة بنحو ٦٣ سنة ، وقبل الرسالة بنحو خمسين سنة ، وهذا الزمن يوازى بالتاريخ الميلادى سنة ٥٥٩م حسبما قدمت ، أى بعد وفاة أبيه بنحو ٩ سنوات .

(زمن جوستنيان) ولكى يزيد الباحث اطمئنانا ، نربط هذا الزمن بزمن الشاعر ، فنجد عاهل الروم تولى من ٥٢٧ — ٥٦٥ م كما تقدم ، ووفاة (امرىء القيس) كانت سنة ٥٥٩ م كما برهنت . فيكون الشاعر قد لجأ قبل نهايته بنحو ستة سنوات إلى العاهل .

تقديرى وتقديرهم

فيكون أقرب التقادير إلى تقديرى ما نقله « جورجى زيدان » إذ جعل وفاة امرىء القيس سنة ٥٦٠م .

وأبعدها عن تقديرى عند المحدثين ماقرره « سيديو » من أنها كانت سنة ٤٠٠م .

وأبعدها عن تقديرى عند القدماء ما قرره « ابن رشيق » من أنها كانت سنة ٤٥٥م .

والغريب أن هذين التقديرين كادا يلتقيان ، مما يدل على أن « سيديو » استهدى « ابن رشيق » فى تقديره .

بينى وبين جورجى زيدان

والسؤال الذى يبدو الآن : كيف التقيت وجورجى زيدان إلى هذا الحد العجيب ! لا بد أن يكون قد سبقنى بهذه النظرية التى ابتكرتها ، وهذه الدعامات التى شددت بها أسرها !

وأبسط ما أجيب به أن هذا البحاثة لم يجعل متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة كما جعلته ، بل قدره ٢٥ سنة ، متابعة لرأى علامة الألمان « غلازر » ولم يعتمد على التاريخ الهجرى ، أو متوسط عمر الأجيال العدنانية أو القحطانية كما اعتمدت - وهى أمور لها قيمتها - بل كل ما راعاه «دليل المعاصرة» ، وربط تاريخ امرىء القيس بملوك فارس أو الروم ، وهم الذين اتصل بهم ، فليس للرجل نظرية عامة ، يطبقها على الحوادث والأشخاص كما فعلت ، إنما له ذكاؤه ، وصبره ، واطلاعه على ما خطه الباحثون ، فى اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية(١) والعربية .

أسس نظريتى

الآن وقد فرغت من تحديد متوسط عمر الجيل ، فى سلسلة النسب ، وبرهنت على أن هذه الأربعين سنة ، وسط بين العشرين - مبدأ الزواج - والستين - متوسط نهاية العمر ، وسقت الأدلة التاريخية والدينية على مبلغ الخلاف ، فى تحديد الأرقام بين مؤرخ وآخر . يطيب لى بعد ذلك كله أن أضع بين أيدى الباحثين أسس نظريتى وقواعدها الخمس بالترتيب الآتى :

١ - القاعدة الأولى (دليل الصحابة)

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٢٤

والغرض منه استنباط متوسط الأجيال، من عصر النبوة إلى (عدنان) أو (قحطان) فى كل القبائل العربية : كل قبيلة على حدة

(ا) وقد تبين عند البحث أن متوسط أجيال (ربيعة) ٢٥ جيلا

ومتوسط أربع من القبائل المضرية — أبناء عم قبائل ربيعة — ٢٠,٣ جيلا .

فمتوسط الأجيال — فى القبائل العدنانية — ربعية ومضرية من عصر الصحابة إلى عدنان ٢٢,٦٥ جيلا .

ولكن هذا المتوسط لا فائدة منه ، إلا عند تحديد الزمن من عصر النبوة إلى عدنان ، أو فى قبيلة غير القبائل الخمس الآتية ، إذ بناء على أن عمر الجيل ٤٠ سنة، يكون هذا الزمن ٤٠ × ٢٢,٦٥ = ٩٠٦ سنة أى نحو تسعة قرون قبل الهجرة ، وثلاثة قبل الميلاد ، فأدق النواحى لدليل الصحابة، أننا عند بحث الزمن لزعيم من زعماء (تميم) مثلا فى الجاهلية، نعتبر أن الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا فى هذه القبيلة ، اعتمادا على متوسط الأجيال الأربعة والعشرين صحابيا منها

ومتوسط الأجيال — فى قريش — فى هذه الفترة ٢٢,٧١ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال — فى قيس — فى هذه الفترة ٢٠,٥٤ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال — فى كنانة — فى هذه الفترة ١٩,٨ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

(ب) وعند بحث الأجيال فى قبائل العرب القحطانيين ، تبين لى أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان، فى (قبيلة حمير) ٣٠ جيلا وفى (قبيلة كهلان) ٣٢ جيلا. فمتوسطهما ٣١ جيلا .

٢ — والقاعدة الثانية « دليل النسب » أى نسب أى شخص من النابهين

نريد الترجمة له، وتعيين زمانه بِعَدِّ أجياله، منه إلى جده الأكبر « عدنان » أو « قحطان » ثم منه إلى دليل الصحابة فى سلسلة نسبه

عيب هذه القاعدة

وهذه القاعدة أضعف القواعد، إذ قد يكون « دليل الصحابة » لقبيلة ما فى شجرته ٢٢ جيلا، كما فى « قبيلة كهلان » القحطانية، ولسقوط بعض حلقات النسب، أو وجود معمرين، تنكمش الأجيال، فتصير ٢٥ جيلا، بعد أن كانت ٣٢ جيلا

وقد ظهر لى ذلك واضحا عند النظر فى «أقدمية الأفوه الأودى» الكهلانى وغيره، لهذا لا يصح الاعتماد نهائيا على « دليل النسب » إذا نقص أو زاد بمقدار ثلاثة أجيال، وفى هذه الحالة لا بد من ضم « دليل الصحابة » إليه على الأقل، ومع ما فى هذه القاعدة من ضعف لا بد منها، لأنها الدليل المباشر لتحديد زمن المترجم له.

٣ — والقاعدة الثالثة « دليل العشيرة » أى العشيرة القربى للمترجم له، وهى التى يجمعها وإياه جدهم الثالث أو الرابع مثلا، فقد يكون فى فرع نسبه بعض المعمرين، أو الحلقات المفقودة، أما فى فروع عشيرته الأقربين فلا يوجد شىء منهما، أو يوجد فى بعضهما، وفى هذه الحالة نستطيع تضييق دائرة الخلاف، بالإكثار من أفراد « دليل الصحابة » فى « عشيرته القربى »

٤ — والقاعدة الرابعة « دليل المعاصرة » وهذه القاعدة أعم وأدق من سوابقها، إذ قد يكون المعاصرون من عدة قبائل، فإذا اتفقوا فى عدد الأجيال إلى عصر النبوة — وهو « دليل الصحابة » — مع المترجم له، كان هذا الاتفاق دليلا على سلامة الرواية، وخلوها من المعمرين، أو من الحلقات المفقودة، وإذا اختلفوا وإياه، فمتوسط أجيال المعاصرين من قبائل شتى، كفيل بتضييق دائرة الخلاف فى عدد الأجيال أو السنين.

وقد نبحث عن « دليل النسب » لشخص ما فلانجده ، فلا يكون أمامنا حينئذ إلا « دليل المعاصرة » وقد ظهرت فائدة هذا الدليل عند بحثى عن زمن « أبى داؤد الإيادى » فقد حاولت العثور على سلسلة نسبه كاملة ، فى أكثر من عشرة مراجع ، فلما عجزت لجأت إلى المعاصرين له . فتبين أن منهم « امرأ القيس بن حجر الشاعر » وغيره من المعاصرين ، الذين ذكرتهم عند تحديد زمنه .

(٥) والقاعدة الخامسة وهى الأخيرة « دليل السجلات الملكية » .

وهذه القاعدة أمتن القواعد ، لأن للملوك فى فارس أو الروم أو المناذرة ، تاريخا مضبوطا مبدأ ونهاية ، وأى خلاف فى القواعد الأربع السابقة ، لا أمل فى الوصول معه إلى الحقيقة ، إلا إذا وجدنا صلة بهذا الدليل للترجيح ، ولذا أطلقت على هذه القاعدة « صخرة النجاة » وإذا عثرنا على « دليل السجلات الملكية » والصلة بينها وبين من نريد الترجمة له ، أمكننا الاكتفاء بدليل النسب معه ، وفى الغالب سنجد تطابقا ، أو فرقا لا يعتد به ، ولهذا أطلقت على هذين الدليلين « قطبى الكوكب » .

وليس من الضرورى عند تعيين أى زمن فى الجاهلية ، اليوم من أيام العرب ، أو شاعر من شعرائهم ، أو حادث من حوادثهم ، كسيل العرم أو شخصية من شخصياتهم الأخرى ، أن نستعمل كل هذه الأدلة ، بل أول مانبحث عنه « دليل النسب » فإذا وجدنا صلة بين المترجم له وبين أحد أولئك الملوك ، انتهزنا الفرصة ، ووقفنا بينه وبين « دليل السجلات الملكية » وكثيرا مانعثر بالدليل الأخير ، على مافى سلسلة النسب من حلقات مفقودة ، أو معمرين ، أو زيف فى قول الرواة : إن فلانا عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ ..

والدليل على متانة القاعدة الخامسة أنها لاتحتاج إلى البحث فى الأجيال ، أو عمرها ، لأنها أشبه بالجداول الرياضية ، أو منائر البحار ليلا .

أما القواعد الأربع السابقة فلا جدوى منها قبل أن نحدد عمر الجيل ،

بما حددته به ، مبنياعلى أسس متنوعة من النقوش ، والتاريخ القديم والحديث والكتب المقدسة ...

فمن الآن ، أصبح فى إمكان أى باحث، أن يحدد الزمن الذى يريده ،فى جاهلية العرب ، اعتمادا على هذه القواعد ، وأن يصل إلى نتائج باهرة إذا كانت بين يديه شجرات الأنساب ، التى أشرت إليها

مزايا شجرات الأنساب :

والأمل فى الله وحده كبير ، أن أجعل هذه الشجرات بين أيدى الباحثين قريبا ، لأن البحث عن سلسلة النسب فى كتب النسب،لا يفيد كثيرا، إذ أنها لا تذكر لأى باحث سلسلة الأنساب متصلة من عصر النبوة إلى عدنان أو قحطان، وغاية ماتذكره إذا اختارته من شجرة واحدة كأحمد مثلا وجناده وعاصم وكلاب ويزيد أن تذكر فى الصفحة الأولى مثلا نسب أحمد إلى جناده ، وفى الصفحة الخمسين تذكر نسب جناده إلى عاصم ، وفى صفحة ١٠٠ مثلا تذكر نسب عاصم إلى كلاب،وهكذا من أنواع الإحالة ، وفى هذا التقطيع متعبة وضياع وقت ،لا نجدهما فى شجرات الأنساب .

ماجدوى هذه الأسس ؟

من أعجب ماوجدت من المثبطات،أن واحدا من كبار الموظفين المثقفين ثقافة شرقية وغربية، عرضت على مسامعه هذه الأسس ،فرحب وأطنب ، وشجع وأطرب ، بل عرض أن يطبع ماألفت ، وأن يحتضن ماابتكرت ، وبعد مدة سمع أنى كنت أتردد كثيرا على بعض الباحثين من قبله ، فلم يكد يرانى حتى بادرنى بقوله : أعد على ماسردت من قبل ! فلم أنته من السرد حتى قال : وماجدوى هذه الأسس؟ وماذا يهمنا أكان هذا الشاعر سابقا أم لاحقا؟ .

لم أنفجر غيظا لهذه المفاجأة ، لأنى وطنت نفسى منذ سنوات على سماع

كل مكروهة !! وبعد وجوم قلت لحضرته : وماجدوى البحث عن الآثار بين الأطلال والدمن ؟ ومجاهل الدهناء ، وصحراء الأحقاف ، وكثبان طى ، وتيه بنى إسرائيل ! وبادية السماوة ! .

وماجدوى العثور على جثة محنطة؟ ، أو عظام نخرة ؟ أو أكفان بالية ؟ أو حيوانات مصبرة ؟ .

وماذا يهم فى تاريخ الأدب إذا زعمتم أن أقدم الآثار الأدبية عند العرب، يرتد إلى ١٥٠ سنة قبل الهجرة على الأكثر ! أو أن أول من قصد القصائد مهلهل بن ربيعة ! أو أن بعض قبائلهم كانت تئد البنات ، خوف العار أو العيلة ! أو أن سيل العرم كان قبل الميلاد ، أو أن أقدم النقوش التى كشفها الغربيون فى شمال الجزيرة العربية ، لايتجاوز تاريخها القرن التاسع قبل الميلاد ، أو أنها مكتوبة بأقلام مختلفة ، أشهرها الفينيقى والآرامى والنبطى والتدمرى والمسند !! . وماحظ علماء الغرب ، وقد لقى الكثير منهم مصارعهم هناك فى ظلمات القباب ، أو وحشة الاغتراب !!

عمرو ١٥١

إن فى استطاعتنا ياسيدى بهذه الأسس الجديدة أن نضع جداول منظمة كالجداول الرياضية . ١ ـ نضبط بها أسماء المعاصرين من الشعراء وغيرهم فى القبيلة الواحدة ، ثم فى كل القبائل ، وبذا يتجمع فى الجيل الواحد ، آثار الأقدمين المعاصرين .

٢ ـ ونعرف بالتالى ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسلسله ، وهجرته من أديب إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى ، وماطرأ عليه فى رحلاته العقلية ، فى أذهان الشعراء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ، أو جمود ، أو فناء .

٣ ـ ومن السابق من الشعراء بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟ وأى القبائل العربية كان لها هذا الشرف .

٤ ـ وبهذه الأسس تعرف تحديد الزمن الذى ذابت فيه لغة قحطان فى لغة عدنان . بعد سيل العرم .

٥ ـ ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التى صارت لسان الشعراء جميعا فى العصر الجاهلى ، لافرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو ربعيين ، وقيسيين ، وتميميين بعد أن كان كل فرد يتعصب لقبيلته، ولهجتها ، بل لا يعرف سواها ، وينكر ما عداها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها كما لا يشيد بغير مآثرها .

٦ ـ وبيان وجه الحق فى قولهم : « أول من قصد القصائد مهلهل بن ربيعة ، و « أقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة » .

٧ ـ وحقيقة قول ابن سلام : « قبيلة ربيعة أول حملت راية الشعر فى الجاهلية ، ثم تلتها « قيس » ثم انتقل منها إلى « تميم » فظل بها أمدا طويلا ولا يزال إلى اليوم » أى إلى اليوم الذى كتب فيه ابن سلام هذا فى نحو ٢٣٢ هـ « ٨٤٧ م » .

٨ ـ وتحديد أقدمية « اللهجة القريشية » التى يزعم كثير من الأدباء والمؤرخين أن القرآن نزل بها .

٩ ـ ولم حكمنا بكذب الشعر المنسوب لعاد وثمود ، وبتكذيب كثير من الشعر المنسوب للمعمرين .

١٠ ـ وكيف عثرت على أن أطول قصيدة عربية فى الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون ، بل بأكثر

هذا بعض ما ترشدنا إليه هذه الأسس ، ولو لم يكن لها فضل إلا إثارة الشك ، فيما كنا نعتقده من قبل حقائق أدبية، لا تقبل الشك لكفى .

تدرج الأدب نثرا وشعرا

كل كائن حى يبدأ صغيرا ، ثم يأخذ ينمو حتى يبلغ أشده ، وعند ذلك

يأخذ فى الانحدار حتى تبتلعه لجة الفناء ، والآداب من الكائنات الحية : فهى (طفلة) فى طفولة الأمم ، و (فى ذروة الشباب) عندما تبلغ الأمم أوج عظمتها ، وعندما تهوى الشعوب إلى (شيخوختها) وتتدلى إلى مصيرها المحتوم ، تكون الآداب أسبق منها هبوطا ، لأن الآداب من الفنون السامية ، التى لا تعيش إلا فى البيئة السامية ، والسمو والهبوط ضدان لا يجتمعان .

والعرب فى جاهليتهم ، وفى إسلامهم ، مروا بهذه الأطوار الثلاثة : فهم لم يبدءوا أولا بالقصائد ، بل مهدوا لها بالقطع ، وقبلها مهدوا بمبادىء النثر الفنى فى أبسط صوره : فى هيئة حكم وأمثال ، ثم توسعوا فيه ، فظهر ما أطلقوا عليه (سجع الكهان) وهذا السجع كان تمهيدا للأراجيز ، وهذه كانت تمهيد للقطع ، ثم القصائد ، وإذن فالحكم والأمثال المفردة ، والسجع كانت بدايات الأراجيز ، والقطع ثم الشعر عند العرب .

أيهما أسبق : النثر الفنى أم الشعر؟

قرر علماء الأدب أن الأدب نثر وشعر ، وأحدث أنواع النثر (النثر الفنى) ولحداثة عهده لم يتفق الأدباء على تحديده (والنثر الفنى) عندهم هو النثر المنمق ، المصوغ فى قالب أدبى ، يثير المشاعر ، وقد يشترطون أن يكون وليد العقل والمنطق ، وقد يتأثرون بالنثر الفنى عند أمم الغرب ، فيتطلبون أن يكون الناثر عارفا بالكتابة ، لتدوين ما يخطر له ، بعد ترتيبه منطقيا .

فإذا ارتبطنا بكل هذه الشروط سلمنا بدون مناقشة بأن الشعر أقدم من النثر لأمرين :

(الأول) أن الشعر عاطفة ، والعواطف عند الإنسان الفطرى أسبق من اصطناع المنطق والعقل .

(الثانى) أن الكتابة اختراع متأخر فى كل أمة ، فاشتراط التدوين فى النثر الفنى يحتم تأخيره وتقديم الشعر ، وتطبيقا على هذه الشروط نجد أن العرب لم يكن لهم نثر فنى فى الجاهلية !!

(رأيى) وعندى أن الآثار الأدبية فى كل أمة هى التى تحدد التقسيم وسبق كل نوع ، وعلماء الأدب عندنا حددوا الشعر ، بأنه الكلام الموزون ، المقفى ، المنتزع من الشعور ، المحلق فى آفاق الخيال ، والنثر ما خلا من الوزن والقافية ، وقد يكون منتزعا من الشعور والعواطف ، ليهدف إلى إثارة الشعور والعواطف ، وهذا هو النثر الأدبى ، ويمثلون له بالخطابة .

والعرب فى الجاهلية كان عندهم الخطباء ، كما كان لديهم الكهان والشعراء ، (فالخطابة) و (الكهانة) ومثلهما (المواعظ الدينية) كالتى نسبت لقس بن ساعدة الإيادى و« الوصايا » و « الحكم » و « الأمثال » و « القصص » الذى تروى فيه أخبار العرب وأيامهم ومفاخرهم ، ليست بالإجماع من الشعر فبم نسميها ؟ لا شك أنها نثر أدبى ، وليس من الضرورى أن نطلق عليها نثرا فنيا ، إذ نستطيع هنا أن نجارى الغربيين ، فنطلق النثر الفنى عندنا ، على آثار الكتاب فى العصر الأموى والعباسى ، ونكتفى بالنثر الأدبى لما تركه العرب نثرا فى جاهليتهم مما قدمته ، والنثر الأموى والعباسى — لأن مصدره العقل ، وفيه تسلسل المنطق وترتيبه ، وفوق ذلك كان يدون — ينطبق عليه « النثر الفنى » بسهولة ، ولو أن فيه عاطفة ، أما الآثار الجاهلية الأدبية التى ليست بشعر ، فهى عند المدرسة الغربية وتلاميذها ليست نثرا فنيا ، إذن فما اسمها ؟ لكأنى بهم يقولون مع مجنون بنى عامر وقد رأى ظبية بها مشابه من ليلى :

فعيناك عيناها ، وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

إنها عندى « نثر فنى » غاية الأمر أن النثر الأدبى درجات ، فما كان منثورا ساذجا ، يخاطب العاطفة ، فهو « النثر الأدبى » وما كان منثورا متسلسلا يخاطب العقل تارة ، والعاطفة تارة أخرى ، وفيه جمال لفظى أو معنوى ، فهو « نثر فنى » ولو لم يكن مدونا .

وإلا لو التزموا تسمية النثر فى العصر الأموى والعباسى باسم ، وأطلقوا على النثر قبل هاتين الفترتين اسما آخر ، لكان يجب على المدرسة الغربية

وتلاميذها أن يطلقوا « الشعر الفنى » أيضا على الشعر الأموى والعباسى ، ولكنهم لم يطلقوا هذه التسمية فلماذا ؟

النثر أسبق من الشعر

وإذ قد برهنت على أن الأدب فى جاهلية العرب كان منه الخطابة والكهانة ... وهذه لا يمكن أن تسمى إلا نثرا لا شعرا ، لأنها لا تنطبق عليها خصائص الشعر ، فيجب علينا أن تعيد السؤال مرة أخرى : أيهما أسبق النثر أم الشعر ؟

وحينئذ لا نجد مناصا من القول بأن النثر عند العرب أسبق من الشعر .

١ ـ لأن البسيط أسبق من المركب .

٢ ـ والسهل أقدم من الصعب .

٣ ـ وتدرج الأطفال فى حياتهم اللغوية ، أشبه بتدرج الأمم فى هذه الحياة اللغوية ، ولا يشك مثقف فى أن النثر أبسط من الشعر وأسهل ، وأن الشعر العربى مقيد بقيدى الوزن والقافية ، فهو مركب ، والمركب أصعب من البسيط .

والأطفال عندما يريدون أن يحاكوا غيرهم فى النطق ، يبدءون المحاكاة بمقطع واحد ، ولو تعددت مقاطع الكلمة فى نطقها عند الكبار ؛ وما ألجأهم إلى تشذيب الكلمة إلى أقل حروفها ، إلا سنة الطبيعة فى تدرجها ، فإذا أتقنوا المقطع الواحد ضموا إليه المقطع الثانى ؛ وهكذا يصنعون فى الكلمة ، ثم فى الكلمتين ، ثم ينتقلون إلى الجملة البسيطة ، ثم الجملة المركبة ، فإذا عرفوا كيف يؤلفون مما أتقنوا من الجمل قصة ، بدءوا بها قصيرة ، ثم متوسطة ثم طويلة ، وفى المدرسة يلبى المدرسون قواعد التربية وعلم النفس ، فينهجون نفس النهج : البسيط قبل المركب ، والسهل قبل الصعب ، والحسى قبل المعنوى ، والحاضر قبل الغائب ، والعاطفى قبل العقلى .

وليس من الضرورى عند العرب أن يعبروا عن شعورهم بالشعر ، بل فى

الإمكان أن يعبروا عنه بجملة واحدة، مركبة من مبتدأ وخبر ، وقد يبرزون معناها بحركاتهم وإشاراتهم ، كما هو الحال فى لغة الخرس ؛ فإذا كان حظهم من اللغة أعمق ، اكتفوا بالأمثال بدل الجمل العادية ، ثم يتدرجون لإبراز عواطفهم بالأمثال المزدوجة النثرية ثم الشعرية ، فإذا رق إحساسهم ، وأهيجت عواطفهم ، وطاوعتهم ألسنتهم ، عبروا عما يجيش فى صدورهم بأبسط أنواع الشعر ولو شطرا . أو بيتا ، ولا يزالون ينتقلون من البيت إلى البيتين ، ومنهما الى الثلاثة ، وهكذا حتى تتم لهم أبيات ، والتى دون السبعة هى التى أطلق عليها الأدباء القطعة أو المقطوعة ، وبعدها تبدأ القصيدة . هذه هى المراحل الطبعية لميلاد النثر الأدبى من النثر العام . وميلاد الحكم والأمثال من النثر الادبى ، وميلاد الشعر من النثر الفنى العاطفى المسجوع ، لان السجعات فى النثر كالقوافى فى الشعر ، لكليهما رنات موسيقية ، تزيد من إبراز العاطفة ، وإرهاف الشعور .

ويؤيد سبق النثر قول أدبائنا القدامى : « كان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها . . . فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه ، سموه شعرا ، لانهم شعروا به أى فطنوا له[1]

وقد يحتج المعارضون القائلون بسبق الشعر ، بأن أقدم ما وصل إلينا من الآثار الأدبية كان شعرا ، وأن أكثر هذه الآثار شعر لا نثر ، فإليهم أسوق ما قرره علماؤنا : « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من الموزون الا عشره ، ولاضاع من المنثور عشره » وقول عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير [2]

---

(١) ٢٩٢ ج ٢ مزهر (٢) المزهر ج ٢

المقطعات والقصائد

ويخيل الى أن الزمن الذى مر على الشعراء ، مكتفين بالمقطوعات ، أطول من الفترة التى مرت بهم فى ظلال القصيد ، وأن أكثر شعراء العرب فى الجاهلية ، كانوا من ذوى المقطعات ، لا القصائد لما يأتى : —

١ — لان السهل أقدم من الصعب ، والمقطوعات أسهل ، لانها أقل أبياتا

٢ — ولأن المقطعات أدعى إلى الحفظ ، ومن الفخر للشاعر أن يحفظ شعره أكبر عدد من الناس .

٣ — ولأن من طبع العرب الإيجاز ، شأن بقية الساميين ، ولذا خلا شعرهم من الشعر القصصى أو شعر الملاحم . ومن (الشعر التمثيلى) أو المسرحى إلا فى أضيق الحدود ، بعدا منهم عن الثرثرة والإطناب ، وإيمانهم بأن خير الكلام ماقل ودل ، وشعورا منهم بشخصياتهم ، إذ أن « الملاحم » عادة تنظم فى العهود التى يحس فيها الفرد بجماعته فالجماعة عنده هى الأهم ، أما البدو أو العرب فى جاهليتهم ، فكان الفرد أولا . والقبيلة أخيرا ، وإذا اضطروا إلى تذكر القبيلة اكتفوا بضمير الجمع غالبا ، دون التصريح بالأشخاص .

ولم يشعروا بوجودهم كشعب إلا قبيل الإسلام .

ا — وأول مظهر لهذا اجتماع وفود العرب ، فى بلاط الملك الحميرى : « ذى يزن » لتهنئته بالجلاء الحبشى عن اليمن ، وتبوئه عرش آبائه وأجداده ، بعد محنة أظلت بلاده نحو قرن ، وزاد من روعة الوفود ، أنها لم تكن من القبائل القحطانية وحدها ، بل كانت تجمع بينهم وبين العدنانيين ، بل كان أكبر الوفود وفد الحجاز برياسة عبد المطلب جد النبى

ب — والمظهر الثانى كان فى « يوم ذى قار » ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم .

(٤) وكأن المثل السائر ملك عليهم أحاسيسهم فأوجزوا ، ليكون شعرهم أشبه به ، ويؤيد هذا أن « عمرو بن العلاء التيمى » لما سئل : هل كانت العرب

توجز ؟ قال نعم ، ليحفظ عنها ، وما أجاب به « أبو المهوش » وقد سئل : لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد المثل السائر إلا بيتا واحدا !!

فالعرب لم توجز أول ما أوجزت ، ليحفظ عنها ، وما قصرت لأن القصار أولج فى المسامع ، وأجول فى المحافل ، بل كان الغرض أولا أن السهل أسبق من الصعب ، وأن البسيط أقدم من المركب .

وهذا لا يمنع أن الشعراء رأوا بعد كثرة التجارب ، وطول التنغيم أن للقصار روعة ليست فى الطوال ، وأن من المواقف ما لا يحسمه إلا بيت شرود ، أو قطعة مرتجلة ، وأن من دواعى خلود الشعر وحفظه أن يكون قصيرا لا قصيدا .

درجات الشعر :

١ ـ فلا تكن فى مرية من سبق (الرجز)(١) ؛ مناغمة لسير الإبل ووقع أقدامها .

٢ ـ وأن (القطع) وأقصاها ستة أبيات(٢) وأدناها بيت ، كانت أسبق من القصيد .

٣ ـ وأن (القصائد) وهى ماجاوزت إحداها ستة أبيات لم ترها الآداب العربية إلا بعد أحقاب متطاولة من لغة المحادثة الأولى .

تدرج البحور :

وإذا ثبت أن (الرجز) كان أقدم البحور ، كان أقدم البحور بعده (الكامل) ، لأن الشاعر إذا أضمر(٣) تفاعيله كان رجزا ١٠٠ ٪ ، ولا يحكم

---

(١) قصة الأدب فى العالم ص ٣٥٥ (٢) العمدة ج ١ ص ١٢٥

(٣) إضمار الكامل إسكان التاء فى (متفاعلن) لتصبح (متفاعلن) يسكون التاء فتنقل إلى (مستفعلن) التى بنى عليها الرجز .

بأنه من الكامل أو الرجز إلا إذا خلت تفعلة منه من الإضمار ، فيكون ذلك دليلا على أن الشعر كله فى هذه القطعة مثلا من الكامل ، وأن ما سكن ثانيه من التفعلات دخله الإضمار .

وبعد أن اخترعوا « الكامل » عثروا بوزن البحر الذى سماه الأخفش « المتدارك » وسماه غيره « الخبب » ، لأن الخبب نوع من العدْو ، ولا شك أن هذه التسمية أقوى وأوضح ، لأنها ربطت بين المعنى القديم والمعنى الجديد

ومن ذا الذى لا يتخيل الإبل تعدو إذا ما أنشد قول الشاعر :

زمت إبل للبين ضحى فى غور تهامة إذ رحلوا

أو قول الآخر :

جاءنا عامر سالما صالحا بعدما كان ما كان من عامر

وبعدها عثروا على ما يشبه (تفعلة الرمل) فى أثناء سير الإبل ، وعليها أحمالها ، ولا شك أن « فاعلاتن » تمثل النغمتين الحادثتين من سيرها ، وقلقلة أحمالها ، والصوت وصداه ، وتخيل هذا عندما تنشد مثل قول « عدى بن زيد التميمى » تارة بطيئا ، وأخرى مسرعا — :

عاد بعد الجبر يبغى وهنه ينحون المشى منه فانكسر

أو قول الآخر :

لمن الدار تعفت بخـــيم أصبحت غيرها طول القدم

ما تبين العين من آياتها غير نؤى مثل خط بالقلم

أقدم بحور الشعر

ويمكن أن أقرر هنا فى يسر واطمئنان . أن أقدم بحور الشعر ما تركبت من تفعلة واحدة مكررة كالرجز ، والكامل ، والمتدارك وهو الخبب ، والرمل ، والهزج ، والوافر ، والمتقارب ؛ وأن البحور التى تركبت من تفعلتين أحدث عهدا كالطويل ، والمديد ، والبسيط ، والسريع ، والمنسرح . لما ثبت عند الباحثين من أن البسيط أقدم من المركب ، والسهل أسبق

من الصعب. وإن لم يكن من الضرورى أن يتحقق هذا الاستنباط ١٠٠٪ لأن اللغات وآدابها لابد فيها من الشذوذ ، إذ لم يكن واضعوها من علماء المنطق أو الهندسة ، ولم تضعها قبيلة واحدة ، أو بيئة واحدة .

ومن هذا نرى أن الشعر ، سار وفقا لناموس الطبيعة من التدرج ، وأن الشعراء أخذوا يتنقلون به من فن إلى فن ، ومن بحر إلى بحر ، حتى استقرت أوزانه فى الجاهلية الأولى ، فى تلك البحور ، وأوزانها النهائية ، وأوزانها الأساسية ، وأعاريضها ، وأضربها ؛ وسجل الفخر للعالم القحطانى « الخليل ابن أحمد الفراهيدى » بكشفه ١٥ بحرا منها ، كما سجل فخر آخر للأخفش ، بكشفه البحر السادس عشر وهو « المتدارك » فصار المعروف من الشعر العربى بعدئذ ١٦ بحرا ، و ٣٦ عروضا ، و ٣٧ ضربا ، و ٧٠ وزنا أسياسيا ، وأن ذلك مر فى أحقاب متطاولة ، حتى بلغ أشده ، وأدرك غايته . وأن العرب ألهموا فى خلال تلك الأحقاب ، أن ينسقوا بين وحدة اللغة واللهجة والأسلوب ، والوزن ، والقافية ، متدرجين ، مؤسسين على الأمجاد القديمة أمجادا حديثة دون أن يعتمدوا فى هذا على غير العرب ، ولو كانوا ساميين ، فكيف إذا كانوا من غيرهم ؟

هل مصدر الوزن والقافية أجنبى ؟

مما ينفى أن العرب لم يعتمدوا فى هذين على أمة أجنبية ، أن الأوزان العربية وقوافيها ليست لأمة من الأمم القديمة المعروفة :

إذ (السريان) لم تكن القافية فى شعرهم ، فى القرون العشرة الأولى من التاريخ الميلادى ، ولكنهم اقتبسوها من العرب ، فى نحو القرن التاسع (الثالث الهجرى) .

ويشبه السريان فى خلو شعرهم من قافية ، (العبران) و (الهنود) .

وأحدث ماوصلنا من شعر « الفرس » كان فى القرن الثالث الهجرى

بعد أن ذابوا فى الأمة العربية بالفتوح الإسلامية ، فخرجوا أمة جديدة فى أفكارها واتجاهها وأحاسيسها ، حتى خطها وشعرها : أوزانا ، وقوافى ، وأغراضا ، وتدل على ذلك أسماء الأوزان الشعرية ، فأكثرها عربى ، والمصطلحات العروضية ، فكلها مأخوذة بنصوصها من الشعر العربى ، ومثل هذا (الشعر عند الترك) . والأتراك أنفسهم لايجرءون على غير هذا .

كذلك لايقال إن الشعر العربى مقتبس من الشعر « اليونانى » أو « اللاتينى » لخلوه من القافية ، ولأن الأوزان العربية أضعاف ماعند هؤلاء ، والأغراض عندنا غير الأغراض عندهم ، ولم يتصل شعراء الجاهلية بشعراء اليونان أو اللاتين . ولو حدث الاتصال لوجدنا فى الشعر العربى (شعرا قصصيا) و (شعرا تمثيليا) وملاحم ومسرحيات .

فالاقتصار على (الشعر الغنائى) وحده ينفى الاتصال ، وبالتالى ينفى الاقتباس .

مصدر الوزن والقافية عربى قديم

ولكن ألا يجوز أن يكون شعر العرب العدنانيين فى جاهليتهم ، امتدادا لشعر العرب السابقين من عاربة وبائدة ، ومن العرب الحورابيين ، أو العمالقة ، أو الأنباط ، أو المعينيين أو السبئيين ، أو عاد أو ثمود أو طسم وجديس ؟ .

أكبر ظنى أن الوزن والقافية فى الشعر العدنانى الجاهلى ، مقتبسان من اللغات العربية القديمة وآدابها ، أو على الأقل اقتبسوا بعض هذه الأوزان ، وابتكروا بعضها الآخر ، متفرعا من الأوزان المقتبسة القديمة ، كما تفرع (الكامل) من (الرجز) مثلا و (الخفيف) من (الرمل والرجز) معا : طرفاه فى كل شطر من الرمل ووسطاه من الرجز هكذا ، وإلا فهل ينكر أحد أن الحضارة الإنسانية ليست من بناء أمة واحدة ، والثقافة العالمية من أقدم

العصور تراث السابقين إلى اللاحقين ، وأن الآباء يرثون آباءهم فى كثير من خصائصهم العقلية والعاطفية ، كما يرثونهم فى كثير من ألوانهم وأشكالهم ، وأن للمجاورة آثارها وللبيئة تأثيرها .

إن ميدان الآداب الإنسانية لايزال متسعا ، وحقلها لايزال بكرا ، فعلى الباحثين أن يتعمقوا ، فالإنسان اجتماعى بأوسع معانى هذه الكلمة ، وللاجتماع آثاره الخلقية والعلمية والاقتصادية ، وأولى الناس بميراث القدماء هم أبناؤهم ثم حفدتهم .

وفيما يأتى تطبيق نظرية مفصلا لتحقيق الأمور الأربعة الآتية :

الأول — الأمثال المنسوبة إلى أصحابها أصدق الدلائل على قدم الأدب العربى .

الثانى — شعراء المقطوعات وترتيبهم .

الثالث — شعراء القصائد ، وبيان أقدم ما عثرت عليه منها ، وأى أولئك الشعراء أقدم فى نظر الرواة وفى رأى نظريتى .

الرابع — اللهجة التى نزل بها القرآن ليست قريشية ، بل عربية لعامة أدباء العرب ، قبل قريش بمئات السنين .

وهذا بسط القول فى كل قسم .

(١) القسم الأول

الأمثال المنسوبة أصدق الدلائل على قدم الأدب العربى

الحكم والأمثال من فنون الأدب القديمة ، بل هى أقدم فنونه ، وقد أجمع الباحثون على أنها مرآة صافية لأخلاق الأمم وعاداتها وطباعها ، ومورد عذب لآدابها ، وصورة صادقة لعواطفها ، وسجل مضغوط لكثير من أحداثها ، لهذا تجردت طائفة من علماء العرب ، لجمع أمثالهم فى مؤلفات ،

ليعم النفع بها ، أمثال أبي عبيدة ، وأبي عبيد ، والأصمعي ، وأبي زيد ، والمفضل بن محمد ، والمفضل بن سلمة ، وحمزة بن الحسين ، وعبيد بن شرية ، وعطارد بن مصعب ، والشرقي بن القطامي .

ولا ننسى « جمهرة الأنساب » لابن هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) ، ومجمع الأمثال للميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ (١١١٤م) .

وإن أعجب فعجب أن هؤلاء العلماء، مع كثرة ما بحثوا وسجلوا، لم يتعرض واحد منهم لأقدمية كل مثل ، ودلالته على قدم الأدب العربي ، وكل ما فعلوه في هذا المجال ، أنهم عمدوا إلى بعض هذه الأمثال ، فنسبوها إلى قائليها ، دون أن يحددوا زمانها بأكثر من هذا ، وما كانوا إلا صورة لرغبات زمانهم! وطبيعة ظروفهم .

لهذا يسرني أن أقرر هنا أن الأمثال العربية أصدق الدلائل على أقدمية الأدب العربي ، من كل ما عداها من المقطوعات ، ومن القصائد ، ومن الخطب ، ومن الوصايا ، ومن سجع الكهان .

وأن أبرهن في ذات الوقت على زمان كل مثل من الأمثال التي اخترتها ، مقررا أن الأدب العربي بالأسلوب المعروف لنا الآن ، واللهجة التي نزل بها القرآن ، كان معروفا قبل الهجرة بمئات السنين ، بل قبل الميلاد المسيحي

لم كانت أصدق الدلائل ؟

وكانت أصدق الدلائل على أقدمية الأدب العربي ، من كل ما عداها الأمور :

(أولا) لأنها أبسط من المقطوعات وما إليها ، والبسيط أسبق من المركب ، وأقدم منه عهدا .

(ثانيا) لأن العلماء قرروا من قديم أن الأمثال لا تغير ، وبهذا القرار ثبت أن هذا الامتياز مقصورا عليها ، لا يصح أن يحظى به أي نوع من أنواع الأدب الأخرى ، إلا ما جرى مجراها ، ويخيل إلي أنه لم يوح إليهم

بهذا القرار الحكيم ، إلا أن احتفاظ الأمثال بصيغتها الأصلية ، أدل على تاريخ الأفراد والجماعات ، وما مر بها من مراحل فى لغتها ، وفى تفكيرها ، وفى أحوالها المختلفة، فوق إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، ودقة التشبيه، ونبل الكناية .

وبكل هذه كان لها سحرها ، وبلاغتها ، ونفاستها ، واعتزاز العرب بها ، ولا يشبه حرصهم على صورها وأشكالها ، إلا حرص الأمم المتحضرة الآن على آثارها ، وتماثيل عظمائها

فى الأمثال المنسوبة تاريخها

ولكن الأمثال المبثوثة فى ثنايا الكتب ، ليست سواء فى القيمة ، لأنها ليست سواء فى الدلالة ، فالمثل المنسوب لقائله ، يدل وحده على أخلاقه ، وبعض ظروفه ، بل تاريخه ، ومبلغ قدمه .

أما الأمثال التى جهل قائلها ، فلا تفيد شيئا من هذا ، ففائدتها لا تدل على تاريخ الأدب ، بل على غيره، فالأولى أرحب جانبا ، وأبعد مدى ، وأكثر دلالة ، وأنفس قيمة .

لهذا سأجعل الأمثال المنسوبة ، نقطة ارتكازى، ومركز بحثى ، ودليلى على أن الآثار الأدبية ، التى تركها عرب الجاهلية بين أيدينا ، ليست وليدة قرن ونصف قبل الهجرة ، كما زعم الزاعمون ، بل هى أقدم من أضعاف هذه المدة ! وحسبك أن منها ماهو أقدم من الميلاد المسيحى ، أى أقدم من البعثة المحمدية بأكثر من ٧٠٠ سنة

وإذا تمكنت من إثبات الأقدمية ، سهل على الأدباء والباحثين أن يصدقوا ، أن من المقطوعات الشعرية مايقرب من هذا التاريخ، ولولم أبرهن على هذا القدم .

وإذا صدق المنكرون من قبل أقدمية الأمثال ، والمقطوعات التى سأذكرها، انفتحت مغاليق الموضوع بين أيديهم ، واتسعت الآفاق أمامهم ، فأصبحوا لا يجدون غضاضة فى قول من يقول : إن بعض القصائد العربية

التى بين أيدينا ، ترجع أقدميتها ، إلى القرن الرابع قبل الهجرة ، ولولم أبرهن عليها بالسجلات الملكية، أو السلاسل النسبية ، أو الأرقام الحسابية .

نماذج من البرهنة على أقدمية الأمثال المنسوبة

(١) «إن العصا من العُصَيَّة» يضرب لبيان العلاقة بين الفرع والأصل، أو الكبير والصغير ؛ وقد نقل الميدانى عن المفضل ، أن أول من قاله « الأفعى الجُرهمى » وكان يعاصر « نزار بن معد بن عدنان »

« وجرهم » أخوال سيدنا إسماعيل ، أشرفوا على إدارة الكعبة أحقابا طوالا ، ثم تلتهم « خزاعة » نحو ٣٩٠ سنة ، قبل قريش .

وتعذر العثور على نسب الأفعى الجرهمى ، تحتم علينا أن نلجأ إلى قاعدة أخرى من القواعد الخمس ، التى تقوم عليها نظريتى ، وهذه القاعدة هى « دليل المعاصرة »

وقد تقدم أن « نزارا » كان يعاصر « الأفعى » فكيف نسير فى البرهنة ؟ من نزار إلى عدنان ثلاثة أجيال ، فمن نزار إلى عصر النبوة ، اعتمادا على متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ، ١٨٫٥ جيلا

مدتها ١٨,٥ × ٤٠ = ٧٤٠ سنة قبل الهجرة .

واعتمادا على الأجيال من سيدنا محمد نفسه إلى نزار، نجد عددها ٢٠ جيلا .

مدتها ٢٠ × ٤٠ = ٨٠٠ سنة .

وبناء عليه نجد أن هذا المثل، كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٠ سنة على الأول و ٨٠٠ سنة على الثانى ، وعلى كلا الأمرين ، كان هذا المثل فى القرن الثامن قبل الهجرة ، والقرن الثانى قبل الميلاد المسيحى .

ونظرة أخرى إلى هذا المثل لفظا وأسلوبا ومغزى ، نجده متين الصلة بلهجة الأدباء الآن ، وباللهجة التى نزل بها القرآن قبل الآن بنحو ١٤ قرنا.

أى قبل المدة التى حددوها لأقدم الآثار الأدبية العربية ، التى بين أيدينا بنحو ٦٥٠ سنة قلم هذا التجنى ! والاحتطاب فى حبل الغربيين ، الذين

لايتورعون أن ينكروا آدابنا وتاريخنا وآثارنا ، وكل مايرفع رأسنا ! كأنهم وحدهم شعب الله المختار ! .

(٢) من الأمثال القديمة : « السليم لاينام ولاينيم » . يضرب لبيان أن الضرر لايقتصر على متبعه وحده ، بل يتعداه إلى غيره.

وقد اخترت هذا المثل بعد مثل الأفعى الجرهمى ؛ لأن السابقين نسبوه إلى « إلياس بن مضر » ولايجرؤ على إثبات أقدمية هذا المثل ، أو تعيين مركز « إلياس بن مضر » من دورة الفلك إلا نظريتى التى ابتكرتها لتعيين أى زمن فى الجاهلية .

وقد لجأت إليها لتعيين زمن إلياس ، وهو الجد السادس عشر لصفوة الرسل ﷺ فدلتنى على مايأتى :

من إلياس إلى عدنان ٤ أجيال، ومتوسط عدد الأجيال من عدنان إلى عصر النبوة ٢٢,٦٥ جيلا ، فمتوسط الأجيال من إلياس إلى عصر النبوة = ٢٢,٦٥ — ٤ = ١٨,٦٥ جيلا .

مدتها ١٨,٦٥ × ٤٠ = ٧٤٦ سنة .

أى إن إلياس بن مضر كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٦ سنة ، وقبل الميلاد المسيحى بنحو ١٢٤ سنة،ولو لم نعبأ بمتوسط الأجيال فى شجرة العدنانيين ، واعتمدنا على سلسلة النسب الطاهر لسيدنا رسول الله ﷺ منه إلى عدنان، لبلغ عدد الأجيال ٢٢ جيلا .

(٣) مدتها ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، وبحذف الأجيال الأربعة بعد مضر إلى عدنان يكون الباقى من إلياس إلى سيدنا محمد ﷺ ٢٢ - ٤ = ١٨ جيلا.

مدتها ١٨ × ٤٠ = ٧٢٠ سنة أى إن إلياس على هذا كان قبل الهجرة بنحو ٧٢٠ سنة،وقبل الميلاد المسيحى بنحو ٩٨ سنة وهى قريبة جدا من النتيجة الاولى،وبناء عليه نجدأن عمر هذا المثل أكثر من سبعة قرون ، وأن إلياس

قاله فى القرن الثامن قبل الهجرة فأين ٧٤٦ سنة أو ٧٢٠ سنة من ١٥٠ سنة التى اعتبروها حدا أقصى للآثار الأدبية، فى اللغة العربية ! أليس من الظلم أن يقتضبوا من تاريخ الأدب ، بل تاريخ العرب نحو سنة قرون !

(٣) ومن الأمثال التى ساقها الرواة ، فتحدرت إلينا من أغوار الجاهلية الأولى ، خلال سته قرون ، قول ضبة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر، تلك الأمثال الثلاثة الآتية :

« الحديث ذو شجون » و « أسعد أم سُعيد » ، و « سبق السيف العذل »

ونظرة إلى ضبة هذا ، نجده أحدث من جده إلياس بثلاثة أجيال ، مدتها ٣ × ٤٠ = ١٢٠ سنة فكأن ضبة أحدث من إلياس بنحو ١٢٠ سنة.

وعلى هذا يكون قبل الهجرة، على متوسط الأجيال فى شجرة عدنان ـ بنحو ٦٢٦ سنة، ونحو ٤ سنوات ق.م، وعلى عدد الأجيال من سيدنا محمد ﷺ بحو ٦٠٠ سنة قبل الهجرة ، وسنة ٢٢ بعد الميلاد المسيحى، وهذا الزمن يبين لنا أن هذه الأمثال الثلاثة ، قيلت فى القرن السابع قبل الهجرة! وفى القرن الأول قبل الميلاد ، أى قبل « قصى » أول ملوك قريش بنحو أربعة قرون

(٤) ومن قديم الأمثال قولهم: « رمتنى بدائها وانسلّت » يضرب للبريئة تقذف من المعيبة قالته رهم بنت الخزرج» زوج «سعد بن زيد مناة بن تميم».

والنظر فى أقدمية هذا المثل من جهتين: جهة قحطانية تمثلها «رهم»، وجهة عدنانية يمثلها « سعد بن زيد مناة بن تميم » .

ا — ومتوسط الأجيال من رهم إلى دليل الصحابة ١٢,٥ جيلا مدتها ١٣,٥ × ٤٠ = ٥٠٠ سنة .

ب — ومتوسط الأجيال من سعد إلى دليل الصحابة ١٠,٥ × ٤٦ = ٤٨٣ ، وهى قريبة من النتيجة الأولى، ومتوسط النتيجتين = ٤٩٢,٥ سنة .

ودلالة هذا أن ذلك المثل ولد قبل الهجرة بنحو ٥٠٠ سنة (١٢٢م) أى قبل قصى أول ملوك قريش بنحو ٣٠٠ سنة .

(٥) وعلى ذكر سعد بن زيد مناة بن تميم، اذكر ثلاثة عشر نصا جرت فى محادثة بين ثلاثة من بنى تميم . « سعد بن زيد مناة ، هذا و « جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم » — ابن أخى سعد — وجارية لبنى تميم ؛ وقد جعلت عنوان هذه المحادثة : « نموذج للغة المحادثة . . . . » وستأتى بعد صفحتين

(٦) ومن الأمثال القديمة قول حكيم العرب « عامر بن الظرب » :

« رب زارع لنفسه ، حاصد لسواه »

وقد برهنت فيما سيأتى من الكتاب على أن « عامر بن الظرب » ولد حوالى ٤٠٠ ق م (٢٣٤م) فلو لم يصدر منه هذا المثل إلا وهو فى سن الأربعين، لأمكننا أن نقرر، أن ميلاد مثله كان فى القرن الرابع قبل الهجرة ، والقرن الثالث الميلادى أى قبل أن يتولى قصى أول ملوك قريش بنحو قرنين ، وقبل أن تظهر نتائج إصلاحه بنحو ٢٥٠ سنة .

(٧) ومن المعاصرين لحكيم العرب، ذلك الملك اللخمى « جذيمة الوضاح » فهو وإن كان من أرومة قحطانية، إلا أن هجرته إلى العراق ، واستيطانه تلك الجهة التى تعج بالقبائل العدنانية، وتلهج ألسنتها باللهجة العدنانية ، وتقديره لتلك اللهجة التى كانت لسانا عاما لأدباء العرب، عدنانية وقحطانية ، كل هذه الدواعى كان لها أثرها ، فادخرت كتب الأدب والتاريخ كثيرا من الآثار الأدبية لهذا العاهل الأديب الشاعر .

ومنها : « شب عمرو عن الطوق » و « ويل أمه حزما على متن العصا » و « دعوا دما ضيعه أهله » إلى آخر ما يعرفه الأدباء من الأمثال الكثيرة التى وردت على الألسنة فى « مصرع الزباء » كعمرو بن عدى اللخمى، الذى تولى الحكم بعد جذيمة ، والزباء التى كان مصرعها على يد عمرو هذا عند العرب.

ونظرة إلى سجلات اللخميين ، قريبا أن « جذيمة الأبرش » هذا ، تولى الحكم من ٢٦٨م — ٣٨٨م ولهذا نستطيع — فى يسر — أن نحكم أن كل الآثار الأدبية، التى صحت نسبتها إليه إنما قيلت سنة ٣٨٨م (٣٤٥ق م) وما قبلها ، أى قبل قصى ، أول ملوك قريش ، بنحو قرنين من الزمان .

وسأذكر فيما سيأتى ثلاثة أمثال ضربت فى العهد القريشى :

(٨) المثل الأول قولهم : « مايوم حليمة بسر » يضرب للأمر المشهور.

وحليمة هذه بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وهى التى ضرب بها المثل الآخر :

« أعز من حليمة » وهذا اليوم هو الذى قتل فيه «المنذر ابن ماء السماء» ملك المناذرة ، وكان ذلك سنة ٥٦٣م (٦١ ق هـ) .

ونسب إلى حليمة ، لأنها ، مبالغة فى تحريض الغساسنة ضد المناذرة ، خرجت إلى جنود أبيها ـ وكانت من أجمل النساء ـ فجعلت تمنح كل واحد بسمتها ، وجزءا من طيب كان معها ، فما هى إلا ساعات حتى جاءها البشير بمصرع المنذر ، فنسب إليها ، لأن صنيعها كان من أكبر عوامل النصر .

(٩) والمثل الثانى : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » أول من قاله «شقة بن ضمره التميمى» للملك المنذر ابن ماء السماء، وقد تقدم أن مصرع المنذر كان سنة ٥٦٣م(٦١ ق هـ) فهذا المثل يرجع تاريخه إلى هذه السنة، والسنين الخمسين التى سبقتها ، وهى التى تولى الحكم فيها المنذر .

(١٠) والمثل الثالث : « الصيف ضيعت اللبن » قاله : « عمرو بن عمرو ابن عدس التميمى» لإحدى مطلقاته ،ومن عمرو إلى عدنان ٢١ جيلا ،ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ٢٢,٧١ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٧١ من الأجيال ، مدتها ٢,٧ × ٤٠ = ١٠٨ سنة فكأن هذا المثل يرجع تاريخه إلى نحو قرن قبل الهجرة (٥١٤م) .

نموذج للغة المحادثة

قبل الهجرة بنحو خمسة قرون

ومن الآثار الأدبية القديمة التى تناقلها العلماء جيلا عن جيل ، وتلقفها الرواة راوية بعد راوية ، تلك النصوص التى سجلها الميدانى (١) لدى ذكره المثل .

انصر أخاك ظالما أو مظلوما

(١) وقد نقل عن (المفضل) أن أول من قال ذلك (جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم)

وكان رجلا دميما فاحشا ، إلا أنه مشهور بالشجاعة ، جلس هو و (سعد ابن زيد مناة بن تميم) - عمه - يشربان ، فلما أخذ الشراب منهما قال جندب لسعد وهو يمازحه — وفى هذا ما يدل على تقاربهما فى السن — :

(٢) « يا سعد ، لشرب ابن اللقاح ، وطول النكاح ، وحسن المزاح ، أحب إليك من الكفاح ، ودعس الرماح ، وركض الوقاح »

(٣) فقال سعد : « كذبت والله ! إنى لأعمل العامل ، وأنحر البازل ، وأسكت القائل »

(٤) فقال جندب : إنك لو فزعت دعوتنى عجلا ، وما ابتغيت بى بدلا فرأيتنى بطلا ، أركب العزيمة ، وأمنع الكريمة ، وأحمى الخريمة »

فغضب سعد وأنشأ يقول - من بحر الخفيف -

هل يسود الفتى إذا قبح الوجـ ... ـه وأمسى قراه غير عتيد
وإذا الناس فى الندى رأوه ناطقا قال قول غير سديد

(٦) فأجابه جندب من البحر نفسه :

ليس زين الفتى الجمال ولكن ... زينه الضرب بالحسام التليد
إن ينلك الغنى فزين وإلا ... ربما ضن باليسير العتيد

---

(١) مجمع الامثال حرف الهمزة .

(٧) فقال سعد ـ وكان عالما بالعيافة(٤) ـ « أما والذى أحلف به لتأسرنك ظعينة ، بين العرينة والدهينة ، ولقد أخبرنى طيرى ، أنه لا يفكك غيرى » :

(٨) فقال جندب : « كلا ، إنك لجبان ، تكره الطعان ، وتحب القيان »

فتفرقا على ذلك حينا ، ثم إن جندبا خرج على فرس له يطلب القنص ، فمر بأمة لبنى تميم .

(٩) فقال لها : لتمكنينى مسرورة ، أو تقهرين مجبورة .

(١٠) فقالت : مهلا ، فإن المرء من نوكه ، يشرب من سقاء لم يوكه »

ثم قبضت على يديه وما زالت تعصرهما ، حتى صار لا يستطيع حراكا ، ثم كتفته بعنان فرسه ، وراحت مع غنمها وهى تحدو به وتقول :

(١١) لا تأمنن بعدها الولائدا فسوف تلقى باسلا مواردا
وحية تضحى لحى راصدا

فرأى فى أثناء رجوعه سعدا فى إبله ، فاستغاثه ، فقال له :

(١٢) « إن الجبان لا يغيث »

(١٣) فقال جندب :

يأيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالما أو مظلوم

فأقبل إليه سعد فأطلقه .

قدم هذه الحادثة .

قدم هذه الحادثة مرتبط بقدم من جرت بينهم ؛ والاهتداء إلى زمانهم سهل ، لأن سعدا وجندبا من شجرة بنى تميم.

١ ـ ونظرة إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ترينا أنه ٢٢,٧١ جيلا .

ـ ومن سعد وابن أخيه جندب إلى عدنان ١١,٥ جيلا، فكان متوسط أجيالهما إلى عصر النبوة ١٢ جيلا مدتها ١٢ × ٤٠ = ٤٨٠ سنة .

وبذا يتبين أن هذه المحادثة جرت فى نهاية القرن الخامس قبل الهجرة ، ومنتصف القرن الثانى الميلادى (١٤٧ م) وهـذا التاريخ كان قبل ظهور المجد القريشى بنحو ثلاثة قرون .

إنظر فهرس هذه الأسماء

أثبت فيما سلف أن من الأمثال ما قالته العرب من زمن مديد ، يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد المسيحى، والقرن الثامن قبل الهجرة . وهى مع هذا بنفس تلك اللهجة الحبيبة إلى نفوسنا ، الشجية فى أسماعنا ، المعهودة جملة وتفصيلا لنا ، بل إن أكثرها بلغ من الرقة والوضوح والدقة، مايخيل إلى سامعه أنه من ثمرات الثقافة العباسية لا الآثار الجاهلية البعيدة ! وقد يمعنون فى الإنكار قائلين :

إن وجود لغة من القرن الأول قبل الميلاد ، إلى القرن السابع بعده ، أى فى مدة ١٩٠٠ سنة دون أن يعتريها تبديل لا يتعذر معه فهمها أمر بعيد !

فاللغة التى كان يستعملها العرب فى القرن الأول قبل الميلاد ، يتعذر على الأدباء استعمالها بعد ذلك بثمانية قرون ، لامتناع الآخرين ، بل أن يحاكوها لتسجيل خواطرهم .

دفاعى

وعندى أنه ليس هناك ما يحول دون خلود تلك اللهجة ، وتنقلها على أسلات الألسنة ، وصفحات القلوب والأفهام ، وأسنة الأقلام ، جيلا بعد جيل ، أضعاف هذه الحقب ولى شاهدان على هذا :

الشاهد الأول

فى اللغة اللاتينية ، ويمثله أصدق تمثيل الخطيب الرومانى المشهور « شيشرون » .

فقد دوت شهرته فى النصف الأول ، من القرن الأول قبل الميلاد المسيحى ، ككاتب وخطيب ، وقد ظل الكتاب ينسجون على منواله ، مدة ١٦ قرنا [١] — إلى القرن الخامس الميلادى ، والسابع الهجرى — ولم يكن سبب شهرته ، وخلود آثاره ، أنه كان إلى جانب ذلك سياسيا ، ومؤرخا ، وفيلسوفا ، وناقدا ، ومحاميا ، بل كان مما خلد ذكره فى عالم الأدب ، استمساك أولئك الكتاب بلغه اللاتين ، لغة العلم والأدب والروايات والأغانى — قبل عصر النهضة [٢] ، وتقديسهم إياها وحرصهم على الاحتفاظ بآثار عظمائها وتقليدهم ما راقهم من خطبائها ، فى ميادين البيان ، والسياسة ، والحرب ، فكل هذه الظروف ، مما ضمن لهذه اللغة البقاء ، تلك المدة الطويلة ، على الرغم من اختلاطهم بكثير من الشعوب والأمم الأخرى ، فى سلمهم وحربهم .

الشاهد الثانى

أما الشاهد الثانى فاللهجة العربية التى ينطق بها أدباء العرب الآن ، فى مصر ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان وجزيرة العرب ، والعراق . . .

أليست هى التى كان ينطق بها العرب فى صدر الإسلام ! بل قبله بالمائة والخمسين سنة ، التى حددها الأدباء فى العصر الحديث ، جريا وراء حدس الغربيين ، الذين يلذ لمتعصبيهم أن ينكروا كل فضل للعرب ، قبل هذا الحقبة !

أليست هذه المدة ١٥٠ قبل الهجرة + ١٣٦٩ — من الهجرة إلى سنة طبع هذا الكتاب = ١٥١٩ سنة !

---

(١) قصة الأدب فى العالم جـ ١ : ٣٠٦

(٣) تاريخ أوربا الحديثة جـ ١ : ٥

أليست هذه الفترة قريبة من التى ظلت فيها خطب شيشرون وآثاره البيانية ، نموذجا لكتاب أوربة إلى القرن الخامس عشر بعد المسيح، والقرن التاسع الهجرى ، يقتبسون منها جملة وتفصيلا ، ويحاكونها ، للتأثير فى السامعين مثلما كان يؤثر « شيشرون » فى أهل زمانه .

إذا كانت بلاغة « شيشيرون » من العوامل التى ساعدت على تخليد لغة اللاتينيين، بين أهل أوربة قبل النهضة ـ وأكثرهم ليسوا لا تينيين ـ فلا بدع أن تحتفظ العراق ، ولبنان ، وسورية ، وفلسطين ، والمملكة السعودية ، واليمن ، وبقية سكان شبه الجزيرة العربية ومصر ـ وأكثرهم عرب ـ باللغة العربية ، وآثار خطبائها وحكمائها وشعرائها ، وقضائها ، من ١٥٠ قبل الهجرة إلى ١١٦٩ وما بعدها، احتفاظ أهل أوربة ـ قبل عصر النهضة ـ بلغة اللاتينيين تلك المدة الطويلة ،

بل لا بدع أن يحتفظ العرب المحصورون فى شبه جزيرتهم ، فى جاهليتهم بلغة آبائهم وأجدادهم ، أضعاف تلك المدة الطويلة التى استنبطتها ، بل العرب أولى ، لأن تلك اللغة لغتهم لا لغة المستعمرين الأول ، ولأنها لغة آبائهم وأجدادهم ، لا لغـــة جنس آخر ، ولأنها فى جملتها كانت لغة الجميع ، ولا يطعن فى هذا ، ذلك الاختلاف التافه فى لهجات القبائل ، فى داخليتها ، فأكثر العرب كانوا يستعملون لهجتين للمحادثة : اللهجة الداخلية القبلية إذا كانوا يتحادثون بين قبيلتهم ، واللهجة العامة إذا كانوا يحادثون غيرهم من القبائل الأخرى .

ويقرب إلى أذهاننا هذا، أن للمتعلمين منا لهجتين للمحادثة : لهجة لمحادثة المثقفين إذا كنا فى القاهرة أو إحدى الحواضر الإسلامية ، والمدن الكبرى، ولهجة لمحادثة أقاربنا فى الصعيد ، أو أسفل الأرض ـ الوجه البحرى ـ

ولا ينكر واحد أن لهجة الوجه البحرى فى مصر ، غير لهجة الوجه القبلى ، واللهجتان غير لهجة أهل القاهرة مثلا .

كما لا ينكر فى الوقت ذاته أن أهل الصعيد يفهمون لهجة الوجه البحرى، وأهل الوجه البحرى يفهمون لهجة الصعيد ، وأن نسبة مايفهمونه من ألفاظ تلك المحادثة نحو ٩٩ ٪ .

هكذا شأن العرب فى شبه جزيرتهم ، فى جاهليتهم الأولى والثانية .

فكيف إذا راعينا أن سكان شبه الجزيرة العربية ، لم يكونوا متصلين بالفرس والروم والهند والحبش والمصريين : فراعنة وأقباطا ، اتصال الشعوب الأوربية بعضها ببعض، وهذا مما جعلهم بعيدين عن التأثر بحضارات تلك الأمم المجاورة، فحفظ ذلك لغتهم من لوثات تلك الأمم الأعجمية، ولم تجد الأمم الأجنبية المجاورة ـ وهى ذات حضارة وثروة ـ ما يشجعها على الاختلاط بالعرب . لرقة حالها ، وترامى صحاريها ، وصعوبة الاستيلاء عليها ، وانغماسها فى البداوة ، وخشونة طباعها .

ولا يحتج بالقبائل العربية التى كانت تجاور تلك الأمم ، فإنها قلة لا يعتد بها ، ومع هذا كانت أكثر القبائل ـ وهى محافظة ـ تنظر إلى القبائل التى لها علاقة بتلك الأمم نظرة ازدراء حتى فى الجاهلية .

أما فى العصر العباسى الأول عند تدوين اللغة ، فلم يرض العلماء أن يجمعوا لغتهم من هذه القبائل :

وفيما يلى أشهر تلك اللهجات المنبوذة التى

سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى ... لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

القبائل التى نبذت لهجتها	سبب نبذها
(لخم وجذام وعاملة) من يمن الشمال	مجاورتهم مصر القبطية
(قضاعة وغسان وإياد) « عرب «	مصاقبتهم أهل الشام
(ثعلب وبعض قبائل اليمن الشمالية)	قربهم من يونان
(بكر) ومن احتطبوا فى حبلهم	دنوهم من القبط غربا والفرس شرقا
(عبد قيس وأزد عمان) ومن انتشر حولهما بالبحرين	اختلاطهم بالهند جنوبا والفرس شمالا
أهل اليمن المشرفون على المحيط الهندى والبحر الأحمر	مخالطتهم الهند شرقا والحبشة غربا
بنو حنيفة وسكان اليمامة والطائف	امتزاجهم بتجار اليمن
حاضرة الحجاز فى صدر الإسلام	ازدحامها بكثير من تجار العرب والعجم

الشعر العربى

تمهيد

بينت قبلا أن أقدم الشعر الذى وصل إلينا ، كان قبل الهجرة بنحو ١٥٠ سنة ، كما يظن كثير من الأدباء قديما وحديثا ، أو قبلها بنحو ٤٠٠ سنة كما نقله ثعلب عن الأصمعى ، أو قبلها بأكثر من ٦٠٠ سنة ، كما تفيد أجيال الأنساب ، وسجلات الرواة ، وانتقال هذه الآثار إلينا ، بل تحدرها من أغوار الجاهلية على هذا النمط البديع ، والاكتمال العجيب ، وبحورها الستة عشر ، وأعاريضها الستة والثلاثين ، وأضربها السبعة والثلاثين ، وأوزانها المركزية السبعين . . كل هذه أمور تثير العجب ، وتدل على أنه لم يصل إلى هذه

الدرجة من (النضج) إلا بعد أن مر فى مرحلة (الطفولة) ، ثم قطع مرحلة أخرى من (مراحل الشباب) ، فى خلالها عرف الشعراء كيف يوائمون بين عواطفهم وأفكارهم ، ليتم لهم التنسيق بينهما وبين وحدة القافية ، واللهجة ، ودقة الأسلوب ، وتنويع الوزن ، وبراعة التصوير ، وأنهم (قبل ذلك) لا بد أن يكونوا قد مروا (بالبحور ذوات التفعلة الواحدة) أولا ، كالرجز ، ثم الكامل ، ثم المتدارك ، والمتقارب ، وأنهم قبل القصائد ، كانوا ينظمون (المقطعات) متدرجين فيها من الشطر إلى البيت ، ومن البيت إلى البيتين .. وقبلها عثروا (بالأمثال والحكم المفردة ، ثم (المزدوجة المرسلة) ، ثم (المزدوجة الموزونة) ، وقبلها بدءوا يضعون (أسس السجع الفنى) ، وإن لم يكن من الضرورى أن تسير الحقيقة فى هذا التدرج ، ولا سيما فى البحور ١٠٠ ٪ ؛ فإن اللغات وغيرها كثيرا ماتشذ عن المنطق ، وتستعصى على القوانين .

تلك سبع مراحل ، كل مرحلة منها تحتاج إلى عشرات السنين ، قبل نضجها واكتمالها ، ثم الانتقال إلى مابعدها ، متدرجة من البسيط إلى المركب ، ومن السهل إلى الصعب غالبا .

فهل الـ ١٥٠ سنة التى زعموها ، تكفى لمثل تلك الأمور الفنية المعقدة ، بين قبائل بدوية أمية فقيرة !

ميلاده

رأى أن ميلاد الشعر العربى سبق « انفجار سيل العرم » ، وقد قدمت أن السيل كان قبل الميلاد بنحو قرن ، اعتمادا على نظريتى ، وبنحو ١١٥ قم بناء على استنباطها العلامة الألمانى جلازر : Glaser) وعلى كلا القولين ، يمتد عمر الشعر الجاهلى أكثر من سبعة قرون قبل الإسلام ، وهى كافية لكل ماقدمت من مراحل ، أوضحها مرحلة شبابه التى أدركها الإسلام ،

تشق طريقها إلى ذروة مجدها ، واكتمال سموها فى العصر العباسى الأول لفظا وأسلوبا ومعنى وفكرة وخيالا وأناقة .

البذرة الأولى للشعر

وإنه ليسرنى بعد هذا أن أرى تقاربا عجيبا بين تحديدى هذا ، وما قاله علماء العرب قديما :

فقد حكى (الزبير بن بكار) فى حديث رفعه . « أن رسول الله ﷺ قال لقوم من غفار ، حين سمع حاديهم بطريق مكة ليلا : « إن أباكم مضر خرج إلى بعض رعائه ، فوجد إبله قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح : « وايداه » ! « وايداه » ! ! فسمعت الإبل ذاك ، فعطفت عليه ، فقال مضر : « لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل واجتمعت » فاشتق الحداء .

وقد روى هذا الخبر بأسلوب آخر وإن كان الأساس واحدا ، هو أن مضر هذا سقط عن جمله ، فانكسرت يده ؛ فأخذ يقول : « وايداه » « وايداه » ! ! وكان أحسن خلق الله صوتا ، فأصغت إليه الإبل وجدت فى السير ، فجعلت العرب مثالا له « هايدا هايدا » يحدون به فى الإبل[1]

تحديد المدة من مضر

الأجيال من مضر إلى العصر الإسلامى — فى المتوسط — ١٧,٥ جيلا ، مدتها ١٧,٥ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة ، أى قبل الميلاد بنحو ٧٨ سنة . وقد قدمت أن « العلامة الألمانى جلازر » حدد سيل العرم بسنة ١١٥ ق م ، وبضمها إلى ٦٢٢ م التى بدأت بها الهجرة نجد العددين ٧٣٧ سنة .

فالفرق بين تقديرى لأيام مضر ، وتقدير جلازر لانفجار سيل العرم

---

(١) بلوغ الارب جـ ١ ص ٣٦٩

٢٧ سنة فهذه المدة هى مدة الحضانة للشعر العربى على رأى هذه الرواية ، بعدها بدأ الشعراء يتنقلون بالشعر فى حقول تجاربه، من البسيط إلى المركب ، ومن الشطر إلى الشطرين ، ومن البيت إلى البيتين ، ومن المقطوعة الناقصة إلى الكاملة ، ومن هذه إلى القصيدة فى أضيق حدودها ، ثم تدرجوا إلى القصيدة المتوسطة فالطويلة .

أقدم القصائد الطوال

وأقدم ما وصلنا من القصائد الطوال قصيدة « لقيط الإيادى » ينذر بها قومه ، وقد زحف إليهم « سابور ذو الأكتاف » وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتا ومطلعها :

يادار عبلة من محتلها الجرعا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا

وسأبرهن الآن على أن هذه القصيدة قيلت فى سنة ٣٢٦م (٣٠٦ق هـ) .

لقيط الإيادى وسابور ذو الأكتاف

وقد سجل المسعودى [١] أنه فى أيام (سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الأكتاف، غلبت العرب على سواد العراق، وكانت جمهرة العرب ممن غلب على العراق، وُلد (إياد بن نزار) وكان يقال لها (طبق) لإطباقها على البلاد، وملكها يومئذ (الحارث بن الأغر الإيادى) ، فلما بلغ (سابور) من السن ١٦ سنة نهض للإيقاع بهم ، وكان فى محبسه رجل منهم يقال له (لقيط) فكتب إلى إياد شعرا ينذرهم به وهو :

سلام فى الصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من إياد
بأن الليث يأتيكم دلافا فلا يحبسكم سوق النقاد (٢)
أتاكم منهم سبعون ألفا . . . . . .

---

(١) مروج الذهب ، ج ١ ص ١٥٨

(٢) النقاد بكسر النون جمع نقدة بالتحريك وهى صغار الغنم

فلم يقدروا نصيحته ـ وسرايا كسرى تزحف نحو العراق ـ فلما تجهز القوم نحوهم كتب إليهم :

يادار عبلة من محتلها الجرعا . . . . . .

فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر قليل . لحقوا بعدها بأرض الروم ، وكان يخلع من الأسرى أكتافهم ، فسمى من ذلك اليوم « سابور ذا الأكتاف » .

تحقيق

تصفحت تاريخ الفرس ، فوجدت أن « سابور الثانى : ذا الأكتاف » انتخب ملكا فى نفس السنة التى ولد فيها ، أى سنة ٣٠٩ م (٣٢ ق هـ) ، ولم يزحف على الإياديين لطردهم عما احتلوه من مملكته ، إلا بعد أن بلغ ١٦ سنة ، أى سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ ق هـ) فهاتان القصيدتان قيلتا سنتئذ .

دلالة القصيدة العينية للقيط

وفوق مادلت عليه القصيدة العينية ، من أنها أقدم القصائد المطولات التى وصلتنا ، لها دلالة أخرى أعمق من الأولى ، هى أنها فى لفظها وأسلوبها ووضوحها وجزالتها ، صورة رائعة لأغلب الآثار العربية الجاهلية ، التى تركتها العرب بين أيدينا كالمعلقات ، وأنها لا تنافر بينها وبين أسلوب القرآن وصياغته وألفاظه ، وهى مع هذا ليست من لهجة قريش ، إذ هى أقدم من زمن قصى بأن مجد قريش بنحو قرن ، بل هى من لهجة العدنانيين ، فنسبة اللهجة القرآنية ومايشابهها إلى قريش فيه مبالغة خطيرة .

أقدم دواوين الشعر :

ومن يتتبع آثار العرب فى جاهليتهم كما تتبعت ، يجد أن أقدم دواوين الشعر إنما هو ديوان لقيط الأيادى ؛ ومن عجب أنه مخطوط إلى الآن ! وفى متناول أيدينا ! وفى مكان واحد فى مصر ، هو دار الكتب المصرية ؛

وليس مستقلا ! بل « ضمن مجموعة مخطوطة رقم ٤١١٣٨ — أدب »[1] ؛ وكل ما بذله المشرفون على هذه المكتبة فى القديم أنهم بعد اقتنائه أدرجوه مع عدة قصائد مخطوطة ، لعمرو بن قميئة ، والعجاج ، وعلقمة ، وأوس بن حجر الخ ، ثم منوا على الرجل ، بل منوا على الجندى المجهول ، بتعريف متواضع لراوى قصيدته العينية ، والدالية لا للشاعر ولا لمنزلته الأدبية ، وهذا الراوى هو العلامة اللغوى النسابة أبو المنذر بن هشام المعروف بابن الكلبى ، وبهامشه ، وبين سطوره ، تقييدات كالشرح عليه

ولولا أن واحدا من أدبائنا طبع مختارات ابن الشجرى ، وفى طليعتها هذان الأثران لشاعرنا الخالد « لقيط الأيادى » ، فعمدت دار الكتب المصرية إلى شراء بعض النسخ المطبوعة ، وجعلتها بين نفائسها تحت رقم ١٨٤٥ (أدب) ، لولا هذه العناية المتواضعة لكان الأسف كبيراً .

وكيف لا نأسف وأقدم الدواوين العربية لا يلقى من أدبائنا ، ورجالنا الرسميين عناية كافية ! وكيف لا تضيق صدورنا حرجا ، وفيه تلك القصيدة العينية التى تعتبر أقدم قصيدة عربية فى الدنيا ، وأصدق دليل على بطلان ما تواطأ عليه المشتغلون بالأدب قديما وحديثا من وضعهم حدا — بالأسنة المسلح — وسدا — ولا سد يأجوج ومأجوج — لاقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، وحرموا بهذا أن يكون للعرب آثار أدبية قبل الهجرة إلا بنحو ١٥٠ سنة ! — منساقين بحسن نية وراء أعدائنا ، وأعداء تراثنا ! مع أن ديوان لقيط هذا يجلجل صوته مدويا بتكذيبهم ، وتؤيده السجلات الملكية وتاريخ الفرس ، والتاريخ العام والخاص ، وكلها تجمع على أن تاريخ هذين الأثرين مرتبط بتاريخ السنة التى بلغ فيها « سابور ذو الأكتاف » ١٦ سنة ، وأنه سنتذاك ، زحف على الإياديين لاجلائهم عن الحمى المستباح ، الذى أسسه آباؤه وأجداده ، فعاث فيه الإياديون فسادا ، يقتلون ويأسرون وينهبون ، وأن ذلك الزحف كان سنة ٣٠٥ م أى قبل الهجرة الإسلامية بثلاثة قرون

(١) هذا التعبير لدار الكتب المصرية لا لى .

وست سنوات بالتقويم القمرى ! أى قبل ضعف المدة التى حددها علماؤنا لتاريخ الأدب الجاهلى قديما ، بل أكثر من ضعفها !

عدد أبيات القصيدة العينية

وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتا ، يدل عددها فى الوقت نفسه على زيف قول « ابن سلام » ومن احتطبوا فى حبله :

« إنما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد ، عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف » !! إذ بين عصر النبوة ، وبين عبد المطلب نحو قرن على الأكثر ، وزمن هاشم أقدم من زمن ابنه عبد المطلب بنحو ٤٠ سنة على الأكثر .

فلو أن هاشما كان قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة مثلا ، لقارب ذلك سنة ٤٦٦ م وقصيدة لقيط قيلت سنة ٣٢٥ م ، فهى أقدم من الزمن الذى حدده ابن سلام لتقصيد القصائد بنحو قرنين إلا قليلا ، وفى هذا ما يدل على أن أكثر ما يقوله الرواة فى تحديد أزمان الجاهلية رجم بالغيب ، ورمى بالظنون ، غير معتمد على قاعدة كالتى ابتكرتها ، وهذا بعض ما اخترته من قصيدة لقيط ، التى تعتبر فوق ما تقدم أقدم أثر أدبى عربى يهدف ، إلى إثارة الشعب لدفع ما يكره وتحقيق النفع العام :

يا دار عمرة من محتلها الجَرَعا ... هيجت لى الهم والأحزان والوجعا (١)

تامت فؤادى بذات الجزع خرعبة ... مرت تريد بذات العذبة البيعا (٢)

بمقلتى خاذل أدماء طاع لها ... نبت الرياض تزَجى وسطه ذرعا (٣)

وبعد سبعة أبيات فى تلك المقدمة الغزلية التفت إلى رسوله الإيادى محذرا فقال :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ .

(٢) (تامت) : تيمت وجعلته متيما ذليلا ، و (ذات الجزع) : موضع ، و (الخرعبة) : الشابة الحسنة القوام و (ذات العذبة) موضع .

(٣) الخاذل : النفور ، والأدماء : البيضاء ، طاع لها نبت الرياض : تشبه الظبية التى لاتجد صعوبة فى تناولها نبت الرياض ، وتزجى : تسوق برفق ، والذرع : ابن البقرة الوحشية .

بل أيها الراكب المزجى مطيته إلى الجزيرة مرتادا ومنتجعا (١)
أبلغ إيادا وخل فى سراتهم أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نفعا (٢)

وبعد ٢٤ بيتا قالها يحرض قومه أن يتحدوا ، ويحذرهم أن يتفرقوا ، ويصف لهم استعداد فارس وقومهم ؛ ليثير حميتهم ، ويخوفهم الجلاء قال ينصحهم باختيار زعيم رحب الذراع ، خبير بفنون الحرب ، ليس له مال ولا ولد ....

وقـــلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا (٣)
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا (٤)
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد سناه يقصم الضلعا (٥)
مسهد النوم تعنيـــه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطلعا (٦)
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا (٧)
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى ، لاقحما ولا ضرعا (٨)
وليس يشغـــله مال يثمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا (٩)

ثم اختتمها بهذين البيتين :

لقد بذلت لكم نصحى بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا
هذا كتابى إليكم والنـــذير لكم لمن رأى رأيه فيكم ومن سمعا

---

(١) المرتاد والمنتجع : طالب المرعى .
(٢) خل فى سراتهم أى امش خلال زعمائهم محذرا ونذيرا .
(٣) لله دركم : عبارة يراد بها التعجب والمدح ، بأمر الحرب مضطلعا : خبيرا .
(٤) لا مترفا : من غير أرباب الترف فهؤلاء لا يصلحون لخشونة الحرب وقسوة الجهاد وخشع : خضع أى لا يصح أن تختاروا من الزعماء من يذل إذا ما رأى مكروها .
(٥) الريث : الابطاء ، أى لا تنام إلا عند أقصى الضرورات .
(٦) مسهد النوم : مؤرق ، وتعنيه : تهمه ، يروم : يطلب ، ومطلعا : اطلاعا :
(٧) يحلب الدهر أشطره : يكون ذا تجارب قد خبر الأيام خيرها وشرها .
(٨) الشزر : فتلك الحبل مما يلى اليسار وذلك أشد لفتله ، والمريرة من إمرار الحبل أى شدة فتله أى زعيما قويت شكيمته واستحكم أمره ، والضرع : الضعيف الذليل والقحم : الشيخ الذى كبرت سنه جدا .
(٩) يثمره : يجعل له ثمرة وربحا ، ولا ولد يبقى له الرفعا : أى وليس له ولد ؛ لأن الولد مجبنة مبخلة ؛ إذ شأن ذوى الأولاد أن يعيشوا لتدعيم مستقبل أبنائهم ورفع شأنهم ، وكل ما عداه هين رخيص ومثل هؤلاء لا يصلحون للغارات القوميه .

(٢) القسم الثانى

شعراء المقطوعات فى الجاهلية

أزجيت بين يدى قرائى — فى القسم الأول — صفحة ١٠١ من هذا الكتاب أن أقدم فنون الأدب العربى هى الأمثال المنسوبة ، وبرهنت على أن منها ماترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة ، أو القرن الثانى قبل الميلاد المسيحى ، وهذا ماعثرت عليه إلى الآن ، والأمل كبير أن أعثر على ماهو أقدم ، ونثرت بين أيدى الباحثين ، ورواد الحقيقة ، مايجعلهم مطمئنين إلى صحة ماذهبت اليه ، من تحديد الميلاد ، لكل مثل من الأمثال التى اخترتها فى أزمنة مختلفة ، ولاسيما أن للأمثال حصانة ، قررها العلماء قديما ، لم تحظ بمثلها فنون الأدب الأخرى ، من مقطوعات ، أو قصائد ، أو خطب ، أو وصايا ، أو أسجاع الكهان .

فالآن أقرر ، أنه لايضير غير الأمثال من فنون الأدب ، أن لاتكون لها هذه الحصانة ، مادامت تروى فى أية صورة من صور الأمثال المنسوبة ، التى أزجيت نماذج منها ، تقطر من نبعتها العربية الصافية ، وتنهج نهجها فى البيان ، والأسلوب ، والألفاظ ، والأغراض ، وما إليها ، وما دامت تنسب إلى قائلها ، لأننا بهذا الأسلوب ، وبهذه اللهجة ، لانجد حرجا فى أن يكون للعرب نوع منها ، فى القرن السادس قبل الهجرة مثلا ، وبهذه النسبة ، نستطيع أن نحدد ميلادها ، وبهذين نقضى — فى سهولة ويسر — على أخطاء القائلين : إن أقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، لا تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ !

وفنون الأدب الأخرى مركبة إذا قيست بالأمثال ، فالأمثال أقدم منها . لأن البسيط أقدم من المركب كما تقدم ، وقياسا على هذا ، نجد المقطوعات أقدم من القصائد ، لأنها تتراوح بين بيت ، وستة أبيات ، أما إذا زادت

على هذا العدد ، فتسمى قصيدة لا مقطوعة ، فما أقدم أنواع الشعر التى تحدرت إلينا ؟

أقدم المقطوعات

من أحفل المراجع لهذا النوع من الأدب، كتاب المعمرين للسجستانى ، فقد جمع فيه مقطوعات، لأكثر من مائة من المعمرين ، عدنانيين ، وقحطانيين من كل القبائل العربية ، بينهم طائفة لا يستهان بها، ممن سبقوا الهجرة بأكثر من قرنين ، أى قبل قصى أول ملوك قريش ، وهو الذى يرتد إليه الفخر ، فى كل ماناطها من شهرة فى الجاهلية الثانية ، ولا مرية فى أن هذه الطائفة ، استودعتنا آثارها الأدبية بلسان عربى مبين ، ولهجة عدنانية صافية ، وأسلوب إذا جردناه من نسبته إلى قائله ثم خلطناه بغيره من أساليب العصر العباسى الأول ، لا يكاد يظهر الحديث من القديم والجاهلى من الإسلامى ، وفى هذا ما يثبت من جديد ، أن اللهجة التى نزل بها القرآن ، لهجة عربية ، كانت لسان الخاصة من العرب ، ولسانا عاما لأدبائهم .

وبعض هذه المقطوعات منثور فى الكتب الأخرى ، مثل كتاب المزهر للسيوطى ، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، وكتاب الأمثال للميدانى ، وجمهرة أنساب العرب للعسكرى ...

وقد ذيلت قسم الأمثال بنموذج من محادثة أدبية قديمة ، جرت بين ثلاثة من بنى تميم : سعد بن زيد مناة بن تميم ، وابن أخيه جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم ، وجارية لهم ، ويهمنا منه فى هذا المقام عدة قطع وردت على ألسنتهم، ومعرفة الزمن الذى قيلت فيه هذه المقطوعات سهل ، لا يكلفنا عناء إلا بمقدار ما نستفتى فيه شجرة بنى تميم .

وقد حققت فى القسم الأول ، أن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كان قبل الهجرة بنحو ٤٨٠ سنة ، وابن أخيه جندب كان يعاصره ، ولو أنه أصغر منه سنا ،

وقد أمعنت فى البحث ، فوجدت من هو أقدم من سعد بن زيد مناة ، وابن أخيه جندب ، وكدت أطير سرورا حينما وجدته من عرب اليمن ، لأن فى هذا دلالة على قدم الزمن ، الذى اندمج فيه أدباء العدنانيين بأدباء القحطانيين .

وتحديدا للفترة التى بدأت تذوب فيها لهجة القحطانيين فى لهجة العدنانيين ، ومفتاح ذلك كله هو « طى بن أدد » من الكهلانيين وهذا بيان ما وصلت إليه من النتائج :

طى بن أدد

وقد جست خلال أنساب الكهلانيين ، فوجدت منه إلى جدهم قحطان ١١ جيلا ، لأنه طى بن أدد بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ورجعت إلى صفحة ٤٦ من هذا الكتاب ، فوجدت متوسط الأجيال ، من عصر النبوة إلى قحطان ٣١ جيلا ، فمن طى إلى عصر الإسلام ٢١ جيلا .

مدتها ٢١ × ٤٠ = ٨٤٠ سنة .

ولكن يطعن فى هذا التقدير أن « طيا » هذا كان يعاصر عدنان ، وأكبر الظن ، أن عدنان لم يكن ينطق بهذه اللهجة التى نزل بها القرآن ، بل كانت تختلف عنها نوعا ، لما قدمت .

والسجستانى[1] يقرر أن « طيا » كان من المعمرين ، وأنه عاش ٥٠٠ سنة !! وأن أشياخا من طى يذكرون ذلك ، ويتناقلونه جيلا بعد جيل ، وأنه فى أصيل عمره حمل من جبله « ظريب » باليمن إلى جبل آخر ، نسب إليه فيما بعد ، فسمى « جبل طى » فقتل رجلا « من عاد » كان هناك ، وحل محله ، فقال فى ذلك — من بحر السريع — :

---

(١) كتاب المعمرين صفحة ٧٢ رقم ٢٤ .

إنا من الحى اليمـــانينا إن كنت عن ذلك تسألينا
فقد ثوينا بظريب حينا ثم تفرقنا معا عضينا

أما إنه عاش ٥٠٠ سنة فهو مبالغ فيه ، فلو أنى قدرت لعمره منها ١٨٠ سنة ، وافترضت أن هذه الهجرة كانت فى أواخر أيامه ، لكانت دلالته أن هذا الشعر قيل فى القرن السابع قبل الهجرة (٨٨٠ - ١٨٠ = ٧٠٠ سنة) ، وبذا يكون قد قصر عن القرن التاسع : عصر عدنان ، نحو قرنين ، فيهما وصلت لهجة بنيه ومعاصريهم إلى ما قرأناه لطى هنا .

صبر أنور باد القحطانية فى العدنانية

ولهذا الأثر الأدبى المنسوب إلى طى قيمة كبيرة ، لأنه فوق دلالته على قدم المقطوعات العربية ، فيه دلالة أخرى على أن زعماء القحطانيين بدءوا يلمون حاجة العيش فى غير أرضهم ، ويفرون إلى الجهات الشمالية المعتبرة من حمى العدنانيين ، وأن اصطناع لغة العدنانيين أصبح من المحتمات ، حتى يتم التفاهم ، وتنسجم العلاقات ؛ وهو الأمر الذى سار على نهجه حوالى هذا التاريخ عرب المناذرة ، والغساسنة وغيرهم ، من بعد سيل العرم ، وأن « طيا » لم يقنع بتعلم اللغة العدنانية ، بل خطا خطوة أخرى ، فتعلم آدابها ، وحاكاهم فى نظم الشعر بلهجتهم .

وبتصفح التاريخ اليمنى نجد « دولة سبأ » التى تأسست سنة ٨٠٥ ق . م . كان قد مر عليها نحو سبعة قرون وهى مستقلة ، وأنها انهارت بانهيار سيل العرم سنة ١١٥ ق . م (٧٦٠ ق . هـ) فقامت على أنقاضها دولة حمير (١) ،

ودلالة هذا ، أن دولة سبأ كانت بوادر الانحلال تنخر فى صرحها ، لا فى ميادين الاقتصاد . أو الاجتماع فحسب ، بل كذلك فى اللغة ، وكان سيل العرم بمثابة القطرة التى تفيض بها الكأس . فلا عجب أن يبدأ القحطانيون فى التقرب إلى العدنانيين ، وتعلم لغتهم ، ولا اعتراض إذا بدأت

(١) الأسس المتسكرة لدراسة الادب الجاهلى ص ١٤ .

صلة جديدة تربط زعماء العرب القحطانيين ، بزعماء العرب العدنانيين وليس كالآداب وسيلة .

إذن من الممكن جدا ، أن تكون نسبة هذا الشعر إلى « طى » صحيحة ، ومن الممكن فى الوقت نفسه ، أن تكون المقطوعات العربية العدنانية . أقدم من هذه المقطوعة القحطانية بلسان عدنان .

رأى علماء الرواية

فهل فيما نقله الرواة من بعُد بتاريخ الشعر ، قبل المائة والخمسين سنة ، التى مازال بعض العصريين مصممين ، على أن تكون حدا لا تتجاوزه الآداب العربية ؟ نعم فقد نقل إلينا السيوطى أن « عمر بن شبة » فى طبقات الشعراء قال : (١)

« الشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » .

« وزعم بعضهم أن « الأفوه الأودى » أقدم من « عبيد بن الأبرص » عند بنى أسد ، و « عمرو بن قميئة » و « والمرقش الأكبر » عند بكر و « أبى دؤاد » عند إياد .

ونقل ثعلب فى أماليه ، أن أول شعراء القصائد « ذؤيب بن كعب » التيمى ثم « ضمرة الكنانى » و « الأضبط بن قريع » المزروعى ، وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

بل أعجب من هذا مانقلته فى هذا الكتاب عند حديثى عن « الأفوه » ورأى بعض الرواة أنه أدرك المسيح ! أى القرن السابع قبل الهجرة !

الحمد لله

فقد وجدت من يناصرونى من رواد الأدب العربى ، وتلاقت نظريتى ومانقله بعض روادنا المحققين ، وعلمائنا الأثبات فى الصدر الأول .

وبين يدى الآن ، طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ، ومما جاء فيه :

---

(١) المزهر ج ١ : ٢٩٦

١ - «مما يروى من قديم الشعر قول «دويد بن زيد بن نهد» حين حضره الموت»:

اليوم يبنى لدويد بيتـــه لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته يارب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته (١)

٢ - «وأعصر بن سعد بن قيس عيلان» ...

٣ - ومنهم «المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد» ...

٤ - و «زهير بن جناب الكلبى» ...

٥ - و «جذيمة الأبرش»

٦ - و «لجَيم بن صعب» بن على بن بكر بن وائل ...

٧ - وقبل كل أولئك قال: ومن قديم الشعر الصحيح قول «العنبر بن عمرو بن تميم» — وكان مجاورا فى بهراء فرابه ريب — :

«قد رابنى من دلوى اضطرابها»

وستأتى فى تحقيق أقدميته.

٨ - و «ابن خِذَام» وفيه قال امرؤ القيس بن حُجر:

عوجا على الطلل المحيل لعلنـــا نبكى الديار كما بكى (ابن خذام)

وهو رجل من طى، لم نسمع شعره الذى بكى فيه الديار، ولا غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس.

نقط البحث فى هؤلاء الشعراء الثمانية

وسأجتهد فى البحث لأرى أكل أولئك الشعراء الثمانية، من قدماء الشعراء حقا؟ وما مبلغ قدمهم؟ وهل كلهم من شعراء المقطوعات؟ وإن كان من بينهم أحد من شعراء القصائد، فلم أغفلته المعسكرات الثلاثة الآتية، عند سردها شعراء القصائد، وما أقدم الآثار العربية التى عثرت عليها؟ وهل بقى أحد بعد هؤلاء الشعراء الثمانية؟ وبعد العشرة الذين سبقوهم؟ ولم تركوا؟ فيما يأتى نتائج مباحثى:

---

(١) الغيل: الساعد الريان الممتلىء

(١) دُويد بن زيد القُضاعى

ميلاده : ١٥٦ ق هـ (٤٧١ م)

١ - (ا) من هذا الشاعر الحميرى إلى جده الأكبر قحطان ١٩ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى هذا الجد فى شجرة حمير ٣٠ جيلا .

فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيـــلا . مدتها

١١ × ٤٠ = ٤٤٠ سنة .

٢ - (ا) وبالرجوع إلى (دليل العشيرة) بعد (دليل النسب) نجد من عشيرته الأقربين «ثعلبة بن صُعَير» و« وخالد بن عرفطة » ، و « جمرة بن النعمان » و « نبيه بن يزيد » ، و « زمل بن عمر » ومتوسط أجيال هؤلاء الخمسة من الصحابة إلى جدهم قحطان ٢٨,٢ جيلا .

(ب) وسبق أن من « دويد » إلى قحطان ١٩ جيلا .

(فالفرق بين متوسط أجيال العشيرة ، وأجيال دويد) ١٠,٢ أجيال .

ومجموع الفرق الأول والفرق الثانى ٢١,٢ جيلا .

ومتوسط الفرق ١٠,٦ أجيال . مدتها ١٠,٦ × ٤٠ = ٤٢٤,٠ سنة .

وبناء على هذه الأرقام ، نجد أن « دويد بن زيد » لما كان فى سن الأربعين ، كان هذا فى سنة ٤٢٤ قبل الهجرة .

ولكننا بالاطلاع على القاموس المحيط ، نجد أن « دويدا » عاش ٤٥٠ سنة ! ! وأنه أدرك الإسلام ! ! وأنه ارتجز محتضرا : اليوم يبنى لدويد ...

أمامنا الآن قضيتان : (الأولى) أنه عاش ٤٥٠ سنه
و (والثانية) أنه أدرك الإسلام
فكيف نصدر حكمنا فيها معتمدين على شجرة الأنساب !!

تقدم أن هذا الشاعر كان فى سن الأربعين سنة ٤٢٤ قبل الهجرة ، فكان ميلاده كان سنة ٤٦٤ قبلها ، فلو جارينا من حددوا له هذا العمر ، لكانت وفاته حوالى سنة ١٤ قبل الهجرة أى حوالى ظهور الإسلام ، لأن النبى ﷺ مكث بعد ظهور الإسلام نحو ١٣ سنة فى مكة ، ثم هاجر منها إلى المدينة . فمن العجب أن يتفق هذا العمر الطويل مع (دليل النسب) ! !

وبذا يثبت أيضا أنه أدرك الإســـلام ! لكن هذا العمر ليس معقولا مطلقا ! ! فكيف مع هذا تواطأ (دليل النسب) مع تحديد الرواة ! ! بالاطلاع على معجم البكرى رأيته يقول : زعموا أنه عاش ٤٠٠ سنة [١] ! وبالرجوع إلى السجستانى [٢] وجدته يقول إن « دويدا » عاش ٤٥٦ سنة !!

والذى أرجحه أن عمره لم يصل إلى أكثر من ١٥٦ سنة ، وأنه فى ذات الوقت أدرك الإسلام وهذا لا يسوغ إلا إذا مهدنا له بأمرين :

الأمر الأول

أن أربعة من أجداده ، أو ثلاثة على الأقل ، كانوا من المعمرين ، وأن القرون الثلاثة التى اقتضتها من العمر المنسوب إليه ، توزع على هذا العدد من أجداده ، فوق السن المتوسطة وهى الستون ، وهذا ليس بغريب لأن طول العمر مما يورث .

الأمر الثانى

أن أجداده الثلاثة أو الأربعة ، الذين اشترطنا أن يكونوا من المعمرين ، يلزم أن يكون كل واحد منهم قد أنجب من بعده بعد المائة . والطب لا يمنع

(١) معجم ما استعجم جـ ١ ص ٣٤
(٢) كتاب المعمرين ص ٢٠ رقم ١٢

هذا والعرف والواقع يؤيدانه ، بل قد ينشأ من وفرة النشاط الجنسى قبيل المائة ، أن لا يقتصر الزوج على إنجاب طفل واحد ، بل ينجب توءمين والمجلات العلمية ، والشركات البرقية ، كثيرا ما تنشر مثل هذا ، وأحدثها ما أذاعته إحدى هذه الشركات ، فنشرته الجرائد فى ١٠ / ١١ / ١٩٤٩ خاصا بزوج مجرى ، فى الثامنة والسبعين أنجب توءمين . .

ونتيجة هذا

أن الشاعر ولد فى سنة ١٥٦ قبل الإسلام ، وتوفى سنة ١٣ قبل الهجرة وكان فى سن الأربعين فى سنة ١١٦ قبل الإسلام .

شعره

ساق إلينا السجستانى نموذجين من شعره ، ونموذجا من نثره .

النموذج الأول

أنه لما حضرته الوفاة قال :

ألقى على الدهر رجلا ويدا والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غدا

ويروى :

ويسعد الموت إذا الموت عدا

وهذا المعنى كثير الورود على ألسنة الشعراء فى كل عصر ، أما قديما فيقول الأفوه الأودى :

والمرء ما يصلح له ليله بالسعد تفسده ليالى النحوس

ومعنى الأفوه أدق ، إذ هو يفيد نسبة السعد إلى النحس فى هذه الحياة ، وخلا معنى دويد منها ، ومما يغفر له ، إفادته سرعة حدوث الشر بعد الخير ، على الرواية الأولى ، وليس عند الأفوه إشارة لهذه السرعة ، وأما فى القرن الرابع فقد قال المتنبى فى وصف الدهر والشكوى منه

ربما تحسن الصنيع ليالي ه ولكن تكدر الإحسانا

وفى عهد إسماعيل قال شاعره :

فلا تثـــق بوميض من يرقه فهو خلب

والنموذج الثانى

يارب نهب صالح حويته ورب غيل حسن لويته
اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته

النموذج الثالث نثرى

وجمع بنيه عند موته فقال :

أوصيكم بالناس شرا . . . والحق أن هذه الوصاة لجده نهد كما يفيد هذا معجم البكرى .

نهد بهمه نبير الفضاعى

وعلى ذكر نهد جد دويد ، يحسن بى أن أذكر هنا مكانه بين القدماء ، وآثاره الأدبيه ، لارتباطها بما نريد البرهنة عليه ، وهو أن اللهجة التى نزل بها القرآن ليست لهجة قريش ، بل هى أقدم منها ، وليست لهجة قبيلة بعينها بل هى اللغة العامة لأدباء القبائل ، وهذا بيان قدمه وآثاره :

١ — (ا) تقدم أن من حفيده (دويد بن زيد بن نهد) إلى قحطان ١٩ جيلا ، فمن نهد إلى قحطان ١٧ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة فى حمير إلى قحطان ٣٠ جيلا

(ج) والمتوسط النهائى من الحفيد إلى عصر النبوة ٤٢٤ سنة ، ولكن العمر الخيالى الذى حدده الأدباء لدويد لم يرقنى ، فاقتضبته إلى ١٥٦ سنة انتهت بظهور الإسلام ، فلو أنى لم اعتمد إلا (دليل النسب) لكان عمر (نهد) أربعين سنة فى عام ٥٠٤ قبل الهجرة أى قبل الزمن الذى حققته لحفيده دويد معتمدا على شجرة الأنساب بنحو ٨٠ سنة وعندى ما يؤيده من (دليل المعاصرة) وهو القاعدة الثالثة من نظريتى .

دليل المعاصرة

وقد أرسيت هذا الدليل على طائفة من عدة قبائل، كانوا يعاصرون (نهد بن زيد هذا) أخبرنا بأمرهم البكرى فى معجمه فقال . « وكان نهد منيعا كثير التبع والولد، وعمر عمرا طويلا، وهو أكثر قومه ولدا لصلبه وهم أربعة عشر ذكرا منهم (من برة بنت مر بن أد) — وهى أم (أسد بن خزيمة) وأم (النضر بن كنانة) مالك و . . . » وفى هذا النص دلالة على أن (برة) تزوجت خزيمة، وبعده تزوجت ابنه كنانة، وكان ذلك جائزا فى الجاهلية،(١) وقد اكتفيت من هؤلاء المعاصرين بثلاثة هم الذين جعلتهم بين أقواس .

(١) فمن برة بنت مر أخت تميم إلى عدنان ٩ أجيال

ومتوسط الأجيال فى تميم من عصر النبوة إلى عدنان ٢٠ جيلا

(فالقرن الأول) من عصر النبوة إلى (برة) ١١ جيلا

ومدة هذه الأجيال نحو ١١ × ٤٠ = ٤٤٠ سنة قبل الهجرة

(٢) ومن (ابنها النضر بن كنانة) إلى عدنان ٨ أجيال

فمنه إلى عدنان فى قبيلة كنانة ٨و١٠ أجيال

مدتها ٨و١٠ × ٤٠ = ٤٣٢ سنة قبل الهجرة

(٣) ومن (ابنها أسد بن خزيمة) إلى عدنان ٧ أجيال

ومتوسط الأجيال من قبيلة أسد إلى عدنان ٢٠ جيلا

فالفرق بين هذين العددين = ١٣ جيلا

مدتها ١٣ × ٤٠ = ٥٢٠ سنة قبل الهجرة

وهذه المدد الثلاث قبل الهجرة لهؤلاء المعاصرين الثلاثة = ٤٤٠ +

---

(١) وكان يسمى نكاح المقت، ويسمى الولد منه مقتى وقد أبطل الإسلام ذلك تنفيذا لأمر الله : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)

٤٣٢ + ٥٢٠ = ١٣٩٢ سنة متوسطها ١٣٩٢ ÷ ٢ = ٤٥٤ سنة قبل الهجرة .

وقد تقدم أن (نهدا) كان ابن ٤٠ سنة فى سنة ٥٠٤ ق هـ

وبضم مدته قبل الهجرة إلى متوسط مدد الثلاثة المعاصرين قبلها وهو ٤٦٤ + ٥٠٤ = ٨٦٨ سنة متوسطهما ٨٦٨ ÷ ٢ = ٤٣٤ سنة هى التى كان فيها (نهد) قبل الهجرة وعمره أربعون سنة ،

٧ من المعمرين

ولكن البكرى وكثيرا غيره يقولون إنه من المعمرين ،فلو أنه عاش ١٠٥ سنة التى افترضتها لحفيده (دويد) لدل هذا على أن ميلاده كان قبل الهجرة بنحو ٤٣٤ سنة ، ووفاته قبلها بنحو ٢٧٨ قبلها ، وبلوغه الأربعين من عمره كان سنة ٣٩٤ ق هـ (٢٤٠)

نهد الشاعر الأديب

(ا) ويحدثنا البكرى أيضا فيقول . « أقامت جهينة ، ونهد ، وسعد فى نجد زمانا ، فكثروا ، وتلاحق أولاد أولادهم حتى وثب (حزيمة بن نهد) — وكان مشئوما فاتكا جريئا — على الحارث وعرابة ابنى سعد بن زيد فقتلهما ، فقال فى ذلك نهد أبوه :

وهل نجاتى من دعوى عرابة أن ... صارت محلة بيتى السفح والجبلا

وحاجة مثل حر النار داخلة ... سليتها بكناز[1] ذمرت جملا ..»

(ب) وأوصى بنيه حين حضرته الوفاة — أى سنة ١٧٨ ق هـ — فقال .

« أوصيكم بالناس شرا ، ضربا أزا ، وطعنا وخزا ، كلموهم نزرا ، وانظروهم شذرا ، واطعنوهم دسرا ، اقصروا الأعنة ، وطرروا الأسنة ، وارعوا الغيث حيث كان [2]

---

(١) ناقة كناز ككتاب كثيرة اللحم صلبة و (ذمرت) قدرت وحسبت مثل الجمل فى قوتها .

(٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٢

رأيي في هذين الأثرين

برهنت فيما سبق أن (نهد بن زيد القضاعي) ولد حوالى سنة ٣٢٤ ق.م قبل الهجرة، فأخصب أيامه الشعرية كانت وهو فى سن الأربعين، أى حوالى سنة ٢٩٤ أى أواخر القرن الرابع قبل الهجرة . لكن الأثرين الأدبيين اللذين تركهما ، وسجلناهما هنا . ليسا من آثاره الأدبية فى تلك السن (وأقدمها عهدا هو الأثر الشعرى) ، فهو فيه يبوح مرغما بما يقاسيه من نزق ابنه خزيمة وقصر نظره ، وإثارة الفتن بين قومه وجيرانهم وما جره عليهم من الكوارث، وهو بهذه الأبيات الثلاثة التى سجلها له البكرى ، يدلنا على أنه بما اكتنفه من كثرة تجاريبه ، لا ينظر إلى طيش ابنه إلا نظرة الرجل المشفق الحذر ، لما يتوقعه من نتائج كحر النار بين جنبيه ، فهو لابد أن يكون فى نحو الستين من عمره على الأقل أى فى نحو سنة ٣٦٤ قبل الهجرة . (٢٦٩ م)

الأثر النثرى

(أما الأثر النثرى) وهو وصاته لبنيه ، فقد قالها لهم قبيل وفاته . أى حوالى ٣٦٤ قبل الهجرة ولا عجب أن يكون (نهد) فى الأثر الأول مشفقا حذرا ، وفى هذه الوصاة صريحا متشائما من الناس بل جريئا عليهم .

فهو أولا كان فى موقف المتهم، بعد أن لوث ابنه يديه بدم قتيلين أخوين فهذه الزفرات التى صدرها فى صورة شعر، إنما هى الحكمة بعينها ، وأكبر ظنى أنها حققت ما كان يهدف إليه بها ، من إطفاء نيران الثارات لدى أولياء القتيلين .

(أما الأثر الثانى) فلم يكن فى موقف المتهم كما كان أولا ، وفضلا عن هذا فهى وصاة الوداع ، والدستور الذى يجب أن يسير عليه بنوه بين ذؤبان القبائل ، ووحوش العرب ، فى تلك الأيام التى لم يكن لهم فيها حاكم زاجر ، أو عقل رادع ، أو حكمة تصد الأقوياء عن الضعفاء ،

لم يبعد (نهد) بهذه الوصاة عن جادة الصواب كثيرا ، فالعرب من قديم يقولون : « إن الحديد بالحديد يفلح » وبعض المصلحين فى القرن العشرين ما برحوا يقولون : « لا يمنع الحرب كالاستعداد للحرب » .

(دلالة الأثرين) وأجدى من كل ماتقدم ، أن هذين الأثرين قيلا فى القرن الرابع قبل الهجرة ، وأول ملوك قريش وهو قصى كان فى القرن الثانى قبلها ، فهما أقدم من المملكة القريشية بنحو قرنين من الزمان ، كما أنهما ليسا من لهجة قريش ، إذن هما من لهجة غير لهجتهما ، مع أنهما بنفس الألفاظ والأساليب والوضوح ، وكلها نراها فى القرآن وأشعار المعلقات مثلا .

فليس بصحيح مازعمه كثير من المثقفين قديما ، وجاراهم فيه مثقفونا فى هذه الأيام ، من أن القرآن نزل بلهجة قريش ، وأن قريشا كانت لها لهجة تغاير اللهجة العربية العامة ! !

(٢) الشاعر القيسى أعصر بن سعد بن قيس عيلان

ميلاده سنة ٥٦٠ ق هـ (٧٩م)

من الشعراء القدامى الذين سجلهم « ابن سلام الجمحى »(١) شاعر قيس : أعصر بن سعد بن قيس عيلان ولإثبات أقدميته ومبلغ تقدمها فى الجاهلية اتبعت مايأتى :

(ا) عددت الأجيال منه إلى عدنان فوجدتها ٧ أجيال

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان فى « قبيلة قيس » ٢٠ جيلا

(فالفرق الأول) بين هذين العددين ١٣ جيلا

(٢) ثم اخترت خمسة من دليل العشيرة هم :

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٩

مرثد بن مرثد وأجياله ٢١ جيلا) و (الصدى بن عجلان وأجياله ١٨ جيلا) و (عتيبة بن وهب وأجياله ١٩ جيلا) و (سمرة بن جندب وأجياله ٢٤ جيلا) و (وعيينة بن حصن وأجياله ٢١ جيلا) وهو الذى سماه النبى ﷺ « الأحمق المطاع »

ومجموع أجيالهم هذه ١٠٠ جيل ، ومتوسطها ١٠٠ ÷ ٥ = ٢٠ جيلا

(٣) وتقدم أن منه إلى عدنان ٧ أجيال

(فالفرق الثانى) بين أجياله إلى عدنان ، وأجيال خمسة من عشيرته ١٣ جيلا.

ومجموع الفرقين ٢٦ ، ومتوسطهما ١٣ جيلا. مدتها ١٣ × ٤٠ = ٥٢٠ سنة، فنتيجة هذه الموازنات أن « أعصر » عندما كان فى سن الأربعين ، كان ذلك فى سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، وهذه توازى سنة ١١٧ م .

شعره :

لم يصل إلينا من شعره غير ماروواه لنا « ابن سلام » فى بيتين هما :

قالت عميرة : مالرأسك بعدما ... نفد الزمان أتى بلون منكر !

أعمير إن أباك شيب رأسه ... كر الليالى واختلاف الأعصر

وهذا الشعر لا يمكن أن يكون فى السن التى حددتها له آنفا ، إذ هذا التحديد كان وهو ابن أربعين سنة ، فى عنفوان شبابه ، والشعر يدل معناه على أنه قيل فى مغرب عمره بعد أن علاه المشيب ، لكر الليالى واختلاف الأعصر وذهاب الشباب .

فلو أنه قال هذين البيتين وهو فى سن الستين لوافق ذلك سنة ٤٩٩ أى آخر القرن الخامس قبل الهجرة (١٢٨ م) .

ولو وازنا هذا الأثر الأدبى بالآثار الأدبية فى عهد قريش ، أو العهد الأموى ، أو الإسلامى ، لكان الجميع من نبعة واحدة ، ولحكمنا أنه من بحر الكامل أحد بحور الشعر المتداولة ، وأنه لا تنافر بينه وبين الشعر العربى ، على اختلاف

العصور ، مع أنه قيل قبل الهجرة بهذه المدة المديدة ، وقبل اللهجة القريشية بأكثر من ثلاثة قرون .

فلا مَنْعدى لنا أن نعتبر هذا الأثر من اللغة الأدبية للعرب ، أو اللغة العامة لأدبائهم ، وفى هذا دليل آخر ، على أن فى نسبة هذه اللهجة إلى قريش ، ونفيها عما عداها ، نوعا من المبالغة على أقل تقدير .

(٣) شاعر المزارعة فى القرن الثانى قبل الهجرة

ولد قبل الهجرة بنحو ١٢٠ سنة (٥٠٦ م)

هو المستوغر : عمرو بن ربيعة بن (كعب - وهو مزروع الأكبر -) ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

١ — ولبيان أقدميته نذكر أن منه إلى عدنان ١٤ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٦,٢٥ أجيال .

لأن متوسط أجيال النسب فى تميم ، من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا

٢ — وبالاطلاع على (دليل العشيرة) نجد من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا .

إذن بينه وبين الهجرة ٦,٢٥ أجيال ، مدتها ٦,٢٥ × ٤٠ = ٢٥٠ سنة

أى إنه عندما كان ابن ٤٠ سنة كان بينه وبين الإسلام ٢٥٠ سنة

هل هو من المعمرين ؟ يرى المؤلفون فى الأدب كالمرزبانى [١] إنه كان منهم ، وإنه عاش ٣٣٠ سنة !

ولأن المبالغة واضحة فى هذا العمر ، رغبت فى رأى السجستانى [٢] فأخبرنى أنه عاش ٣٣٣ سنة ! فتركتهما إلى ابن قتيبة [٣] فرأيته يقول : إنه عاش ٣٢٠ سنة وأنه قديم من المعمرين .

---

(١) ص ٢١٣ . (٢) كتاب المعمرين ص ٩ (٣) الشعر والشعراء ص ١٤٤

فاكتفيت فى أمر السن بهؤلاء ، لأنى خشيت أن أستزيدهم إيضاحا فيزيدوه عمرا ! وقياسا على مامضى من الأعمار التى بولغ فى بعضها ، سأعتبر أن بعض آبائه كانوا من المعمرين مثله ، وأن أباه رزقه فى مغرب حياته ، وأن جده كذلك ، فيسقط نحو جيلين من الأجيال التى بعده إلى الإسلام ، فيكون الباقى منها ٣ × ٤٠ = ١٢٠ سنة ، يضم إليها مقدار سنه وهو فى الأربعين ، فيكون العددان ١٢٠ + ٤٠ = ١٦٠ سنة بينه وبين الإسلام ، وبناء على هذا نجده أدرك عصر النبوة . بل عصر معاوية أى بعد الأربعين من الهجرة (١) ، فهل فى أخباره ما يدل على ذلك ؟

نعم روى ابن الكلبى فى كتاب الأصنام ، ونقله عنه البغدادى (٢) عند الكلام على (رضا) :

« وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبدونها ، لا أدرى أعبدوها للأصنام أم لا ، منها « عبدرضاء » كان بيتا لبنى ربيعة بن (كعب وهو مزدوع الأكبر) ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر فى الإسلام وقال :

ولقد شددت على (رضاء) شدة فتركتها تلا تنازع أسحما

تعمير طائل مشهود عند العرب

والذى يؤكد أنه كان يتمتع بصحة جيدة ، فساعده هذا على أن يطول عمره ، ويشتهر بين الناس ، ما قصه علينا ابن قتيبة ، أنه مر بسوق عكاظ يقود ابن ابنه خرفا ، فقال له رجل :

يا عبد الله ، أحسن إليه فطالما أحسن إليك ! فسأله المستوغر : أو تعرفه ؟ قال : هو أبوك أو جدك ، قال : هو والله ابن ابنى !! قال الرجل : ما رأيت كاليوم قط ! ولا المستوغر ! قال : فأنا المستوغر ! .

---

(١) العقد الفريد جـ ٣ : ٥٣ (٢) خزانة الأدب جـ ١ ص ٣٠

فإذا كان المستوغر يحمل حفيده الهرم تارة، ويقوده تارة أخرى ، فلا غرابة أن يبلغ من العمر ١٦٠ سنة أو أكثر .

شعره : فى المراجع السابقة ثلاثة أبيات، يحدد فيها عمره بأكثر من ٣٠٠ سنة ، مما يدل على انها اعتمدت على شعره فى تحديد عمره ! وليس من الدقة اتخاذ الشعر قضية مسلمة فى تحديد الأعمار ، لأن الشعر لم يخلق لهذا أما الأشعار فهى :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لى وازددت من عدد الشهور سنينا

ويظهر أنهم كذلك اعتمدوا على قوله وقد ضجر من طول عمره، وإصابته بالصمم ، وملا عيبته حفدته :

إذا ما المرء صـــم فلم يناج وأودى سمعه إلا ندابا
ولاعب بالعشى بنى بنيه كفعل الهر يحترش العظايا
فذاك الهم ليس له دواء سوى الموت المنطق بالمنايا(١)

وروى (ابن عبد ربه)(٢)

أن المستوغر دخل على(معاوية) فى خلافته وهو ابن ٣٠٠ سنة فسأله :

كيف تجدك يامستوغر ؟ فقال :

أجدنى يا أمير المؤمنين قد لان منى ما كنت أحب أن يشتد !
واشتد منى ما كنت أحب أن يلين !
وابيض منى ما كنت أحب أن يسود !
واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ! ثم أنشأ :

سلنى أنبئك بآيات الكبر نوم العشاء ، وسعال بالسحر !

---

(١) معجم الادباء ٢١٣ (٢) العقد الفريد حـ ٣ : ٥٣

وقلة النوم إذا الليل اعتكر وقلة الطعم [١] إذا الزاد حضر!
وسرعة الطرق وتحميج النظر وتركك الحسناء فى قبل الطهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

أما أنا فأشك فى هذه الرواية التى تجعل المستوغر قد عاش إلى أيام ابن أبى سفيان ، ويؤكد شكى أن هذا الحديث ورد فى (عيون الأخبار [٢] منسوبا إلى (العريان بن الهيثم) أمام عبد الملك بن مروان .

وعلى كل فأنا لا أتمسك بهذه الآثار الأدبية للمستوغر ، لأنه عاش ما عاش من العمر فى دولة القريشيين ، وقد يعترض بأن هذه اللهجة صورة من صور اللهجة القريشية ، المزعومة .

(٤) الأمير الشاعر زهير بن جناب الكلبى

ميلاده (٢٩٦ ق‌هـ) (٤٢٢ م) من شعراء القصائد

إذا كانت دولة الشعر نعمت طويلا بالملك الشاعر : جذيمة الوضاح ، فى القرن الرابع قبل الهجرة ، فقد تألق نجمها ، وازدهرت رياضها مرة أخرى ، بالأمير الشاعر . زهير بن جناب الكلبى فى أغلب القرن الثانى قبل الهجرة ، ومنتصف القرن الثالث قبله .

ومن عجب أنهما من أورمه قحطانية ، كأنهما لم يقنعا بأبهة الملك ، وجاه المنصب ، فآثرا أن يغزوا العدنانيين فى ميدان الأدب العدنانى ، بعد أن زحموهم فى ميادين العروش وظلال التيجان ، مع أنهما من الدخلاء على العدنانيين ، ولبيان أن زهيرا كان حقا من قدماء الشعراء فى دولة الأدب طبقت نظريتى بالأسلوب الآتى :

---

(١) فى بعض الروايات الزاد (٢) التحميج : تضييق العين لتتمكن من النظر
(٣) عيون الاخبار جـ ٢ : ٣٢١

مركز الدائرة التي سأختار الجولان فيها هو « بكر بن عوف » في شجرة بني كلب ، وجعلته مركز الدائرة ؛ لأنه الجد الذي يلتقي عنده الحفدة الأربعة : « زهير بن حناب » و « دحية الكلبي » و « ميسون بنت بحدل » زوج معاوية و « أسامة بن زيد » .

ولكن زهيرا نجهل حفدته إلى عصر النبوة ؛ في الوقت الذي نجد الثلاثة الذين اخترتهم بعده وكانوا يعاصرون النبي ﷺ ؛ فأجيالهم معروفة منهم إلى مركز الدائرة . « بكر بن عوف » .

١ ـ فمن « دحية » إلى « بكر » والغاية داخلة ـ ١٢ جيلا

٢ ـ ومن « ميسون » إليه « ١٢ »

٣ ـ ومن « أسامة » « « ١٢ »

فأجيالهم متساوية ؛ ولكن من « زهير » إلى « بكر » هذا ـ والغاية داخلة ـ ٦ أجيال .

فيجب إسقاطها من « دليل العشيرة » وهي ١٢ فيكون الباقي من زهير إلى عصر النبوة ٦ أجيال ، مدتها ٦ × ٤٠ = ٢٤٠ سنة قمرية أي أن « زهيرا » في سن الأربعين كان في سنة ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠ م) .

فلو أنه عاش ١٥٠ سنة التي رآها الأصفهاني لكانت وفاته سنة ٥٠٠ م

ولكن لا ننسى أن جده هبل كان من المعمرين أيضا ، فلو لم يعش إلا ١١٢ سنة ، لكان من الواجب أن نزيد على متوسط العمر العادي له ٧٢ سنة وأن نفترض أن ابنه جنابا أبا زهير رزقه في أواخر عمره ، وبذا تتأخر وفاة زهير من ٥٠٠ سنة الى حوالى ٥٧١ م (٥٠١ ق هـ) ويصير ميلاده حوالى ٤٢٢ م (٢٠٢ ق هـ) ويكون عمره عند احتلال الأحباش اليمن (سنة ٥٢٥ م) نحو ١٠٣ سنوات .

وقد اختارته اليمن أميرا على بكر وتغلب قبل ذلك التاريخ ببضع سنوات

عند ما شعر ملوك حمير بظروفهم السيئة فى الداخل والخارج ، أرادوا أن يتخذوه ردءا لهم ، اذا ما اكفهر وجه الحادثات ، ولكن موجتها كانت أقوى من أن تعترضها السدود بعد أن بلغ الحزام الطبيين :

وبعد أن اشتد نصارى نجران فى نشر النصرانية ، فاشتد (ذو نواس آخر ملوك حمير) قبل احتلال الحبشة فى تحريفهم بالأخدود : النار ذات الوقود ، فضج النصارى بالشكوى ، فانقضت الحبشة المتربصة على اليمن الغافلة ، فاندك صرح استقلالها ، واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها (ففسقوا فيها) ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا » .

سهو الأب لويس شيخو

فليس بصحيح أن زهيرا توفى سنة ٥٦٠[1] م لما روى ابن قتيبة[2] أنه لما قدمت الحبشة تريد هدم الكعبة ، بعثهم مليكهم الى أرض العراق ، ليدعو من هناك الى طاعته ، ومعلوم أن قدوم الحبشة لهدم الكعبة كان سنة ٥٧١ م وهى السنة التى ولد فيها سيدنا رسول الله ﷺ أى بعد موت زهير على رأى صاحب شعراء النصرانية بنحو عشر سنوات ؛ فكيف يوفد بعد موته ! ! الله وحده هو المنزه عن السهو .

آثاره الأدبية ومنزلته

حسب زهير دليلا على مكانته فى الجاهلية أن تتنازعه طوائفها ، ليكون كوكب سمائها فى ميادين فخارها ، (فالشعراء) يعدونه منهم بل زعيمهم ، (والأبطال) من قضاعة كلها ، بل من قحطان جميعها يحرصون على أن يكون قائدهم وصاحب مرباعهم (وملوك اليمن وأقيالها) لا يجدون من بين أمرائهم من يصلح أن يكون ملكا لبكر وتغلب ، أكبر قبائل ربيعة غيره ،

---

(١) شعر النصرانية جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الشعر والشعراء ص ١٤٢ .

(والأطباء) على مكانهم فى الجاهلية لندرتهم يفخرون أن يكون منهم ، و (الكهان) . . .

خصال العشر

ولذا قالوا : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من أهل زمانه :

كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى الملوك وطبيبهم .

ـ والطب فى ذلك الزمان شرف ـ وحارى قومه وفارس قبيلته ، وله البيت فيهم والعدد منهم .

آثاره الأدبية

كثير من شعره وبعض من نثره منثور فى كتب الأدب والتاريخ القديم

شعره : يغلب على شعره الوقار والترفع شأن الملوك والأمراء ، والقصد فى التعبير شأن النبلاء ، وانتقاء الألفاظ الشريفة والمعانى الواضحة شأن الزعماء ، أما فراسته وصادق نصائحه فحسب أنه كان يلقب بالكاهن لبعد نظره ، وصادق فراسته ، ويمتاز شعره الحربى بالجزالة .

١ ـ ولعل أطول قصائده هى التى سجلها له السجستانى فى النصيحة ، ومطلعها :

أبنى إن أهلك فقد أورثتكم مجدا بنية
وتركتكم أولاد سا دات زنادكم وريه

وهى فى ١٥ بيتا ؛ فهو من شعراء القصائد ، وقد قالها بعد أن فارق المائة فهو من المعمرين ولذا يقول فى آخرها :

فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقية

٢ - (طول عمره) ويظهر أن عمره طال إلى درجة كره معها الحياة ، وأكثر من تمنى الموت فى كثير من أشعاره ، ومما رووه له قوله :

ليت شعرى والدهر ذو حدثان أى حين منيتى تلقانى . . .

٣ - ورووا أنه قال وقد أتت عليه مائتا سنة :

لقد عمرت حتى ما أبالى أحتفى فى صباحى أو مسائى
و حقّ لمن أتت مائتان عاما عليه أن يمل من الثواء

وعلى البيت الثانى اعتمد من يقولون إنه عاش ٢٠٠ سنة ، فما حجة من جعلوا عمره ٣٠٠ سنة؟ والقائلين ببلوغه ٣٥٠سنة ، ! ! بل ٤٠٠ سنة ! ! بل ٤٢٠ سنة ! ! أما رأى نظريتى فسيأتى .

٤ - ولما تنمرت بكر وتغلب ، وثاروا ضد أميرهم زهير ، اجتمعوا بقيادة (ربيعة بن الحارث بن مرة أبى كليب) فالتقوا بمذحج ، وعليهم زهير فى « السلان » بأرض تهامة ، مما يلى اليمن ، انتصر عليهم أولا فقال :

أين أين الفرار من حذر المو ت إذ يقتون بالأسلاب
إذ أسرنا « مهلهلا » و « أخاه » و« ابن عمرو »فى القيد و« ابن شهاب »
وسبينا من تغلب كل بيضا ء كنوز الضحى ، برود الرضاب

وهى عشرة أبيات رواها ابن الأثير .

ولزهير نصائح نثرية رائعة لاداعى إليها ؛ إذ لاجدوى منها لأنها قيلت فى العهد القريشى

٥ - ومما يذكر فوق ماتقدم ،للدلالة على أن من شعر الجاهليين مافيه رقة ، وعليه طلاوة ، وله من الروعة والوضوح ما يبز كثيرا من الشعر الإسلامى والعباسى ،قوله وقد مر بدار من أحب:

وذى دار سلمى قد عرفت رسومها فعجت(١) إليها والدموع ترقرق
وكادت تبين القول لما سألتها وتخبرنى ! لو كانت الدار تنطق !
فيا دار سلمى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق !

ذو الرمة يسطو على شعره

وقد راع هذا المعنى « ذا الرمة » فجعله مطلع قصيدة طويلة أبياتها ٥٧ بيتا أولها :

(ا) أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق ا(٢)
(ب) وقفنا فسلمنا وكادت بمسرف لعرفان صوتى دمنة الدار تنطق !

نموذج من نثره

ولزهير بن جناب نثر، لو نسب إلى أبلغ أدباء العصر العباسى ما أنكره منكر ؛ مما يدل على مبالغة من يزعمون أن العصر الجاهلى كان عاطلا من مثل تلك الآثار الأدبية السلسة المنطقية ، من ذلك أنه جمع بنيه فى أواخر عمره للنصيحة فقال لهم :

« يابنى . إنى قد كبرت سنى ، وبلغت حرسا (٣) من دهرى ؛ فاحكمتنى التجارب ـ والأمور تجربة واختبار ـ فاحفظوا عنى ماأقول ، وعوه :

أياكم والخور (٤) عند المصائب ، والتواكل(٥)عند النوائب، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوءظن بالرب ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ؛ فإنه ماسخر قوم قط إلا ابتلوا ،

---

(١) عجت رجعت
(٢) المراد بماء الهوى دموع الحب ، وارفضاض الدموع ترشحها و (حزوى) كقصوى موضع ومثله « مسرف » في بيت ذى الرمة
(٣) قال الزبيدى : الحرس بالفتح الدهر ، والمراد شطرا كبيرا من دهرى
(٤) الخور : الجبن والضعف
(٥) والتواكل: أن يكل الفرد أو الجماعة أمورهم إلى غيرهم وهو من الامراض الاجتماعية

ولكن توقعوها ، فإن الإنسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة :(١) فمقصر دونه ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لابد أن يصيبه . »(٢)

(٥) الملك الشاعر : جذيمة الوضاح (٣)

حكم من ٢٥١ م (٣٨٢ ق هـ) وتوفى ٢٦٨ م (٣٦٥ ق هـ)

أجمع العلماء والمؤرخون قديما على أنه من قدامى الشعراء ، فما مبلغ قدمه ؟ وماذا وصل إلينا من شعره ؟ وهل تلك الآثار التى تنسب إليه مما اعتمدها نقدة الأدب ؟ وكيف استدللنا بهذه الآثار على نفى اللهجة التى نسبت إلى قريش زلفى إليها ؟ .

١ — فى الإمكان أن نختصر البحث . فنستدل بدليل « السجلات الملكية » مباشرة على قدمه ، وبالتالى على قدم آثاره الأدبية . . ولكن برا « بدليل النسب » ونشرا لنظريتى ، وتدعيما لقاعدة الأجيال النسبية ، آثرت أن أنسأ دليل السجلات الملكية ، وأقدم دليل النسب هكذا :

ا ـ جذيمة الوضاح ابن مالك بن فهم فى « شجرة الكهلانيين » منه إلى قحطان ٢٤ جيلا ،

ب ـ ودليل الصحابة فى « قبيلة كهلان » يدل على أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا ، فمن جذيمة إلى عصرة النبو ٩ أجيال ، مدتها ٩ × ٤٠ = ٣٦٠ سنة قمرية قبل الهجرة ، وهذا ما حدده « دليل النسب » عندما كان جذيمة ابن ٤٠ سنة ، فميلاده كان حوالى سنة ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)

٢ — « دليل السجلات الملكية » .

---

(١) الغرض الهدف ، وتعاوره الرماة : تداولوه راميا بعد رام

(٢) بلوغ الارب جـ ٣ : ١٥٩

(٣) أكثر من مؤرخى العرب يقولون حكم ٦٠ سنة ولكن المؤرخين العصريين لا يعترفون إلا بنحو ١٧ سنة منها .

وأما دليل السجلات الملكية فيدل على أن هذا الملك العربي ، توفى سنة ٢٦٨ م « ٥ ق ٣٦ هـ » .

موازنة بين الدليلين :

برهنت بدليل النسب على أن قدم جذيمة يرجع إلى سنة ٣٦٠ قبل الهجرة .

وهذه بالسنين الشمسية توافق سنة ٣٥٥ سنة شمسية قبل الهجرة و « ٢٦٧ م » فالفرق بين الدليلين بالسنين الشمسية سنة على أكثر تقدير ، أو شهر فى الحقيقة .

وبذا أجمع الدليلان على أن هذا الملك الشاعر ، الخالد لشعره أولا ، وملكه ثانياً ، كان يملأ القرن الثالث الميلادى ، والقرن الرابع قبل الهجرة روعة وأبهة ، وبهذا نكون قد انتهينا من الإجابة عن السؤال الأول .

آثاره الشعرية :

أما ماذا وصل إلينا من شعره ؟ « وهو السؤال الثانى » فهذا جوابه :

روى المسعودى وغيره (١) أنه قال يوما لندمائه : لقد ذكر لى غلام من إياد ، له ظرف وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كأسى ، والقيام على رأسى لكان الرأى ، قالوا : الرأى ما رأى الملك ، فلما حضر بين يديه ولاه مجلسه ، فعشقته « رقاش » أخت جذيمة ، فأشارت عليه إذا سقى الحاشية أن يمزج لهم ويجعلها صرفا للملك ، فإذا أخذت منه الخمر فاخطبنى منه ، فإنه يزوجك ، فإن فعل فأشهد القوم ، فلما تم لهما ما يريدان ، وأصبح الايادى متضمخا بالطيب علم حيلتهما ، فأحس زوجها الإيادى بالخطر ، فأسرع بالهرب ، وطلبه جذيمة فلم يجده ، فكتب إلى أخته « رقاش » من بحر الخفيف :

حدثينى رقاش لاتكذبينى ... أبحر زنيت أم بهجين !

أم بعبد فأنت أهل لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون !

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٢٨٨ وبلوغ الارب ج ٢ ص ١٧٨ ، والاغانى ج ١٤ : ٦٢ وسمط العيون ص ٤٨ .

فأجابته رقاش من نفس البحر:

أنت زوجتي وما كنت أدرى وأتان النساء للتزيين !
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك في الصّبا والمجون !

فنقلها إليه جذيمة وحصنها في قصره، فولدت بعد مدة غلاما فسمته عمرا.

ومازالت أرصاد جذيمة حتى قبضت على عدى بن نصر الذى تزوج برقاش في سكرة الملك، فلم يكن جزاءه إلا القتل !.

(٢) وروى له ابن سلام قوله :

ربما أوفيت في علم ترفعن عنى شمالات

(٣) وسجل له ابن نباته في مختاراته أن له أشعارا حسنة منها :

أضحى جذيمة في (يبرين) منزله قد حاز ماجمعت من قبلها عاد
مستعمل الخير، لا تفنى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد

وأما السؤال الثالث وهو : هل تلك الآثار التى تنسب إليه مما اعتمدها نقدة الأدب ؟ فجوابه أن هؤلاء النقدة لم يعترضوا على نسبة تلك الآثار التى ذكرتها، وفى هذا موافقة منهم، بل إن من آثاره ما استشهد به علماء النحو أو علماء العروض.

كقوله السابق :

ربما أوفيت في علم ترفعن عنى شمالات

وأما كيف استدللنا بهذه الآثار على نفى اللهجة التى نسبت لقريش، فإنى إلى خلفائها فأمره سهل، إذ أن هذه الآثار، ثبت أنها قبل المملكة القريشية بنحو قرنين من الزمان، وثبت أنها لجذيمة بإجماع الرواة، وثبت من قبل أن العصر الرابع قبل الهجرة كان العرب عامة، والأدباء خاصة، يتحادثون

(١) شرح العيون فى رسالة ابن زيدون ص ٥١
(٢) الاغانى حـ ٤ : ٧٤

ويتفاهمون ويتفاخرون ويوصون ، ويثيرون الحمية بهذه اللهجة نفسها فكيف ننفي عنه ما ثبت لأمثاله ؟ إن في ذلك ترجيحا بلا مرجح وهو ليس من شيم الإنصاف ، ولا من الأدلة المنطقية التي هي أساس كل بحث أدبي

كان جذيمة من أفضل الملوك رأيا ، وأبعدهم مغارا ، وأشدهم نكاية ، وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق . وكانت منازله بين الأنبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه (عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) العاملي من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله (جذيمة) وفض جموعه ، فملكوا عليهم (ابنته الزباء) وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوها ملوك العرب — وغيرهم — فتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات ، وبنت أرجاءه من الآجر والكلس ، متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر في البرية ، متصلا بمدينة لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدوا تحصنت فيه .

(٦) الشاعر لجيم بن صعب

ميلاده سنة ٣٦٠ ق هـ (٢٧٣ م)

لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من قدامى الشعراء حقا ، وعلى وجه الدقة من شعراء القرن الرابع قبل الهجرة ، فهو من أقدم شعراء ربيعة أخت مضر .

١ — (أ) لأن منه إلى عدنان جدها الأكبر ١٥ جيلا (١)

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان في ربيعة ٢٥ جيلا

« فالفرق الأول » بين هذين العددين ١٠ اجيال

وهذه نتيجة « دليل النسب »

---

(١) لانه لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

٢ ـ أما « دليل العشيرة » فقد أرسيت قواعده على خمسة من حفدته ، منهم أربعة من الصحابة وهم :

« خداش الراوية » و « الأغلب الراجز » و « ثمامة بن أثال » و « طلق ابن على » ثم « مسيلمة الكذاب »

(ا) ومجموع أجيال هؤلاء الخمسة إلى عدنان ١١٥ جيلا ، متوسطها لكل ٢٣ جيلا .

(ب) وقد سبق أن من « لجيم » إلى عدنان ١٥ جيلا

« فالفرق الثانى » بين هذين العددين ٨ أجيال .

ومجموع الفرقين ٨ + ١٠ = ١٨ جيلا ، ومتوسطها ٩ أجيال

ومتوسط عمر الجيل فى قبيلة ربيعة ٣٦ سنة ، فمدة الأجيال التسعة ٩ × ٣٦ = ٣٢٤ سنة فكأن « لجيما » عندما كان فى سن ٣٦ سنة كان ذلك قبل الهجرة بنحو ٣٢٤ سنة (٣٠٨) فهو « بدليل النسب » و« دليل العشيرة » من رجال القرن الرابع قبل الهجرة .

حفدته من المخاضرين :

فليس عجبا أن يكون من حفدته أعلام دوت شهرتهم وقتا ما ، فى سماء الجزيرة العربية ، مثل الصحابة الأربعة السابقين فى دليل العشيرة ، أو قواد عظام مثل « ثعلبة بن حنظلة » صاحب القبة يوم ذى قار (١) ، و « اليفند الزّمّانى » قائد كتيبة بنى حنيفة التى أرسلت لنجدة بكر على تغلب ، فى حرب البسوس (٢) ، أو أباة يغسلون العار بالدم مثل « عمرو بن عبد الله » قاتل المنذر بن ماء السماء (سنة ٥٨٥ م) ، وزعماء مثل « نافع بن الأزرق » مؤسس الأزارقة .

وليس غريبا أن يكون من نسله شعراء مثل « أبى النجم العجلى »

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الاندلسى ص ٢٩٢

(٢) ديوان الحماسة ج ١ ص ٥ ، ٢٠٨

و « الأغلب » الراجز بن عمرو بن عبيدة و « والعباس بن الأحنف » و « طفيل ابن على » و « الفند الزمانى » (١)

شعره :

ا ـ لم يذكر له السيوطى (٢) إلا قوله :

من كل ما نال الفتى قد نلته إلى التحية

ب ـ وروى له أبو عبيدة ، البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وحذام هى امرأته وينسب فى بعض الروايات إلى « ديسم بن طارق » ونقله السيوطى فى المزهر منسوبا إلى زهير بن جناب الكلبى ، كما أن البيت الأول : من كل ما نال الفتى . . . نسبة ابن قتيبة (٣) لزهير بن جناب فى ترجمته مع بيتين سابقين له

والرواة معذورون إذا اشتد بينهم الخلاف ، ويشفع لهم هذا قدم العهد .

دلالة شعره

وسواء أصح للجيم هذا الشعر أم صح غيره ، فان مما لاشك فيه ، أنه كان له شعر بهذه اللهجة العربية التى نفهمها الآن ، وقد أصبح من المؤكد أن كل الشعر المنسوب إليه وإلى غيره من معاصريه ، كان قبل المملكة القريشية ، فهو حتما ليس من آثار اللهجة التى زعمها بعض الرواة لقريش ، وأنه من قدامى الشعراء .

---

(١) جمهرة بن حزم ٢٩٢

(٢) المزهر ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) الشعر والشعراء ص ١٤٢

(٧) الشاعر التميمى : العنبر بن عمرو بن تميم

ميلاده حوال ٣٩٨ ق هـ = ٢٦٠ م ،

هذا الشاعر قديم العهد ، ولإثبات أقدميته اتبعت الخطوات الآتية :

١ — (ا) منه إلى عدنان ١١ جيلا

(ب) ومتوسط الأجيال فى تميم من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا

فالفرق الأول بين العددين ٨,٢٥ أجيال

مدتها ٨,٢٥ × ٤٦ = ٣٧٩,٥ سنة

٢ — واخترت ستة من الصحابة من عشيرته القرب وهم :

ورد بن مخرم ، وربيعة بن رفيع ، ورفيع بن سمرة ، ومالك بن الخشخاش ، وعبيد بن الخشخاش ،

(ا) فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١١٠ من الأجيال ، ومتوسطها ١٨,٣ جيلا .

(ب) وقد تقدم أن من العنبر إلى عدنان ١١ جيلا

فالفرق الثانى بين أجياله المباشرة وأجيال حفدته من الصحابة ٧,٣ أجيال

مدتها ٧,٣ × ٤٦ = ٣٣٦ سنة .

٣ — ومجموع الفرقين ٣٧٩,٥ + ٣٣٦ = ٧١٥,٥ ومتوسط الفرقين $\frac{٧١٥,٥}{٢}$ = ٣٥٨ سنة قبل الهجرة ، أى إن العنبر كان فى سن الأربعين فى نحو ٣٥٨ ق هـ [٢٧٥ م]

(وفاته) فلو أنه عاش ٦٠ سنة فقط لكانت وفاته بعد التاريخ السابق بنحو عشرين سنة أى ٣٧٨ ق هـ [٣٠١ م]

(ميلاده) وكان ميلاده حوالى ٣٩٨ ق هـ [٢٣٦ م]

وقد تقدم فى شعر لقيط الإيادى أن العاهل الفارسى « ذا الأكتاف » زحف على تميم فى البحرين بعد أن بلغ من العمر ١٦ سنة ، وأن هذا كان سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ ق‌ه)

وما قرره المسعودى (١) عن الزحف أن « سابور ذا الأكتاف » بعد زحفه ، أمعن فى قتل بنى تميم ففروا ، وشيخهم يومئذ « عمرو بن تميم » وله ثلثمائة سنة ، فأرادوا حمله معهم ، فأبى إلا أن يتركوه وقال : « أنا هالك اليوم أو غدا !! وماذا بقى لى من فسحة العمر !! ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب » فخلوا عنه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهلها وقد ارتحلوا ، وسمع عمرو صهيل الخيل ، ووقع أقدامها ، وهمهمة الرجال ، فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه وجاءوا به إلى سابور ، فقال له :

من أنت أيها الشيخ الفانى ؟ قال « أنا عمرو بن تميم ، وقد بلغت من العمر ماترى ! وقد هرب الناس منك لإسرافك فى القتل ، وشدة عقوبتك إياهم ! وآثرت الفناء على يديك لتبقى من مضى قومى ! ، ولعل الله ملك السموات والأرض يجرى على يديك فرجهم ! ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم » فنادى سابور بالأمان ، ورفع السيف .

ويقال إن (عمرا) بقى فى هذا العالم بعد هذا الوقت ٨٠ سنة ، وقيل أقل.

نتائج :

السنة التى زحف فيها ذو الأكتاف على البحرين وفيها بنو تميم ، وعلى العراق وفيها إياد كانت سنة ٣٢٥ م ، فعمر العنبر بن عمرو كان فى هذه السنة ٥٩ سنة ، وعمر أبيه عمرو ٩٩ سنة فليس بصحيح زعم المؤرخين أنه كان عند الزحف ابن ٣٠٠ سنة .

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٩

فلو أنه عاش بعده نحو خمسين سنة لكان عمره إلى حين وفاته نحو ١٥٠ سنة وهو عمر معقول فقولهم انه عاش بعد الزحف ٨٠ سنة فيه مبالغة ، فوق مبالغتهم فى مبلغ عمره .

شعر العنبر

فأى شعر منسوب إلى العنبر بن عمرو بن تميم يكون أكثره قيل قبل الزحف الفارسى أى قبل ٣٢٥ م لأن أكثر مواسم الشعر تكون والشباب غض ، والخيال فى أقصى مراميه ، والأحلام لذاذ، ولم أعثر على شعر للعنبر أقدم مما رواه لنا ابن سلام الجمحى (١) وقد قال فى هذا :

« من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان مجاورا فى بهراء :

قد رابنى من دلوى اضطرابها والنأى فى بهراء واغترابها
إن لا تجىء ملأى يجىء قرابها

وقبيلة بهراء التى ارتحل إليها كانت فى الحجاز(٢) وكان أبوه عمرو وقومه بنو تميم يخيمون فى البحرين (٣) وذلك قبل زحف الفرس .

فإذا كنت قد أثبت أن شعر « لقيط الإيادى » عندما حذر قومه الإياديين كسرى وما جمع، كانت سنة ٣٢٥ م (٢٠٦ ق هـ) فإنى اثبت هنا أن الأشطر الثلاثة التى تقدمت للعنبر كانت قبل شعر لقيط بأكثر من ٢٥ سنة على الأقل ، أى فى أواخر القرن الثالث الميلادى (وأواخر القرن الرابع قبل الهجرة) .

فهذا الشعر مع توغله فى الجاهلية، غير منكور اللفظ ، أو المعنى، أو الأسلوب، مع سبقه أول ملوك قريش - وهو قصى - بنحو قرنين، فكيف يدعى مدع أنه من لهجتها ، وكيف يجرؤ غيره على إنكاره بعد هذا، وبعد أن قرر ابن سلام أنه من قديم الشعر الصحيح ! وحسبك بابن سلام ثقة حتى عند الدكتور طه

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ (٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٥١
(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩

ابن خِذام

ميلاده حوالى ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨م)

تعب الأدباء كثيرا للعثور على « ابن خذام » الذى أشار إليه امرؤالقيس فى قوله :

عوجا على الطلل المحيل [١] لعلنا نبكى الديار كما بكى « ابن خذام »

ولعل مما حير الباحثين من أمره ، كثرة ما أطلق عليه من أسماء :

فعند الزبيدى أنه « امرؤ القيس بن الحمام » .

وعند صاحب القاموس المحيط « ابن خذام ككتاب » وبالدال المهملة .

وعند الآمدى « ابن خذام » بمعجمتين .

وعند ابن رشيق فى العمدة « ابن حِذام » بذال معجمة وحاء مهملة .

وكأنه أخذ هذا الضبط أى « ابن حِذام » عن الجاحظ .

وفى المؤتلف والمختلف للآمدى [٢] أنه امرؤ القيس بن حمام « بن مالك » ابن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة .

و « السجستانى » [٣] يسرد هذا النسب محذوفا منه « مالك » لذا جعلتها بين شولات .

وابن حزم الأندلسى [٤] فى جمهرة أنساب العرب يقول: هو امرؤالقيس بن « الحمد » بن مالك .

وابن قتيبة [٥] يقرر أنه امرؤ القيس بن « حارثة » بن الحمام « بن معاوية » وضبطه بعضهم « ابن حمام » بحاء مهملة مضمومة .

هذا فيما يختص باسمه .

---

(١) المحيل الذى أتى عليه الحول

(٢) المؤتلف والمختلف ص ١٠ ، ٩٢ .

(٣) كتاب المعمرين ص ٥٦ رقم ٥٠ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٦ .

(٥) الشعر والشعراء ص ٧٦ .

أما ما يختص بنسبه فقد تنازعته القبائل ، ولكن قبائل اليمن ولا سيما قبيلة كلب تمسكت به ، وصممت على نسبته إليها ، وتحدره من أصلابها ، وتربيته بينها ، فسلم كثير من العرب بقولها ، وأنكروا ما تدعيه (بكر بن وائل) من هذه النسبة بدليلين :

الاول : أن كتب الأنساب التي سيقت هنا وغيرها أكثر منها ، تتصاعد بنسبه إلى مُهَبِّل بن عبد الله ، فيلتقي بالأمير الشاعر (زهير بن جناب) في هبل الجد الأول لزهير ، ولا يشك واحد من علماء النسب في أن زهيرا من بني كلب القضاعيين القحطانيين .

الدليل الثاني : على أن (ابن خذام) من أسرة زهير ، أن كتب الأدب والتاريخ القديم تذكر معاصرتهما ، واشتراكهما ضد كليب ومهلهل في ميادين القتال ، ودفاعهما عن عرب اليمن ضد عرب معد ، وذودهما عن حياض بني كلب القضاعيين ، ولم يذكروا واحـــد منها أنه قاتل في صفوف (بكر) العدنانيين ، ويزيد النسبة إيضاحا قول (العسكري) في كتاب التصحيف : إنه ابن أخي زهير بن جناب .

اشارة امرىء القيس اليه

ولم يقتصر الاختلاف على اسمه ، أو نسبه فحسب بل لقد تعداهما إلى الأبيات التي هاجت بلا بل « امرىء القيس الكندي » فبكى فيها الديار كما بكاها (امرؤ القيس بن خذام الكلبي) : فأعراب بني كلب إذا سئلوا عنها أنشدوا خمسة أبيات متصلة من أول (قفا نبك) التي جعلها امرؤ القيس بن حجر مطلع معلقته ، وهذه هي :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمأل (١)
ترى بعر الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل (٢)
كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل (٣)
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون : لاتهلك أسى وتجمل

وهؤلاء الأعراب يقولون : بقية المعلقة من شعر امرىء القيس ، وإذا صح ذلك يكون اقتباسا لا سرقة ؛ لأن الشعراء يعمدون إلى السرقة فيما قل، ثم يغيرون معالم ماسرقوا غالبا ، واقتباس نصوص الشعر عادة يكون من الخاملين أو الضعفاء الصغراء ، وهذه النقط الثلاث لا تنطبق على امرىء القيس، ولا على هذا العدد من شعره ، ولا يقال إنه اقتبسها فى فجر حياته الشعرية ؛ لأن أسلوبها ، ودقة التعبير فى البيت الأول وروعة التشبيه فى البيت الرابع، ومافى البيت الخامس من لوعة وروعة ، وحشرها بين معلقته التى أراد بها مزاحمة شعراء العرب قاطبة ، كل أولئك ينفى هذه الدعوى، والذى دعاه إلى الاقتباس من « ابن خذام » دون غيره ، وإلى كثرة ما اقتبس ، ومجاهرته بهذا الاقتباس، لا بد أن يكون قد قرأ له كثيراً ، فأعجب به ، فسجل ولاءه له وإعجابه به فى شعره مرتين، مرة بذكر اسمه ، ومرة بما اقتبسه منه، فزعم النحاة أو الأدباء أن « امرأ القيس » ذكر « ابن خذام » ليدل على قدمه ، أو على أنه أول من بكى الديار ، إنما هو زعم باطل ، وفكرة هتيقة بدليلين سأذكرهما بعد إيضاح زمنه .

« وغير بنى كلب » يقولون : إن « ابن خذام » بكى الديار فى قوله :

لآل هند بجنبى نفنف دار لم يمح جدتها ريح وأمطار

---

(١) سقط اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة أسماء أمكنة .
(٢) الآرام مفردها رئم كبير وهو الظبي الخالص البياض والعرصات الامكنة بين الدور ليس فيها بناء ، والقيعان جمع قاعة : فناء البيت :
(٣) ناقف حنظل المراد : تفقير عيونى لمرارة ها أجد من لوعة الفراق.

إما ترينى بجنب البيت مضطجعا لا يطيبنى لدى الحيين إبكار
فرب بيت يضم القوم رحبته أفأته . إن بعض القوم عوار

لم أدعاه بنو كلب ؟

ولعل السبب فى دعوى « بكر » نسبة « ابن خذام » إليها ، أنه اشتهر بين العرب بالهجنة ، والهجين كما فى كتب اللغة من أبوه عربى وأمه أمة ، ويخيل إلى أن أصلها من بكر ، أصيبت بالسباء فى إحدى الوقعات بين بنى كلب القحطانيين، وبنى بكر العدنانيين ، ـ وكان مثل هذا يحدث كثيرا فى العرب ـ ، فنشأ ابنها كما ينشأ الهجناء ، شاعرا بما يشعرون به، وأقله شهرته بين الناس بالهجين مرة ، وتلقيبهم إياه بعدل الآصرة مرة أخرى ، ولم يريدوا بالآصرة هنا الرحم أو القرابة ، وما إليها من معانى هذه الكلمة ، بل أرادوا بهذا اللقب تحقيره ، الذى شاءوه بإطلاق « الهجين » عليه تارة ، و « الشريد » تارة أخرى ، إذا لأصل فى الآصرة ، الحبل الصغيرة يشد به أسفل الخباء وإلى هذه الذلة التى جرها على « ابن خذام » سباء أمه ، يشير مهلهل فى قوله الآتى :

لما توعر فى الكراع « هجينهم » هلهلت أثأر « جابرا » أو « صنبلا »

فالكراع ، وعدل الآصرة والهجين ، والشريد ـ فى بعض روايات البيت ، تشير إلى قصة سباء أمه ، وتربطها ببنى وائل أخواله ، ويظهر أن الظروف بعدها لم تلبث أن ابتسمت لهذا الهجين ، الذى لاذنب له فى لقبه، أو سباء أمه ، أو تنكر العرب وتقاليدها له دهرا ، ويؤيد هذا ملازمته لعمه الأمير « زهير بن جناب » ومشاطرته بنى كلب ـ أعمامه ـ بأساء الحياة ولينها، وحربها وسلمها ، وانقضاضه فى كثير من الأحوال ، على بنى ربيعة أسرة « مهلهل » ، تحت لواء ، عمه الأمير القائد الشاعر الطبيب .

وشرعت الأيام بعد ذلك تبرز من مواهبه ، تارة فى ميدان الإغارات ، وأخرى فى ميدان الأدب والشعر ، ثم تكفل له « امرؤ القيس » بعد وفاته بالخلود ، والاقتباس من شعره ، والتغنى بوفائه .

نصه : أجمع علماء الأدب على أن « ابن خذام » شاعر قديم ، دثر شعره ، لأنه لم يكن للعرب كتاب ، وما بقى من أشعارها إنما هو شعر من أدرك رواته الإسلام[1] .

ولإيضاح ما له من قدم بنظرى أذكر ما يأتى:

الرواية التى اعتمدت عليها فى شجرة نسبه ، هى رواية السجستانى ، وقد بين فيها أنه امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل . فهذه أربعة أجيال ، وقد قدمت أن من عشيرته (زهير بن جناب) .

(فابن خزام) أحدث من (زهير) بجيل ، وقد تقدم أن دليل العشيرة المنتزع من دحية الكلبى وميسون بنت بحدل ، وأسامة بن زيد ، يدل على أنهم أحدث عهدا من زهير بخمسة أجيال ، فهم أحدث عهدا من ابن خذام بأربعة أجيال ، مدتها ٤ × ٤٠ = ١٦٠ سنة أى ان ابن خذام فى سن الأربعين كان قبل الهجرة بنحو ١٦٠ سنة ٤٦٧ م فميلاده حوالى سنة ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م) ولا يهمنا بعد ذلك أكان من المعمرين أم لم يكن .

صدق هذا التحديد : والذى يدل على صدق هذا التحديد أنه بعد هذا التاريخ بنحو ٢٠ سنة كان « يوم السلان » وفيه اجتمع بنو بكر وبنو تغلب بقيادة ربيعة بن الحارث — أبى كليب ومهلهل — فالتقوا بمذحج وعليهم زهير بن جناب ، فى هذا اليوم والأيام التى قبله ، والتى بعده ، وفى إحدى هذه الوقعات ، كان مع زهير الرجل الناصح الشاعر الفارس ابن خذام فاكتفيا بالإغارة الخاطفة ثم انسحبا — بعد أن قتلا من بنى تغلب رجلين هما جابر

---

(١) جمهرة ابن حزم ص ٤٢٦ .

« صنبل » لما وجدا (كليبا) و (ومهلهلا) وآل ربيعة متيقظين فقال (مهلهل) مفتخراً :

لما توعر فى الكراع (هجينهم) هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

ويقصد بهجينهم (امرأ القيس بن خذام)(١) وكان يسمى أيضا (عدل الآصرة) فيرى من هذا أن (ابن خذام) لم يكن متعمقا فى القدم إلى الدرجة السحيقة كما يتوهم الناس ، بل كان قبل الهجرة بنحو قرن كامل ، لو أنه عاش ٩٥ سنة ، ويكون موته قبل ميلاد (امرىء القيس الكندى) بنحو ٢٧ سنه، فليست المدة عميقة فى الجاهلية كما نرى فهو إذن ليس أول من بكى الديار ، بل سبقه كثيرون من الشعراء بنحو أربعة قرون أو خمسة، ويرى هذا واضحا فى هذا الكتاب

(الثانى) أن من سبقوه فى بكاء الديار (زهير بن جناب) فى أبياته الثلاثه التى تقدمت فى ترجمته ، وهى التى سرق منها ذو الرمة ،

أول من بكى الديار :

فابن حزم ليس أول من بكى الديار ، بل هو سارق لا سابق ، ويرجع الفضل فى ضبطه ملتبسا بجريمته إلى نظريتى ، لأنها فيما حققته من الأزمنة ، أوضحت أنه أحدث عهدا من (زهير بن جناب) : فهذا الشاعر قد بكى الديار فى أبياته الثلاثة التى سطا عليها (ذو الرمة) مرتين ، كما سطا عليها (ابن حذام) من قبله ؛ وزهير كذلك ليس أول من بكى الديار ، فقد سبقه « لقيط الإيادى » بنحو ١٥٠ سنة فى قصيدته: التى مرت فى زمن لقيط ومطلعها:

يادار عبلة من محتلها الجرعا هيجت لى الهم والأحزان والوجعا

---

(١) جمهرة ابن حزم ص ٤٢٦

(٢) المؤتلف والمختلف ص ١٠ ، ٩٢

جدول ترتيب شعراء المقطعات بحسب أزمانهم

العدد	الشاعر	ميلاده		ملاحظات
		قبل الهجرة	بعد الميلاد	
١	أعصر بن سعد القيسى العدنانى	٥٦٠	٧٩	
٢	الملك جذيمة الوضاح القحطانى	٤٤٠	١٩٦	
٣	العنبر بن عمرو بن تميم العدنانى	٣٩٨	٢٣٦	
٤	لجيم بن صعب الربعى العدنانى	٣٦٠	٢٧٣	
٥	الامير زهير بن جناب الكلبى القحطانى	٢٩٦	٤٢٢	
٦	الملك بهرام جور الفارسى	٢٢٩	٤٠٠	
٧	ابن خذام الكلبى القحطانى	٢٠٠	٤٢٨	
٨	دويد بن زيد القضاعى	١٥٦	٤٧١	
٩	المستوغر المزروعى العدنانى	١٢٠	٥٠٦	

تعقيب

يرى فيما تقدم مبلغ مافى تقارير الباحثين قديما من الجرأة ، ومن الخلط ، لا اعتمادا على قاعدة معروفه لديهم ، وإلا لاتحدت نتائجهم ، أو تقاربت ، ولكن المهم لديهم كان حشد المعلومات للطريفة ، وإمتاع قرائهم ، أوطلابهم ، أو ذوى نعمتهم مما قد ينقض آخره أوله .

وآيه ذلك هؤلاء الشعراء الذين لقبوهم بالقدماء ، وجعلوهم من شعراء المقطوعات لا القصائد .

ومما لامرية فيه أن سردهم بهذا الترتيب إنما قصدوا به بيان أن قدمهم فى الجاهلية هكذا ، ولكن بحسب نظريتى يختلف ترتيبهم الزمنى اختلافا بينا عن ترتيب السابقين .

وحسبى مكافأة على هذا العمل المضنى أنى بهذه النظرية وصلت إلى أمور ثلاثة :

(الأول) أنى رتبت شعراء المقطوعات، ثم شعراء القصائد ترتيبا زمنيا منسجما يستوى الجميع أمامها، فلا حيف ولا محاباة ، وهكذا القوانين الصالحة يجب أن يكون جميع الناس أمامها سواء .

(الثانى) أنى قرنت كل واحد من هؤلاء الشعراء بتاريخ ، وبيان قدمه ، منسوبا إلى التاريخ الهجرى ، والتاريخ الميلادى، لأول مرة فى عالم الأدب ، من أقدم عصوره إلى الآن .

(الثالث) أننى نسفت ذلك السور الجديدى ، الذى ضربه السابقون واللاحقون لعمر الأدب الجاهلى ، لزعمهم أن أقدم ما بين أيدينا من الآثار الأدبية للغتنا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ؛ وهذا إجمال مافصلت من شعراء المقطوعات فى زعم السابقين، مراعيا ترتيبهم بحسب ميلادهم .

« بهرام جور » ملك الفرس

من شعراء المقطوعات العربية

إذا كان عجيبا أن يجد الباحثون ، عشرات الأدلة لى ، على أن من الآداب العربية ماترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة ،

أو أن يقرءوا ماقررته ، من أن من المقطوعات العربية ماسبق الهجرة بنحو ستة قرون .

أو أن أقدم ديوان شعرى للعرب كان ديوان لقيط بن يعمر الإيادى ،

أو أن أطول قصيدة عربية فى الجاهلية هى التى تضمنها ذلك الديوان الخالد،

أو أن أقدم ماعثرت عليه من المقطوعات فى هذه الطبعة ، كان لشاعر قحطانى

لاعدنان، وذلك حوالى القرن الأول قبل الميلاد (القرن الثامن قبل الهجرة) ،

فأعجب من كل أولئك ، أن نجد للآداب العربية من يقدرها من الأجانب حق قدرها فى جاهلية العرب ، قبل الهجرة بأكثر من قرنين .

وأن يكون من استهوتهم بلاغتها ، وأساليبها ، وروعتها ، ملكان من ملوك الفرس :

أما الملك الأول فهو « يزدجرد الأول » الذى تولى حكم الفرس من ٢٩٩م (٢٢٣ قـه) ، ومظهر عنايته باللغة العربية وآدابها ، وبالعرب وتربيتهم ، وشيمهم ، وشجاعتهم ، أنه وكل تربية ولى عهده إلى « النعمان بن امرىء القيس العربى ملك الحيرة (١) ، وهو الذى قبض على صولجان الملك سنة ٤٠٣ م (٢٢٥ قـه) فمكث بينهم عشرين سنة حتى تشرب طباعهم ، وتخلق بأخلاقهم ، وتعلم لغتهم ، وأتقن آدابهم

وأما الملك الثانى فهو ابنه الملك « بهرام جور » ملك الفرس من ٤٢٠م (٢٠٩ قـه) ويقول حمزة الأصفهانى فى(٢) .

إن « المنذر » تولى تربية بهرام ، دفعه إليه أبوه « يزدجرد الأثيم » ليربيه منذ أن كان رضيعا ، وهذا منهج تربيته ودراسته :

منهج تربيته :

(١) من السنة الأولى إلى الثالثة أحضر له صفوة المرضعات من ذوات الخلق والصحة : عربيتين ، وفارسية (٣) .

(٢) ومن ٣ – ٥ أشرفن على حضانته وتلقينه مبادىء العربية والفارسية

(٣) ومن ٥ – ١٢ أحضر له « المنذر » مدرسين ، فعلموه الكتابة والرمى

---

(١) مروج الذهب حـ ١ . ١٦٢ (٢) تاريخ سنى ملوك الأرض

(٣) تاريخ ابن الأثير حـ ١ ص ١٦٠

والفقه ـ بطلب من بهرام ـ وأحضر له حكيما من حكماء الفرس ، فوعى كل ما عليه ، وفى نهاية تلك المدة ، فاق معلميه فصرفهم المنذر .

(٤) ومن ١٢ ـ ٢٠ أحضر صفوة ممتازة من فرسان العرب ، وخيولها ، فتعلم ركوبها ، والسباق بها ، والرمى والصيد ، وما أشبه ذلك ، فوق أسرار اللغات وآدابها ومات أبوه وهو عند المنذر .

وبالاطلاع على السنة التى توفى فيها المنذر فى كتابى هذا(١) نجدها سنة ٤٢٠م (٢٠٩ قـه) .

شعر الملك بهرام جور

ويقرر المسعودى (٢) أن هذا الملك الأديب كان يقول الشعر بالعربية ، ويتكلم بسائر اللغات ، ومما حفظ من شعره . وقد ظفر بخاقان ـ ملك الترك ـ وقتله :

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فإنى حامى ملك فارس كلها ... وما خير ملك لا يكون له حامى!!

وقال أيضا :

لقد علم الأنام بكل أرض ... بأنهم قد اضحوا لى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم ... عزيزهم المسوَّد والمسودا
فتلك أسودهم تقعى حذارى ... وترهب من مخافتى الورودا
وكنت إذا تشاوس ملك أرض ... عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطينى المقـــادة أو أوافى ... به يشكو السلاسل والقيودا

ويكرر المسعودى أن له أشعارا كثيرة بالعربية والفارسية ، أعرض عنها طلبا للإيجاز .

---

(١) الآثار المبتكرة صفحة ٢٠

(٢) مروج الذهب جـ ١ : ١٦٣

صحة هذا الشعر

وأكبر ظنى أن النظرة الأولى لهذين الأثرين ستدعو المتشككين إلى إنكارهما ، وإنكار نسبتهما، أما إنكارهما فلتلك السلاسة ، وهذه الصياغة التى تنتظمهما جملة وتفصيلا ، لأن ما عهدوه من الآثار الأدبية الجاهلية للعرب أنفسهم ماهى إلا صورة من خشونة الحياة البدوية ، ونماذج صادقة من جبالها الوعرة ، وطبيعتها المتنافرة ، فكيف بالأعاجم وليست اللغة لغتهم وليس السبك سبكهم ! !

ولقد كدت أنكر كما أنكروا ، وأتنكر لهذين الأثرين كما تنكروا ! لولا أن أسعفنى الأستاذان الكبيران : أحمد بك أمين ، ونجيب محمود [١] فقد نقلا عن « محمد عوفى » فى كتاب لباب الألباب ـ وهو أول كتاب فى تاريخ الأدب الفارسى ـ أن « بهرام جور » تعلم الشعر من العرب ، إذ نشأ بينهم ، ووقف على دقائق لغتهم ، وأن له شعرا عربيا بليغا ، وأن هذا المؤلف رأى ديوانه فى خزانة كتب بخارى [٢] وطالعه ، وكتب أشعارا منه وحفظ ، ومنها أبيات نظمها حينما رجع إلى فارس ، واستقر على سرير الملك بسبب انتصار العرب له . . . ويذكر عوفى بيتا فارسيا ارتجله بهرام فى وقت طربه .

وكذلك يذكر كتاب « المعجم ، فى معايير أشعار العجم [٣] » تربية « بهرام جور » فى الحيرة وتأديبه بآداب العرب .

ومن أعجب مانقله أن العلماء فى عصر بهرام لم ينكروا شيئا من أخلاقه وأحواله إلا قول الشعر ! ! فلما تملك ، تقدم إليه أحد حكمائهم ونصحه قائلا :

---

(١) قصة الادب فى العالم ج ١ : ٤٤٨

(٢) وبنده در كتاب خانة سربل بازارجة بخارا ديوان أو ديده است ودر مطالعة آورده است وأزانجا أشعار نوشته وياد كرفته ـ آزآن جمله اين است الخ لباب الالباب ج ١ ص ١٩ ط براون

(٣) قصة الادب فى العالم ج ١ : ٤٥٠

أيها الملك ، إن قول الشعر من كبار معايب الملوك ، لأن أساسه الكذب والزور ، والمبالغة الفاحشة ، لهذا أعرض عنه عظماء فلاسفة الأديان . . . فارعوى « بهرام » ولم يقل شعرا بعدها ، ونهى عنه أولاده وأقاربه .

أفيسوغ لمنكر بعد هذا أن يرفع عقيرته بإنكار هذا الشعر ، ونكران نسبته ، بعد إجماع علماء العرب والفرس على صحته ! وإذا ثبت أن هاتين المقطوعتين قيلتا بعيد سنة ٤٢٠م أى قبل الهجرة بأكثر من قرنين ، أفيظل المنكرون متمسكين برقم ١٥٠ سنة التى لا ظل لها من الحقيقة !

حسبى إلى هنا ذلك المشوار ، الذى قطعته إلى تلك المقطوعات الشعرية وتلك الإلمامة التى كشفت بها عن أمور كانت ولا تزال خفية .

وكانت « قواعد التنسيق » تقضى أن أقدم مقطوعتى ملك الفرس العظيم « بهرام جور » ، وأؤخر حديثى فى ديوان لقيط أقدم دواوين الشعر عند العرب ، وقصيدته الخالدة الرائعة ، ليأنس النظير بنظيره فى الأمرين . لأنى سأتكلم بعدئذ فى شعراء القصائد .

ولكن اعتزازى بشعر بهرام الشاعر ، ورغبتى فى أن أختم به شعر المقطوعات ، ليكون مسك الختام . هذان وغيرهما مما جعلنى أوثر ذلك الترتيب فلا علىّ بعد ماتقدم أن أحلق مع الباحثين فى سماء القصائد وشعرائها ، بعد ما اعتركت فيها الروايات ، واشتجرت فى ميدانها الآراء قديما وحديثا ، ثم أزن كل ماورد بميزان نظريتى ، التى نسأها الله لتظهر على يدى ، والحكم للباحثين بعد ذلك .

(٣) القسم الثالث

شعراء القصائد فى الجاهلية

بعد أن بدأت البرهنة على أن الأمثال العربية المنسوبة أقدم الآثار الأدبية عند العرب ، ثم ثنيت بالمقطوعات ، مستدلا على أنها أحدث من الأمثال وأقدم من القصيد ، اعتمادا على أن البسيط أقدم من المركب ، لم يبق بد

من الإفاضة فى القسم الثالث من الآثار الأدبية ، وهو شعراء القصائد ، وأقدميتهم ، وأقدم آثارهم ، مبتدئا باصناف الروايات التى تداولتها ألسنة الرواة ، معقبا بما استنبطته من منطق نظريتى ، التى مارأيتها خانتنى — على كثرة ما مرنى — تاركا أمر الفصل لأدباء اليوم والغد ، فان هذه القضية التى أبسط وجهات النظر فيها ، ليست لجيل دون جيل ، ولا لعصر دون عصر ، وحقائق الأشياء ثابتة ، ولكنها مرهونة بظروفها .

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض »

أول من قصر القصائد

ندر أن تتصفح كتابا فى الأدب الجاهلى ، فى القديم أو الحديث ، عند المشارقة أو المستشرقين ، إلا رأيت أن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع « مهلهل بن ربيعة التغلبى » فى قتل أخيه « كليب » ، وتتصفح أمالى ثعلب ، فتجده ينقل عن الأصمعى :

« أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر « مهلهل » ثم « ذؤيب التميمى » ثم « ضمرة الكنانى » و « الأضبط بن قريع » وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

وبترديد النظر فى هذا التقرير نجد ثلاثة أمور :

الأول ـ أن أول من قصد القصائد « مهلهل »

الثانى ـ أن « ذؤيبا التميمى ، وضمرة الكنانى . والأضبط القريعى المزروعى » أحدث عهدا من « مهلهل »

الثالث ـ أن هؤلاء الأربعة قبل الإسلام بأربعة قرون !

تحقيق :

١ ـ بالرجوع إلى ماحققته فى تاريخ مهلهل نجد أقدميته كانت قبل الهجرة بنحو ١٨٠ سنة.

٢ ـ وبالاطلاع على شـــجرة أنساب بنى تميم ، نجد من ذؤيب التيمى إلى عدنان ١٢ جيلا ، لأن أباه كعب بن عمرو بن تميم ، بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال فى شجرة تميم من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٥ جيلا ، فمنه إلى الهجرة نحو ٨,٢٥ من الأجيال .

مدتها ٨,٢٥ × ٤٦ = ٣٧٩ سنة قبل الهجرة (٢٤٣ م) .

فميلاده قبل هذا التاريخ بنحو ٤٦ سنة أى سنة ٤٢٥ ق هـ (٢١٠ م) .

وبالبحث فى شجرة « كنانة » نجد من ضمرة الكنانى إلى عدنان ١١ جيلا لأنه ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال فى شجرة قبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٨ جيلا فمنه إلى عصر النبوة ٩,٨ أجيال .

مدتها ٩,٨ × ٤٦ = ٤٥١ سنة .

إذن ضمرة كان يعيش حوالى سنة ٤٥١ قبل الهجرة فى سن الأربعين .

فميلاده كان حوالى سنة ٤٨٢ ق هـ (١٤٠ م) .

آثاره الأدبية :

لم تزد المراجع المختلفة على ذكر اسمه ، ونظمه فى سلك أول من تروى لهم كلمة تبلغ ثلاثين بيتا ، ومثله فى هذا مثل « ذؤيب بن كعب بن عمرو ابن تميم » و « الأضبط بن قريع » .

نتائج :

فينتج مما تقدم :

١ ـ أن هؤلاء الشعراء الأربعة لم يكونوا معاصرين ، بل كان ترتيبهم فى الأقدمية هكذا :

أقدمهم : ضمرة ، ثم ذؤيب ، والأضبط ، ومهلهل.

٢ ـ والنتيجة الثانية أن مهلهلا ليس أول شعراء القصائد ، بل سبقه كثير منهم مثل الشاعر ضمرة الكناني، وكان أقدم من مهلهل بنحو ٣٠٢ سنة.

« وذؤيب التميمي » وكان أقدم من مهلهل بنحو ١٩٩ سنة .

« والأضبط المزروعي » « « « « ١٦٥ سنة .

٣ ـ والنتيجة الثالثة أن هؤلاء الشعراء الأربعة ، لم يكن بينهم وبين الإسلام ٤٠٠ سنة كما نقل ثعلب عن الأصمعي ، بل كانت مددهم تتراوح بين ٤٨٢ ، و ١٨٠ سنة ،فأقربهم إلى الـ ٤٠٠ سنة التي رواها الأصمعي هو ضمرة

استئناس :

وإمعانا في الاستئناس ، ورغبة في العثور على قد مايكون هناك من المعسكرات الأخرى التي تنقض رأي هذا المعسكر ، تابعت البحث، فعثرت على معسكرين آخرين .

(ا) أحدهما يقول : (١) « للشعر أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ، وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول : فادعت اليمانية لامرىء القيس ، وادعت بنو أسد لعبيد بن الأبرص، وادعت تغلب لمهلهل ، وبكر لعمرو بن قميئة ، وإياد ، لأبي داؤد » .

(ب) والمعسكر الثاني يقرر أن بعضهم زعموا « الأفوه الأودي » أقدم من هؤلاء ، وأنه أشعر شعراء القصيدة ، وهؤلاء النفر المدعى لهم التقدم في الشعر متقاربون ، ولعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنه أو نحوها .

تجميع :

ولعل خير ماأعقب به على هذه المعسكرات الثلاثة ،أن أجمل الإشارة

---

(١) المزهر ج ٢ : ٢٩٦

إليها فيما يأتى :

أما المعسكر الأول فقد قضيت على نظريته بالبراهين الحسابية ، والأدلة النسبية ، ولمعرفة وجه الحق فى نظرية المعسكرين الباقيين ، لابد أن ننظر أولا إلى عدد القضايا التى تضمنتها هذه الأحكام ، ثم نزنها بميزان هذه النظرية ، التى كان لى شرف ابتكارها ، وتدعيمها ، وتطبيقها .

تضمن كلام عمر بن شبة ، مايأتى :

أولا ـ أن المهلهل وعمرو بن قميئة ، والمرقش الأكبر ، وأبا دؤاد وامرأ القيس ، لايسبق أقدمهم الهجرة بنحو مائة سنة .

ثانياً ـ أن هؤلاء متقاربون زمنا ، لأن الزمن هو أساس الخلاف .

الثالث ـ أن عمر بن شبة لايصدق من قرروا أن الأفوه أقدم من هؤلاء كما لايسلم بأنه أول من قصد القصيد .

وسأبدأ بتحقيق زمن « مهلهل » لأن الاجماع كاد ينعقد على أنه أول من قصد القصيد ، وإلى كل باحث أسوق الحديث :

(١) مهلهل بن ربيعة

ميلاده حوالى ١٨٠ ق هـ (٤٤٨ م)

كاد الرواة يجمعون على أن « امرأ القيس بن ربيعة بن مرة » الملقب بمهلهل أول من قصد القصائد[١] ، وقال الغزل ، وقد سرى ذلك إلى الشعراء فقال الفرزدق .

ومهلهل الشعراء ذاك الأول

وفى طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى : إنما سمى « مهلهلا » ، لطهلهة

(١) الاغانى جـ ٥ ص ٥٧ ، والشعر والشعراء ص ٩٩ والاشتقاق ٢٠٤ ، والمرزبانى ٢٤٨ ، واللآلى

شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه ، وفى الصحاح : سمى «مهلهلا» ، لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه ، ولا يهمنا إلا (الأمر الأول) وهو أنه أول من قصد القصيد ، (والأمر الأخير) وهو أنه أرق الشعر فما حظ الأمرين من الصدق ؟

تحقيق :

١ - (ا) بالرجوع إلى « شجرة ربيعة » يظهر لنا أن من « مهلهل » إلى جده الأكبر « عدنان » [١] ٢١ جيلا .

(ب) ومتوسط الاجيـــال فى هذه القبيلة من عصر النبوة إلى « عدنان » ٢٥ جيلا .

(فالفرق الأول) ٤ أجيال .

٢ - وبالرجوع إلى (دليل العشيرة) القربى لانجد لمهلهل نسلا إلا من قبل « ابنته : ليلى » أم « عمرو بن كلثوم التغلبى » ، فلا محيص أن ننتقل منه إلى سلالة أخيه « كليب » ، وكليب ليس له عقب إلا « هجرس بن كليب » ، وبالرجوع إلى أخويهما الباقيين : « عدى » و « سلمة » لانجد لهما خلفا ! [٢]

فلم تبق لنا حيلة إلا أن نترك حفدتهم ، للعثور على طائفة من الصحابة التغلبيين ، وهؤلاء لم أوفق إليهم ، فلا علينا بعدها أن نتيمم شطر القبيلة الأخرى : قبيلة بكر التى شقت عصا الطاعه على تغلب ، وثارت لحريتها ، بل كرامتها بمصرع كليب أخى « مهلهل » ولكل جان مصرع !

فاخترت من بكر ثلاثة ممن عاصروا النبى ، ولو أنهم من «العشيرة البعدى»

---

(١) لانه مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم ابن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان

(٢) جمهرة بن حزم ٢٨٧

لمهلهل ، اكتفاء بأن هاتين القبيلتين يجمعهما أبوهما وائل أولا ، وأمهما الكبرى ربيعة بعد ذلك ، وهؤلاء الثلاثة هم :

(١) (ثمامه بن أثال) وترتيبه فى كتاب الإصابة (٩٦١) ومنه إلى وائل أبى بكر وتغلب ١٣ جيلا .

(٢) من (شراحيل بن معبد) ومنه إلى وائل أبى بكر وتغلب ١٤ جيلا

(٣) من (خالد بن المعمر) وترتيبه فى كتاب الإصابة (١١٢١) ومنه إلى وائل أبى بكر وتغلب ١٥ جيلا .

(ا) فمجموع الأجيال لهؤلاء الصحابة الثلاثة ٤٢ جيلا متوسطها ١٤ جيلا .

(ب) وبالعودة إلى (مهلهل) نجد منه إلى وائل أيضا ١٠ أجيال .

(فالفرق الثانى) بين العددين الأخيرين ـ وهو الذى فات فيه هؤلاء الصحابة مهلهلا ـ ٤ أجيال .

وقد سبق أن (الفرق الأول) بين مهلهل وعدنان ، وبين متوسط أجيال الصحابة إلى عدنان ٤ أجيال .

فمتوسط العددين الأخيرين ٤ أجيال .

مدتها ٤ × ٣٦ = ١٤٤ سنة ، لأن متوسط عمر الجيل فى ربيعة ٣٦ سنة

أى إن عمر مهلهل وهو ابن ٣٦ سنة كان سنة ١٤٤ قبل الهجرة (٤٨٣م) وميلاده حوالى ١٨٠ ق‌هـ (٤٤٨م) .

بين مهلهل وزهير بن جناب :

وقد كانت المدة من عمر مهلهل بين الثلاثين والأربعين حافلة بشتى الغارات بين كليب ومهلهل وأبيهما ربيعة ، ومن ورائهم بكر وتغلب من ناحية ، وزهير بن جناب ومذحج وكثير من قبائل اليمن من ناحية أخرى ،

وأشهرها بالترتيب الزمنى ١ — غارة (زهير بن جناب) ومعه (ابن خذام) على مهلهل وقومه لكنهما وجدا فى مهلهل وأخيه وأبيه وقومه يقظة ، فاكتفيا من الغنيمة بالإياب ، وذلك قبل حكم زهير ، فطاردهما مهلهل ، وقال مشيرا إلى « ابن خذام » ، ملقبا إياه بالهجين .

لما توعر فى الكراع « هجينهم » هلهلت أثار « جايرا » أو « صنبلا »

وقد نقل السيوطى[1] عن « ابن دريد » أن طائفة من الشعراء غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها ، ثم ساق منهم « مهلهلا » وقد سمى به لهذا البيت ، فيحسن أن يضم هذا التعليل إلى التعاليل الثلاثة السابقة فى صدر هذا البحث .

٢ ـ واشتباك الفريقين بعد موت (ربيعة) وقد انجلى عن أسر (كليب) « ومهلهل » وكثير غيرهما وقد قال فى هذا « ابن جناب » :

أين أين الفرار من حذر المو ت إذ يتقون بالأسلاب
فهزمنا « مهلهلا » و « أخاه » « وابن عمرو » فى القيد و « ابن شهاب »
وسبينا من تغلب كل بيضا ء كنور الضحى ، بَرود الرضاب

٣ — يوم خزازى :

وبعد هذا الاشتباك سجل التاريخ يوما خالدا من أيام العرب ، وهو (يوم خزازى) فهو أعظم أيامهم بعد يوم ذى قار إذا كان الأول أول يوم انتصف فيه العدنانيون من اليمنيين ، فقد كانت اليمن قاهرة لها فى كل يوم التقوا فيه حتى كان هذا اليوم ، فانتصرت فيه معد ، ولم تزل لها المنعة إلى أن جاء الاسلام ، كما كان (يوم ذى قار) بعده أول يوم انتصفت فيه العرب عامة ، من دولة أجنبية هى الفرس .

---

(١) المزهر ج ٢ ص ٢٦٥ (٢) بفتح الخاء والزاى كحبالى وكسحاب

ويقول ابن الأثير (١) : « إن ملكا من ملوك اليمن كان فى يديه أسرى من ربيعه ومضر وقضاعة، وأنا أقرر أن هذا الملك هو (زهير بن جناب الكلبى) الذى كان ملوك حمير أقاموه ملكا على بكر وتغلب الربعيين ـ فلما سمعت عشائر الأسرى أنه يقول : ايتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى ، وإلا قتلت أصحابكم ، ثارت ثائرتهم، كما هيجت آساد غضابا ! ، فاجتمعت معد على « كليب » فجعل على مقدمته « السفاح التغلبى » وأمرهم أن يوقدوا نارا على جبل خزازى (٢) ، ليهتدى بها من يريد الانضمام إليهم ، فإن غشيهم العدو فليوقدوا نارين ، فلم يكد كليب يراهما حتى زحف بالعدنانيين ، فصبح مذحجا ومن معهم من قبائل اليمن ، فحم القتال ، وزلزل الزلزال ، فلم يلبث اليمنيون أن ولوا منهزمين ، بقيادة زهير بن جناب أما تغلب وبكر : الحيان الشقيقان ، أكبر بنى ربيعة ، فوجدوا أن أحسن ما يكافأ به كليب لهذا النصر المؤزر ، أن يختاروه ملكا ، وبهذا خرج بنو وائل من ربقة الاستعباد الخارجى إلى ظلال الحرية والكرامة ، فسار على ذلك زمنا حتى نفخ الشيطان فى أوداجه ، فاستولى عليه الغرور، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه، فلقى مصرعه! وسنه حوالى ٥٥ سنة لا أكثر، ويدل عليها قول أخيه مهلهل فى إحدى مرثياته:

إن تحت الأحجار حزما وعزما وقتيلا من الأراقم (كهلا)

والكهل من جاوز الرابعة والثلاثين إلى فوق الخمسين .

حرب البسوس ٤٩٧ م

وليس يهمنا من هذه الحرب أنها أطول وأقدم ماسجله المؤرخون من الحروب بين العرب كافة ، أو أنها كانت مسرحا كشف عن بطولة مهلهل ؛ فهو لم يكن بالبطل المغوار ، ولا المحارب الفذ ، ولا السياسى المحنك مما أتاح الفرصة لغرمائه البكريين أن يتجمعوا ، وأن يعود إلى صفوفهم الرجل

---

(١) تاريخ ابن الاثير ج ١

(٢) حزازى أو خزاز هو كما يقول الهمدانى جبل بالعالية من حمى ضرية بين البصرة ومكة

الحكيم » الحارث بن عُبّاد » وكان قد اعتزلهم بعد قتل كليب ، مستعظما أن يقتل كليب فى ناقة ! ! ، وأن ينتهى أمره بالفشل بل بالأمر .

إنما يهمنا منها أنها كانت فرصة ذهبية للشعر العربى فى الجاهلية ، ففجرت مواهب كثير من الشعراء بأصدق الشعر وأروعه ، فأضافوا إلى الآداب العربية ثروة ، ليس لها نظير فيما كثر من أيامهم ومواقعهم ، وقل أن نجد قصيدة قبلها بلغت الثلاثين أو جاوزتها ، إلا ما كان من قصيدة لقيط الايادى (١)

ومما لاشك فيه أن مهلهلا فى هذا الميدان كان أروعهم ؛ لأنه كان أفجعهم ، لهذا نجد فى شعره مالا نجده فى شعر السابقين ، وهل كان للعرب « كليب » قبل ملك ربيعة ! أو لمعد « ملك » قبل أخى مهلهل !

(١) مما يدل على أنه أول من رقق الشعر حقا وهلهله قوله - من بحر الكامل - وقد رأى الاميرات والعذارى يخرجن من بيت الملك صارخات نادبات :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن (الأوطان)

(٢) وبعد دفن أخيه قام على قبره يرثيه بقصيدة فى ٣١ بيتا - من الوافر - مطلعها :

أهاج قذاة عينى الادكار هدوءا فالدموع لها انحدار!

(٣) ومن أروع قصائده تلك التى كان العرب يطلقون عليها الداهية ، وهى أولى المنتقيات السبع فى ٣٧ بيتا من السريع ، ومطلعها :

جارت (بنو بكر) ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق

(٤) وفى حمومة الفجيعة ، خشى أن يتذكر الناس تلقيب أخيه كليب إياه بزير النساء ، أو أنه سيغفل عن الثأر ، فجمع أطراف قومه ، وجزنا صيته ، وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يشم طيبا ، ولا يشرب خمرا ، ثم خاض غمرات الحرب ، فكان من أعظم الوقعات (وقعة الذنائب) ؛ ثم (واردات) فانتصر

---

(١) مرت فى هذا الكتاب صفحة ١١٨

مهلهل وقومه انتصارا دامغا ، فقال مفتخرا ـ من الوافر : ـ

أليلتنا بذى حُسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى
ومنها فإن يك «بالذنائب» طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير

وهى أكثر من ٣٠ بيتا ، وغير هذه القصائد كثير أودع فى ديوانه ، وحسبه أنه من أقدم دواوين الشعراء . بعد ديوان لقيط الإيادى

الحصاد :

الآن وقد تم ما أردت فى أمر مهلهل الشاعر ، يحسن بى أن أجمل نتائج البحث فيما يأتى :

١ ـ كان « مهلهل » فى الأربعين من عمره ، قبل الهجرة بنحو ١٤٠ سنة ، فهو ليس بأقدم الشعراء ، ولا بأسبقهم قصيدا ، إذ قد سبقه كثير ، مما تردد العلماء قديما فى حقيقة قدمهم ، مثل « ابن خذام » و « زهير بن جناب » و « الأفوه الأودى » . ثم « لقيط الإيادى » صاحب أطول قصيدة قديمة

٢ ـ ولقيب مهلهل بهذا اللقب لم يكن لأنه أول من قصد القصائد ، بل لقب به إما بالبيت :

لما توعر فى الكراع « هجينهم » « هلهلت » أثأر جابرا أو صنبلا

كشأن كثير من الشعراء . الذين اشتهروا بألقاب انتزعت من أشعارهم ،

وإما لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه ، وقد برهنت على هذه الرقة التى تضمنها كثير من شعره فيما اخترته منه . فليس صحيحا ما نقله الجمحى أنه سمى مهلهلا لطهلة شعره ، أى اضطرابه واختلافه .

٣ ـ وحرب البسوس اشتعلت نيرانها ، ومهلهل قارب الخمسين من عمره ، أى حوالى سنة ٤٩٧م

ثم انطفأت جمرتها بعد أربعين سنة ، ومهلهل فى نحو التسعين من عمره سنة ٥٢٧م .

٤ ـ ويدل على دقة هذا التقدير ، أنه بعد أن تفانى الحيان : « تغلب » أسرة كليب ومهلهل و« بكر » ، أسرة جساس وهمام بن مرة ، رأى « الملك المنذر بن ماء السماء ، أن يصلح بينهما ، فتم له ما أراد ، كما قرره ابن الكلبى ، والمنذر تولى حكم اللخميين من سنة ٥١٤ ـ ٦٣ ، م .

فليس بصحيح ما رآه « أبو عمرو الشيبانى » أن الذى تولى هذا الصلح « عمرو بن هند » الذى حكم من ٥٦٢م فالتقطه بعض المؤلفين دون تحر

٥ ـ وقد كانت وفاة « امرىء القيس سنة ٥٥٩م بعد وفاة خاله «مهلهل» « بنحو ٢٢ سنة » . فكأن مهلهلا لما مات ، كان شاعر كندة فى نحو الثامنة من عمره ، وهذا من الأسباب التى جعلته لا يذكر حرب البسوس وضحاياها وأهوالها ، فوق أن آل كندة آثروا أن يلتزموا الحياد ، بين الحيين الشقيقين ، لأنها مسألة داخلية ، ليس من الكياسة تأجيج نيرانها ، وتسعير جحيمها ، فى الوقت الذى يجدون فيه الزاحم شديدا بينهم وبين المناذرة .

لهذا لا تجد فى ديوانه دمعة مسكوبة ، أو زفرة مشبوبة ، أو بيت رثاء فى أخواله .

(٢) عمرو بن قميئة (١)

ميلادة سنة ١٨٠ ق هـ « ٤٤٨ م »

(دليل النسب) يدل على أن منه إلى عدنان ٢٢ جيلا .

---

(١) هو عمرو بن قميئة كسفينة ، وأخطأ الأب لويس شيخو فى كتابه شعراء النصرانية إذ حذف الياء ، وجده سعد بن مالك ، وفى بعض الروايات ابن ذريح بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن على بن بكر بن وائل .

و (دليل الصحابة) يدل على أن متوسط أجيال ربيعة من عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا ، فمنه إلى عصر الصحابة ٤ أجيال ، مدتها ٤ × ٣٦ = ١٤٤ سنة فابن قميئة فى سن السادسة والثلاثين كان قبل الهجرة بنحو ١٤٤ سنة ، فميلاده كان قبلها بست وثلاثين سنة أى نحو ١٨٠ سنة (٤٤٨ م) .

فلو أنه عاش ٦٠ سنة لا غير لكانت وفاته حوالى سنة ١٢٠ ق هـ (٥٠٦ م) ولكن الرواة ومنهم السجستانى (١) قرروا أنه عاش ٩٠ سنة ، واتفقوا على أنه لا يعد من المعمرين إلا من بلغ ١٢٠ سنة أو جاوزها .

وقرروا من جهة أخرى أنه فى أواخر أيامه ، مر بقبيلته ربيعة « امرؤ القيس الشاعر » بعد مصرع أبيه للاستنجاد بهم . ولدى جلوسه بينهم أراد أن يسرى عن نفسه فسألهم :

هل فيكم من يقول الشعر ؟ فأجابوا : مافينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره ، فطلبه ، فأتوا به ، فاستنشده ، فأنشده ، فأعجب به ، وقال :

ألا تركب معى إلى الصيد ؟ فقال عمرو :

شكوت إليك أنى ذو جلالة وأنى كبير ذو عيال بجنب

فاكتفى بمجالسته (٢) ، ويقرر بعض الرواة أنه رحل معه أخيرا إلى « قيصر : جوستنيان » فمات فى الطريق ، فسمته العرب « عمرو الضائع » لموته فى غربة ، وفى غير أرب ولا مطلب .

وقد قررت فى إيضاحى مبلغ أقدمية « امرىء القيس » أنه توفى حوالى سنة ٥٥٩ سنة م ، والبعد بين ميلاد ابن قميئة الذى قدرته له هنا ، أى ٤٤٨ م وبين سنة ٥٥٩ م التى توفى فيها شاعر كندة يبلغ ١١١ سنة .

وعمرو مات قبل موت امرىء القيس ببضع سنوات ، فلنفرضها

---

(١) كتاب المعمرين ص ٨٩ رقم ١٠٩

(٢) الاغانى جـ ١٦ : ١٦٦

سبعا ، فيكون موت ابن قتيبة كان حوالى ٥٢ ، م . وبذا يتبين أنه جاوز المائة ، وبلغ من العمر نحو ١٠٤ من السنوات .

شعره :

١ ـ لم يختلف الرواة فى أنه من شعراء القصائد .

٢ ـ وأن أكثر شعره عدا عليه الضياع .

٣ ـ ومن أروع شعره قوله وقد طال عمره ، وشعر بفداحة عبء الحياة :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام !!

٤ ـ وقد صرح فى شعره أنه جاوز التسعين فى قوله :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عنى عذار لجامى

فليس بصحيح زعم من زعموا أنه عاش ٩٠ سنة ، بل جاوز المائة

(٣) أبو دؤاد الإيادى

مولده حوالى ٢٢٣ ق هـ (٤٠٦ م)

حاولت تطبيق (دليل النسب) لأهتدى إلى قدم أبى دؤاد ، فأعيانى تطلبه ، ووجدت من المستحيل أن أعثر على نسبه كاملا ، إذ كل ماذكره الآمدى أن أبا دؤاد ، اسمه جويرية بن الحجاج ، من حى من إياد يقال له « يقدم » وهو الشاعر المشهور الذى يقول : . . . .

وكان «الطيالسى» أوجز تعريفا ، ولدى «الأصمعى» أنه حنظلة بن الشرقى ومثله « ابن قتيبة » (١) ولم أجد من استوعب نسبه أكثر من غيره إلا أبا الفرج الأصفهانى (٢) ، فانه قال :

---

(١) الشعر والشعراء ص ٦٨ (٢) الاغانى جـ ١٥ : ٩٥

هو حارثة بن الحجاج : «حران» بن بحر بن عصام بن منبه بن حذافة ابن زهير بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو لم يذكر هنا من نسب أبي دؤاد إلا ١١ جيلا ، وهي أقل من نصف العدد المتوسط من عدنان إلى عصر النبوة ، لأن هذا المتوسط ٢٢,٦٥ جيلا .

فلا معدى إذن من تحقيق الموضوع بدليل السجلات الملكية ، ودليل المعاصرة ، وقد اجتمع الدليلان فى ملوك أربعة هم بحسب الأقدميه :

« المنذر بن النعمان الأعور ملك المناذرة » وقد كان « أبو دؤاد » على خيله (١)

و « المنذر بن ماء السماء » وقد كان أبو دؤاد جاره (٢)

و « قباذ بن فيروز » و « حجر بن الحارث » أبو امرىء القيس شاعر كندة ، فقد كان ابنه من رواة أبي دؤاد .

وكان دليل السجلات الملكية أدق فى الدلالة على تعيين هؤلاء من دورة الفلك الزمانية ، فقد أرشدتنا هذه السجلات فى بلاط المناذرة إلى أن « المنذر بن النعمان » حكم من ٤٣١ - ٤٧٣ م ، و «المنذر بن ماء السماء» - وهى أمه - ابن امرىء القيس ذى القرنين - وهو أبوه - حكم من ٥١٤ م وفى بلاط الأكاسرة أفادت سجلاتهم أن « قباذ » أباكسرى أنوشروان ، قبض على صولجان الملك من ٤٨٨ - ٥٣١ م ، وترى هذه التواريخ فى جدول الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ،وعند بحثك فى صفحة ٣٠ منه كذلك ، تجد ملك كندة لقى مصرعه سنة ٥٥٠ م وبرجوعك إلى صفحة ٨٤ ، تجدنى أثبت أن ابنه : شاعر كندة ، توفى ٦٣ ق هـ (٥٥٩ م)

النتيجة :

بترديد النظر فى هذه التواريخ تجد ما يأتى :

---

(١) الشعر والشعراء صفحة ٦٩ ، والاغانى جـ ١٥ ، ومجمع الامثال جـ ١ عند ذكر المثل « أنا النذير العريان »

(٢) المراجع المذكورة هنا

١ — أكثرها إيغالا فى الجاهلية « المنذر بن النعمان » فقد بدأ حكمه سنة ٤٣١ م ، وأحدثها عهدا وفاة امرىء القيس ، فقد أثبت أنها كانت سنة ٥٥٩ م ، والمدة بين هذين الزمنين ١٢٨ سنة ، ولم أعثر على أن أبا دؤاد من المعمرين حتى كان يصلح له هذا العمر ، فلو أنه عاش حوالى ٧٠ سنة ، وانطفأ مصباح حياته حوالى مصرع « حجر أبى امرىء القيس » أى فى نحو ٥٠٠ م لكان ميلاده حوالى سنة ٤٨٠ م « ١٤٧ ق هـ » ومعنى هذا أنه لم يعاصر المنذر بن النعمان ، ولكن المراجع دلتنا على أنه عاصره ، لأنه كان مشرفا على إدارة خيله ، وأنه أدرك خمس سنوات من حكم هذا العاهل أى اتصل به سنة ٤٢٦ م فلا مفر من مراعاة هذا ، ومراعاة أن امرأ القيس كان من رواته ، وهو فى سن العشرين أى سنة ٥٤٩ م وأنه عاش نحو ٢٠ سنة قبل أن يشرف على خيل المنذر بن النعمان .

ونتيجة لهذه الموازنات نجد ميلاد «أبى دؤاد» حوالى ٤٠٦ م «٢٢٣ قهـ» ووفاته حوالى ٥٤٩ م (٧٦ ق هـ) فيكون عمره بالسنين القمرية ١٤٧ سنة ، وبهذا يثبت أنه من المعمّرين ؛ وليس من الضرورى أن يذكره السجستانى منهم لأنه لم يستوعبهم .

منزلته الشعرية :

اتصال « أبى دؤاد » بالأكاسرة والمناذرة ، وانتظامه فى سلك الموظفين بالخاصة الملكية لدى ملوك الفرس ، وتنعمه بترف القصور ، ولين العيش فى ظلالهم ، لا بد أن يكون قد أضفى على شعره كثيرا من الرواء والرونق ، وأكسبه كثيرا من الرقة والصقل ؛ مجاراة لحضارة البيئة إذ ذاك . ولا بد فوق هذا من أنه قد حدثته نفسه بالتجديد فى الشعر العربى ، ونبذ التقاليد البالية ، التى يقدسها المحافظون فى كل زمان وكل أمة ، ونتيجة هذا أن يثور عليه زعماء المحافظين ، وينفروا منه ، ويرموا شعره بكل نقيصة ، أو يعملوا على إماتته ، فهل ورد فى تاريخ الأدب ما يثبت كل هذا ؟

نعم ، فقد قص علينا « أبو الفرج الأصفهانى » (١) أن الرواة كانوا لا يروون شعر « أبى دؤاد » ولا شعر « عدى بن زيد التميمى » ؛ لمخالفتهما مذاهب الشعراء .

إذن كان « أبو دؤاد » من الشعراء المجددين ، وكان يخالف مذاهب المحافظين من الشعراء فيما وجدوا عليه آباءهم ، جملة وتفصيلا ، وفى اللفظ وفى الأسلوب وفى المذهب ، وفى الفكرة .

الأغراض الشعرية التى نبغ فيها

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى تاريخه الذى أشرت إليه هنا ، نجده فى شبابه كان يشرف على إدارة الركائب الملكية (٢) فى بلاط الأكاسرة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالفروسية ، ومن الفرسان الممتازين ، بل من خبرائهم ، وهذا ـ من غير شك ـ هو الذى جعله أهلا لهذه الثقة الملكية السامية الغالية ، وقلده هذا العمل الفنى الذى اشتهر به فرسان العرب ، فإذا راعينا مع هذا أنه كان شاعرا ، وأنه مرهف الحس ، وأنه من المجددين ، وأن الترف مما يفجر ينابيع النبوغ لبعض الأغراض ؛ كما أن البؤس يفتح آفاقا للشكوى من الزمان ، تبين لنا أن الأغراض التى نبغ فيها ، لابد أن تمت إلى ما فى بيئته بأقوى صلة ، فهل فى آثاره الشعرية ما يؤكد استنباطى ؟

نعم ، فقد أجمعت المصادر الأدبية والتاريخية أن أبا دؤاد كان آية فى وصف الخيل ، ولهذا قرر « الأصمعى » أن ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : « طفيل الغنوى » و « أبو دؤاد » و « النابغة الجعدى »

بل قال محمد بن العباس اليزيدى : لم يصف أحد قط الخيل ، إلا احتاج إلى « أبى دؤاد » .

---

(١) الاغانى حـ ١٥ : ٩٦

(٢) يشبه فى هذا جد المرحوم أحمد حسنين باشا فى عهد الخديوية

حكمه :

ولم يفت « أبا دؤاد » أن يكون حكيما فى شعره ، وحسبك أن الحطيئة جعله أشعر الناس عندما سئل : من أشعر الناس ؟ فقال الذى يقول :

لا أعد الإقتار عُدما ولكن ... فقد من قد رزئته الاعدام(١) !

فأيهما شعره أنبه ؟

ندر أن يزيد ما اختاره له المؤلفون القدامى على ستة أبيات ، فما السبب ؟ مع أنهم قد حكموا أنه من شعراء القصيد! لا سبب إلا تعصب الرواة ، وحقد المحافظين ، وحسبك من شر سماعه .

(٤) الأضبط بن قُريع (٢)

ميلاده حوالى ٢٥٨ ق‌ه (٣٧٢م)

من مفاخر بنى تميم أن يمثلهم فى ركب الشعراء الجاهليين « الأضبط بن قريع المزروعى » بين شعراء القصائد ، و « المستوغر بن ربيعة » من شعراء المقطعات ، وقد تقدم الثانى فى القسم الثانى وهو المختص بالمقطعات ، صفحة ١٣٨ من هذا الكتاب .

أما « الأضبط » فقد نظمه الرواة بين شعراء القصيد، الذين كانوا أول من روى لهم كلمات تبلغ الواحدة منها ثلاثين بيتا من الشعر ، وهم : مهلهل وذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، وضمرة بن بكر الكنانى ، والأضبط

---

(١) الشعر والشعراء ص ٦٩

(١) هو الاضبط بن قريع بن مزروع الاصغر : «مالك : عوف» بن مزروع الاكبر: «كعب : عوف » بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

هذا[١] ، ثم استأنف ثعلب كلامه فقال :

« وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة ، وكان « امرؤ القيس » بعد هؤلاء بكثير » .

كيف حققت أقدميته ؟

برهن (دليل النسب) على أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا ، ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ـ وهو دليل الصحابة ـ ٢٥ / ١٩ جيلا ، فمن الأضبط إلى دليل الصحابة ٢٥ر٤ أجيال .

دليل العشيرة :

وفى دليل العشيرة الأقربين ، عمدت إلى « المزارعة » عشيرة الأضبط ، وعشيرتى ، فاخترت منهم خمسة من صحابة النبى ﷺ ، وهم صعصعة بن معاوية وجارية بن قدامة ، وربيع بن مالك ، وزياد بن هوذة ، والحريش بن هلال ، فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١٠٠ جيل ، متوسطها ٢٠ جيلا ، لكل صحابى منهم ، وقد تقدم أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا فهم يفوتونه فى النسب إلى عصر النبوة بخمسة أجيال ـ بحسب الواقع ـ وكنت من قبل جعلت منه إلى عصر النبوة ٢٥ر٤ أجيال ـ نظريا ـ فمجموع الفرقين ٢٥ر٩ أجيال متوسطها ٦ر٤ أجيال ، مدتها ٦ر٤ × ٤٦ = ٦ر٢١١ سنة ، أى إن الأضبط فى سن السادسة والأربعين كان قبل الهجرة بنحو ٢١٢ سنة ، فميلاده كان سنة ٢٥٨ ق هـ ٢٧٢ م فلا يضيرنا بعد هذا أكان من المعمرين أم من غيرهم ، وأن يقرر السجستانى أنه مات فى آخر الزمان بعد عده من المعمرين[٢]

---

(١) مجالس ثعلب ٤٧٩

(٢) كتاب المعمرين ص ٨ رقم ٨

آثاره الأدبية :

إذا كان الرواة قد قرروا أنه من تروى لهم كلمة شعرية تبلغ ثلاثين بيتا، وكان هذا فى العصر العباسى ، فإن تطاول الأمد بيننا وبينهم قد ضن علينا أن تصلنا هذه الكلمة ، ولو وصلت إلينا لوجدنا فيها مايسمح بالحكم لمنزلته الشعرية ، أوعليها، وقد حاولت العثور على ديوان له فى دار الكتب المصرية فلم أجد ،فلا مناص بعد هذا من أن أقرر أن « ابن قتيبة»(١) وغيره سجلوا أنه القائل :

أذ ود عن نفسه ويخدعنى !! ياقوم من عاذرى من الخدعة !(٢)

وأن أول الشعر :

لكل ضيق من الأمور سعة والمسى والصبح لافلاح معه

فصل حبال البعيد إن وصل الحبـ ـل وأقص القريب إن قطعه

إذن كان الأضبط من شعراء الحكم ، ولم أعثر على شاعر أقدم منه ،أو أو مثله فى كثرتها ، فأكثر الشعراء بعده عالة عليه فى هذا الغرض ، ولن يستطيع أن يصدر هذا الحكم الجرىء إلا نظريتى ، التى وفقنى الله إليها .

(٥) امرؤ القيس

ولد حوالى ٩٦ ق هـ (٥٢٩ م)

أما « امرؤا القيس » فقد أثبت فى صفحة ٤٢ من هذا الكتاب أن وفاته كانت ٥٥٩م (٦٣ ق هـ) وديوانه المتداول بين أيدى الأدباء يدل على أنه من

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٤٤

(٢) الخدعة كثير الخداع والتبس الامر على صاحب الاغانى فى الجزء ١٦ فقرر أن الخدعة هنا قوم من بنى تميم وليس بصحيح لان الخدعة في البيت واحد دل عليه الضمير، والخدعة من بنى تميم جماعة هم عند الدقة أولاد كعب : « مزروع الاكبر » بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وأنا أعرف الناس بعشيرتى ورب الدار أعرف بمن فيها

شعراء القصائد ، بل أمير الشعراء الجاهليين، فتصفحه إن شئت، وحسبه أن يرجح الدكتور طه حسين أنه أقدم الشعراء الذين يروى لهم شعر كثير ، ويتحدث الرواة عنهم بأخبار كثيرة(١)

(٦) عَبيد بن الأبرص (٢)

ولد حوالى ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م)

النظرة الأولى إلى ما نسب إليه من شعر فى مغرب حياته ، تدل على أنه عاش أكثر من ٢٢٠ سنة ، ويؤخذ هذا من قوله ـ من بحر الكامل ـ :

مائتى زمان كاملين وبضعة ... عشرين عشت معمرا محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئا ... وبناء شـــداد وكان أبيدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتنى ... ركضا وكدت بأن أرى داودا
ماينبغى من بعد هـذا عيشة ... إلا الخلود وهل تنال خلودا!(٣)

وقد أشار فى هذه الأبيات إلى :

١ ـ أنه عندما قال هذا الشعر، متبرما بالأيام لطول عمره كان ابن ٢٢٣ سنة على الأقل .

٢ ـ وأنه عندما كان غلاما ناشئا أدرك أول ملوك نصر اللخميين .

٣ ـ وكاد يدرك ذا القرنين وداود عليه السلام .

فأما بلوغه من السن نحو ٢٢٣ سنة على أقل تقدير عندما قال هذا الشعر، ففيه مبالغة ، تكاد تبلغ ضعف العمر الحقيقى، لأكثر المعمرين ، لهذا سأتركه مؤقتا حتى ننتهى من الدعويين الباقيتين :

والدعوى الثانية أنه كان غلاما لما أدرك أول ملوك اللخميين .

وبتصفح جدول هؤلاء الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ، نجد أن أول ملوكهم عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، حكم من ٢٦٨ م ٣٦٥ ق هـ .

---

(١) فى الأدب الجاهلى ص ٣٠٤

(٢) أخبرتنا جمهرة ابن حزم أنه عبيد بن الأبرص بن عشم بن عامر بن هبر بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان ، ودلتنى شجرة الأنساب التى جمعتها على أن دودان ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) كتاب المعمرين صفحة ٦٠ رقم ٥٩ ، وبلوغ الارب ج ٢ : ٢٨١

فلو أنه كان ابن عشر سنين إذ ذاك ، لكان ميلاده حوالى ٢٥٨ م (٣١٥ ق) ، واعتمادا على أنه عاش بعد مصرع حُجر الكندى، بيد بنى أسد سنة ٥٥٠ م ، بل لقى حتفه أيام المنذر بن امرىء القيس ملك لخم ـ أى بين ٥٥٠ (٥٦٣م) أى حوالى سنة ٥٥٦م ، نجد أن «عبيدا» عاش من ٢٥٨ ـ ٥٥٦م أى نحو ٢٩٨ سنة !! .

وهذا بعيد لا يتصور العقل ، ويأباه العرف ، فوق أنه يزيد على ماقدره لعمره عند شكوى طوله بمراحل ؛ ولو أنه قريب من العمر الذى رواه له السجستانى ، إذ جعله ٢٢٠ سنة أو ٣٠٠ سنة !؛ بل أقل مما نقله ابن قتيبة (١) وهو ٣٠٠ سنة .

٣ ـ والدعوى الثالثة أنه كاد يدرك « ذا القرنين » و « داود » ولاداعى لبحث زمنهما لأنه لم يدركهما باعترافه ؛ فما حقيقة عمره ؟ .

استفتيت «دليل النسب» و « دليل المعاصرة » ، وفيما يأتى ما أرشدا إليه :

دليل النسب

بالرجوع إلى شجرة أنساب بنى أسد ، رهط عبيد ، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلا . ومتوسط الأجيال لقبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٦ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٦ من الأجيال ، مدتها ٢,٦ × ٤٦ = نحو ٢٢٠ ق هـ (٤٠٩ م) .

وهذا عندما كان فى السادسة والأربعين من عمره ـ لأن الجيل عند بنى أسد ٤٦ سنة ـ فميلاده كان قبل هذا الزمن بنحو ٤٦ سنة أى سنة ٢٦٦ ق هـ (٤٤٣ م)

---

(١) الشعر والشعراء صفحة ٨٤

ولمعرفة مقدار عمره ، لابد من معرفة سنة وفاته .

ولا سبيل إلى ذلك إلا باستفتاء (دليل المعاصرة) فماذا يرشد إليه هذا الدليل ؟

دليل المعاصرة :

أفادنا هذا الدليل أن « عبيد بن الأبرص » كان يعاصر ملكين مشهورين وامرأ القيس الشاعر .

ا ـ الملك الأول هو « حجر الكندى » أبو « امرىء القيس » الشاعر : وكان على بن أسد قبيلة « عبيد » وهذا الملك لقى حتفه على يد هذه القبيلة سنة ٥٥٠ م (٧٥ ق هـ)

ب ـ وملك الحيرة : « المنذر الثالث بن امرىء القيس » ، وهذا قد غربت شمس حياته سنة ٥٧٨ م (٤٤ ق هـ)

حـ ـ أما امرؤ القيس فقد أثبت أنه توفى سنة ٥٥٩ م .

وأجمعت المراجع المختلفة على أن عبيدا قتل قبل موت امرىء القيس ببضع سنوات ، أى حوالى سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

ربط

بعد هذا يسهل علينا أن نعرف عمر عبيد ، بعد أن أرشدنا دليل النسب إلى أن ميلاده سنة ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م) وهدانا دليل المعاصرة إلى أن مصرعه كان سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

فعمره = ٥٥٢ - ٤١٧ م أى نحو ١٣٥ سنة بالتقويم الشمسى ، ونحو ١٤٠ سنة بالتقويم القمرى .

المبالغة فى تقدير عمره :

فليس بصحيح ما تضمنه الشعر المنسوب إلى عبيد ، أنه عاش أكثر من

٢٠٠ سنة، وبضع وعشرين سنة !! ولا ما أخبرنا به « السجستانى » أنه عاش ٢٢٠ سنة ، أو ٣٠٠ سنة . ولا ما سجله « ابن قتيبة » أنه عاش أكثر من ٣٠٠ سنة ! إذ هذه الأقوال تناقض تمام المناقضة ، عمره الذى جمع طرفيه دليل النسب ودليل المعاصرة ، فوق أن هذا العمر الذى حدده الشعر ، والسجستانى وابن قتيبة ، وأضرابهم لا يقره عقل ، ولا يجيزه عرف ، ويأباه الطب الحديث

والصحيح الذى يؤيده المنطق ، ويسنده دليل النسب . ودليل المعاصرة ، ودليل السجلات الملكية ، ويزكيه الطب الحديث ، ويناصره العرف العام هو أن عبيد بن الأبرص عاش حوالى ١٤٠ سنة بالتقويم الهجرى ، وكانت وفاته سنة ٣٠ ق هـ (٥٥٢ م) .

ديوانه شعره :

منه نسخة مطبوعة فى ليدن سنة ١٩١٣ ، رقم ٣١٣١ أدب فى دار الكتب المصرية ، والدكتور طه ينكره إلا قليلا(١)

شفاعة عبيد لنفر بنى أسد :

ومما يدل على أن « عبيدا » كان ذا منزلة ممتازة ، وأن الشعر فى الجاهلية كان ينال من الأهداف ما تعجز عنه الأسنة والرماح ، ماقصته علينا المراجع التاريخية والأدبية ، من أن « حجرا أبا امرىء القيس » غضب على بنى أسد — رعاياه — فقتل بعضهم بالعصا — فسموا عبيد العصا — وأسر من بينهم طائفة أخرى ، منهم « عبيد » ، فقام بين يديه ضارعا معتذرا قائلا من قصيدة :

ياعين ها فابكى بنى أسدهم أهل الندامة !
أهل القباب الحمر والـ نعم المؤبل والمدامة !

(١) فى الادب الجاهلى ص ٢٢١

ومنها :

فى كل واد بنى يثـ ... ـرب والقصور إلى اليمامة
تطريب عان أو صيا ... ح محرق وزقاء هامة
أنت المليـــك عليهم ... وهم العبيد إلى القيامة

فعفا عنهم ملك كندة ، رحمة بهم ، وتأثرا برائعة شاعرهم ، وردهم إلى بلادهم وفى نفسهم ما فيها ، فلم يمض غير قليل حتى ركب بنو أسد كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم الضحى ، حتى انتهوا إلى حجر ، فوجدوه نائما ، فذبحوه غيلة ! فثار الشر بينهم وبين بنى كندة وعميدهم « امرىء القيس » وتوعدهم بقوله :

والله لا يذهب شيخى باطلا ... حتى أبيد (مالـكا) و (كاهلا)

فرد عليه عبيد بقصيدة منها :

ياذا المخوفنـــا بقتـــ ... ـل أبيه إذلالا وحينـــا
أزعمت أنك قـــد قتلـ ... ـت سراتنا !! كذبا ومينا(١)

وكأن الأقدار أبت على عبيد إلا أن يشرب بالكأس التى جرعها « حجرا » ! فلقى مصرعه على يد ملك الحيرة ! ولكل جان مصرع !

على يد من كان مصرع عبيد ؟

لم تكتف المراجع المختلفة بذكر ما يعقل وما لا يعقل ، بالنسبة لطول عمره ، إلى درجة أقرب إلى الخيال من الحقيقة ، بل اختلفوا كذلك فى ذلك البلاء الذى نزل بذلك الشاعر الزعيم النابغة ، فعصف بحياته ، وحرم بنى أسد شاعرها الغرِّيد ، وزعيمها الصَّنديد ، لا لذنب جناه ، ولا لجرم اقترفه ، بل

---

(١) عند الدكتور طه أن قراءة هذه القصيدة توحى أنها من عمر القصاص . وعنده كذلك أن كل شعر امرىء القيس المتصل بشعر عبيد منحول كشعر عبيد (ص ٢٢٠ فى الأدب الجاهلى)

إشباعا لشهوة صارت قانونا ، وارتباطا بعهد ليس هناك ما يبرره ، إلا ما كانت ترسف فيه الإنسانية من أغلال الاستبداد المطلق ، فى تلك العصور المظلمة .

وإلا فمن قال : إن يوم البؤس ويوم النعيم ـ اللذين جعلهما أحد ملوك الحيرة شعارا له ـ قانون تخضع لرهبته الملوك فضلا عن السوقة !

إذا كان للضمير غفوة ، فان له يقظة ، و « المنذر » كان من ملوك العرب ونبلائهم ، ومن أعرف الناس بطباع قومه ، وتقديرهم للنجدة والوفاء ، وحماية المستجير وإغاثة الملهوف .

لهذا لم يلبث أن رجع عن هذه البدعة السيئة (١) .

أما ذلك الملك الذى شاءت إرادته أن يقتل فى يوم بؤسه « عبيد بن الأبرص » فلم يتفق الرواة على حقيقته ، فمنهم من جعله « المنذر الثالث بن امرىء القيس » وهو الذى تولى حكم المناذرة من ٥١٤ - ٥٨٧ م ومنهم من جعله « النعمان بن المنذر » الذى استمرت مملكيته من ٥٨٥ - ٦١٣ م .

ومن يؤيدون الرأى الأول « أبو الفرج الأصفهانى (٢) » و « البغدادى (٣) » و « الألوسى (٤) » و « اليعقوبى (٥) » ، ومن مؤيدى الرأى الثانى « ابن رشيق (٦) » انسياقا وراء « حمزة (٧) » و « ابن قتيبة (٨) »

ومما لا شك فيه أن القائلين بمصرعه فى عهد « المنذر الثالث » أبعد نظرا ، وأدق تحقيقا ، لأن دليل النسب ، ودليل المعاصرة ، وحقائق التاريخ تؤيدهم فوق دليل السجلات الملكية .

---

(١) بلوغ الارب حـ ١ : ١٢٩ (٢) الاغانى حـ ١٩ : ٨٤
(٣) خزانة الادب حـ ٢ : ٥٥ (٤) بلوغ الارب حـ ١ : ١٢٩
(٥) تاريخ اليعقوبى حـ ١ : ١٦٨ (٦) العمدة حـ ١ : ٦٦
(٧) تاريخ سنى ملوك الارض ص ٧٣ (٨) الشعر والشعراء ص ٨٤

(٨) المرقش الأكبر (١)

ميلاده حوالى ٢١٦ قـه (٤١٣ م)

من هذا الشاعر إلى عدنان ٢١ جيلا، ومتوسط أجيال قبيلته ربيعة من عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا، فمنه إلى عصر النبوة خمسة أجيال، وعمر الجيل فى ربيعة ٣٦ سنة، فمدة الأجيال الخمسة ٥ × ٣٦ = ١٨٠ سنة، فكأنه ولد سنة ٢١٦ قبل الهجرة (٤١٣ م).

وإذا كان « المرقش » من شعراء القصائد بما قرره الباحثون، وبما عثرنا عليه من شعره؛ فليس ذلك بعجيب؛ لأن « أخاه حرملة » وأباه سعدا و« عمه عوف بن مالك » و « وجده الأول مالكا » و « جده الثانى ضبيعة »، كانوا شعراء. ولا يهمنا أكانوا من شعراء القصائد أم من شعراء المقطوعات؛ فإن هدفنا هو المرقش كشاعر قديم، ولو أن قصيدة أبيه التى بلغت خمسة عشر بيتا، تدل على أنه من شعراء القصيد كذلك، ومطلعها :

يابؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا (٢)

وقد قال هذه القصيدة فى حرب البسوس، التى هاجت بين قبيلته بكر، وأختها قبيلة تغلب، التى منها كليب ومهلهل.

أقدمية المرقش ومكانته :

وقد ثبت هنا أن للمرقش أقدمية بين شعراء القصيد، وأنها تتعمق فى العصر الجاهلى إلى مايقرب من قرنين وليدا، وأن مكانته الشعرية وجهت أنظار الباحثين والأدباء فى العصر العباسى الأول، فنظموه فى سلك

---

(١) المرقش الاكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة والحصين ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) ديوان الحماسة ج ١ : ١٩٢

شعراء القصيد القدماء، وعد من الطبقة الأولى، وادعت بكر أنه وعمرو بن قميئة أشعر الشعراء .

إن تحديدى سنة ٤١٣ م لميلاده لا يعارض ماجاء فى بعض الأخبار، أنه اتصل بملك الغساسنة « الحارث أبى شمر » فإن هذا الملك تولى من ٥٠٠-٥٦٩م على رأى « نولدكى» (١) وجعل من كتابه « المرقش » ، تمتعا بمنادمته ، وشعره ، لا أنه كان منقطعا للكتابة له ، لأن الكتاب المختصين أتقن للكتابة منه ، فهم أولى بها ، ولكن إسناد هذا المنصب إليه كان للتشريف، إذ شهرته بالشعر أو المنادمة لم تكن موضع شك ، فإضافة هذا اللقب إليه يضيف فخرا آخر له ، ندر أن تمتع به واحد من رجال عصره ، أما لو اتخذه شاعره ، أو نديمه لكان فى هذا سلب لأهم مايمتاز به المثقفون فى كل عصر، وهو إحسانه القراءة والكتابة والاطلاع على المدونات المختلفة ، وهذا هو السر فى هذا المنصب السامى الذى خلعه عليه جلالة الملك الغسانى .

عود على بدء :

وقد أثبت الدليل النسبى أن مولد المرقش كان حوالى ٤١٣ م (٢١٦ق هـ) فلو أنه عاش ٩٠ سنة ، لأدرك من حكم الملك الغسانى ثلاث سنين . وبذا تكون وفاته سنة ٥٠٣ م ، إذ تقدم أن ملك غسان تولى من ٥٠٠ - ٥٦٩ م وهذه السنة توافق ١٢٣ قبل الهجرة ، فلا تعارض بين دليل النسب ، ودليل السجلات الملكية ، فكلاهما يؤيد صاحبه ، وبذا يكون قد أدرك من حرب البسوس بضع سنوات ، إذ تقدم أنها اندلعت سنة ٤٩٧ م . (١٢٩ ق هـ)

شعره:

من الأسباب التى جعلت شعره قليلا فى أيدى الأدباء والمتأدبين، أقدميته

(1) Noeldeke & 53

فى الجاهلية، فهذا القدم عصف بكثير من شعره، وكان من المؤمل ألا يضيع منه شيء، فقد كان ممن يكتبون فى الجاهلية، هو وأخوه حرملة، لأنهما تخرجا على يد نصرانى من أهل الحيرة (١) فمن المعقول أن يكون المرقش الأكبر أولاهما اهتماما بتدوين شعره، فكيف عبثت به الحوادث فوق عبثها بما كان له فى صدر الرواة !.

أشهر ماوصل إلى من شعره لايجاوز سبعين بيتا فى خمس قصائد، وثلاث مقطوعات، ولعل أشهر شعره البيتان المشهوران :

النشر مسك، والوجوه دنا نير، وأطراف الأكف عنم
والدار وحش والرسوم كما رقش فى ظهر الأديم قلم

وقد كانا مما قاله بعد عودته من لدن الغساسنة، فى بنت عمه عوف (٢)، لما علم بزواجها فى غيبته برجل من مراد :

---

(١) الاغانى جـ ٦ : ١٣٠

(٢) قيل سمى المرقش عوفا باسم والد أسماء التى كان يهواها كما فى المفضليات، وإذا ذكر المرقش الأكبر فتذكرنا المرقش الاصغر بن أخيه، وأحد المتيمين كذلك وكانت محبوبته فاطمة بنت المنذر بن النعمان، وقد حققت أن المرقش الاصغر ولد حوالى ٣٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)، فهما ممن اشتركوا فى حروب بكر وتغلب، لأنهما بكريان.

شعراء العصر الثالث :

(٨) الأفوه الأودى (١)

ميلاده حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠ م)

أعجب ما سطره باحثو سيرته ، قول البكرى : « إنه جاهلى قديم » ، وذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح !! فكأنه بهذا كان فى القرن السابع قبل الهجرة ! ، ويليه ما رواه (ثعلب) فى أماليه ، عن الأصمعى فى بعض رواياته « أنه ممن سبقوا الإسلام بأربعمائة سنة » ! وعكس هذين ما رواه بعض كتب الأدب أنه كان فى عصر الملك المنذرى : عمرو بن هند الذى حكم من ٥٦٣ — ٥٧٨ م ؛ فما رأى نظريتى ؟

١ — دليل النسب

تصفحت شجرة الكهلانيين فظهر لى أن من (الأفوه) إلى (قحطان) جده الأكبر ٢١ جيلا (٢)

ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان فى الكهلانيين ٣٢ جيلا

فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيلا ، مدتها ١١ × ٤٠ = ٤٤٠ سنة قبل الهجرة .

٢ — مقياس العشيرة

ودفعا لما قد يكون من سقوط بعض حلقات نسبه ، أو زيادتها ، أو وجود بعض آبائه المعمرين ، ممن قد يبطون بعدد الأجيال ، وما أشبه

---

(١) المزهر ج ٢ ص ٢٩٦ والاغانى ١١ : ٤٤

(٢) لان الافوه : صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود ابن الصعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب الاصغر بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

بسبب عصف الحروب ببعضهم شبانا ، استحسنت أن أختار طائفة من الصحابة الذين يلتقون به فى أحد آبائه ، فصادف اختيارى عشرة منهم التقوا به فى جدهم « أدد بن زيد » وهم :

العدد	الأجيال إلى أدد	الأجيال إلى قحطان	الصحابى	رقمه فى كتاب الإصابة
١	١٤	٢٣	قيس بن سلمة	
٢	١٥	٢٤	امرؤ القيس بن عابس	٢٥٠
٣	١٨	٢٧	إبراهيم بن قيس	٨
٤	١٧	٢٦	زرارة بن قيس	٢٧٦٣
٥	١٨	٢٧	جهيش بن يزيد	١٢٥٥
٦	١٥	٢٤	دريد بن كعب	١٣٩١
٧	١٦	٢٥	أبو هند الدارى	
٨	١٦	٢٥	تميم الدارى	٨٣٣
٩	١٥	٢٤	مروان بن مالك	
١٠	١٦	٢٥	نعيم بن أوس	

فجملة أجيال هؤلاء العشرة إلى «أدد» ١٦٠ جيلا ، ومتوسطها ١٦ جيلا ومن (الأفوه) إلى جده وجدهم (أدد) ١٠ أجيال ؛ فهو أقل منهم ستة أجيال هى عدد الأجيال التى بينه وبينهم إلى عصر النبوة .

موازنة :

وبالرجوع إلى نسبه هو نجد منه إلى قحطان	٢١ جيلا كما تقدم
ومنهم إلى هذا الجد أيضا	٢٥ جيلا
فهم يفوقونه فى النسب الأعمق	٤ أجيال
وقد تقدم أنه يقل عنهم فى النسب إلى أدد	٦ أجيال

فمتوسط العددين الأخيرين ٥ أجيال ، مدتها ٥ × ٤٠ = ٢٠٠ سنة

تناقضهما دليل النسب ودليل العشيرة

وبموازنة هاتين النتيجتين لدليلي النسب والعشيرة ، نجد تناقضا عجبا !

إذ « نتيجة دليل النسب » تفيد أن الأفوه كان فى سن الأربعين سنة ٤٢٠ قبل الهجرة ، وهو قريب من رواية ثعلب .

و « نتيجة دليل العشيرة » تفيد أن الأفوه كان فى سن الأربعين سنة ٢٠٠ قبل الهجرة .

فالبعد بينهما ٢٤٠ سنة ، وهو رقم كبير ، فلا محيص عن استشارة دليل ثالث وهو :

« دليل المعاصرة » وقد تناقلت كتب التاريخ القديم أن « الأفوه » و « عوف بن الأحوص » و « أبا لبيد : ربيعة بن مالك » كانوا فى عصر واحد ، وشرح هذا أن « بنى أود » القحطانيين أغاروا على « بنى عامر » الربعيين ثأرا لقتيل لهم ، وكان المغيرون بقياده « الأفوه » فرض مرضا شديدا ، فناب عنه فى القيادة « يزيد بن الحارث الأودى » ، وتخلف الأفوه حتى أفاق من وجعه ، فلقى نائبه فى أثناء المسير « بنى عامر » وعليهم قائدهم « عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » فاشتبك الفريقان ، فظفرت أود ، وأصابوا مغنما . . . .

وبالبحث عن زمن (عوف قائد بنى عامر) فى شجره قيس ، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة جيلان ، مدتها ٢ × ٤٠ = ٨٠ سنة أى كان عوف قبل الهجرة بنحو ٨٠ سنة ، ونترك هذا الرقم قليلا ، للبحث عن زمن أقاربه نجد أبرزهم فى سلسلة نسبه « ربيعة بن مالك بن جعفر » وهو ابن عم « عوف » ، وربيعة كذلك « أبو لبيد الشاعر » المخضرم الذى

عاش نحو مائة وسبع وخمسين سنة ، نحو نصفها فى الجاهلية ، فكأن لبيدا أدرك منها جيلين ، وكأن أباه وعمه كانا فى جيل ثالث ، ومدة هذه الأجيال الثلاثة ٣ × ٤٠ = ١٢٠ سنة .

وقد تقدم أن الأجيال بعد بلوغ عوف الأربعين إلى الاسلام تقدر بجيلين ، فإذا ضم إليها جيل عوف ، كانت الأجيال ثلاثة ، وكانت مدتها ٣ × ٤٠ = ١٢٠ سنة ، فالمدتان متحدتان ؛ ولكن عوف إنما خاض غمرات الحرب فى نحو الأربعين من عمره حوالى سنة ١٣٠ قبل الهجرة ، فكيف التوفيق بين ١٢٠ و ٢٠٠ التى أرشدنا إليها «دليل العشيرة» ؟ إن التوفيق سهل إذا اعتبرنا أن الأفوه إذ ذاك فى سن التسعين ، وعوفا فى سن الثلاثين

نتائج

وبهذا ينتج أن

١ ـ هذا الشاعر الأودى كان قبل الهجرة بنحو ٢٠٠ سنة فى ذروة قوته الجسمية .

٢ ـ وأن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠م) ، فلو صدقنا ما يقال من أنه توفى فى أيام عمرو بن هند ـ وقد حكم من ٥٦٣ ـ ٥٧٨م ـ وافترضنا أنه توفى فى السنة الأولى من حكمه ، لامتد عمره من ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠م) إلى ٥٦٣م وبذا يكون قد بلغ من العمر ١٧٣ سنة فهل هذا ممكن ؟ الشعراء يؤيدونه ، ولكن من العلماء من ينكره ، وفى الامكان أن يكون قد عاش نحو ١٥٠ سنة ، أما الثلاثة والعشرون الزائدة على الأعوام ، فسببها أن أباه أو أحد أجداده كان من المعمرين كذلك ، وأنجب من بعده فى سن متأخرة ، فطرح ٢٣ سنه من عمره على عمر والده مثلا ممكن ، هذا إذا لم تصدق أنه عاش ١٧٣ سنة

(٣) فليس بصحيح بعد هذا أنه أدرك سيدنا عيسى ، وليس بحق أنه كان قبل الهجرة بنحو ٤٤٠ سنة ، وهى التى أوحى بها دليل النسب ، بل

الصحيح أن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ سنة قبل الهجرة ، (٣٩٠م) .

شعره :

بالاطلاع على آثاره الشعرية فى ديوان شعره ، نجدها أكثر من ٢٠٠ بيت ، فى ثلاثين بين مقطوعة وقصيدة ، وهى فى جملتها ، سهلة الألفاظ ، واضحة المعانى ، لينة الأسلوب ، غنية بالحكم والأمثال والعظات ، وحسبه شهادة عبدالله بن الزبير له ، فإنه قرأ قوله :

بلوت الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ذى قيل وقال
ولم أر فى الخطوب أشد هولا وأصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا فما شى أمر من السؤال !

فلم يكد ينتهى منها حتى قال : «هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب» !

وأطول قصائده ، منها قصيدة فى ٣١ بيتا مطلعها :

أما ترى رأسى أزرى به . . .

وثانية فى ٣٠ بيتا مطلعها :

إن ترى رأسى فيه قَزَع وشواتى خلة فيها دوار(١)
أصبحت من بعدلون واحد وهى لونان وفى هذا اعتبار !

و (ثالثة) فى سبعة عشر بيتا منها :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ماأفسدوا عادوا

وتعد هذه القصيدة من حكم العرب وآدابها الرائعة .

و (رابعة) فى تسعة أبيات قالها لمناسبة انتصار قومه « بنى أود » على « بنى عامر » ، وكان بوده أن يقود الجيش لولا أنه مرض مرضا شديداً ،

(١) « قزع بفتح القاف والزاى » . سحاب ويقصد أنه شاب لان القزع السحاب والمقصود هنا السحاب الذى اختلط أبيضه بأسوده (والشواة) جلدة الرأس ، و (دوار) دوران الرأس

فأناب عنه « يزيد بن الحارث الأودى » .

ومن هذه القصيدة :

ألا يالهف لو شهدت قنـــاتى قبائل عامر يوم الصليب . . .

و (خامسة) فى ثمانية أبيات . . . وبهذه وأمثالها يتضح أنه من شعراء القصائد ، وأنه أقدم من مهلهل ، وأشبه الشعراء القدامى به فى شرف أسلوبه ورقة نسجه ، ولين لفظه ، وترى حكمه الشاعر المزروعى : « الأضبط بن قريع » وفى دار الكتب المصرية ديوانه بخط مغربى رقم ١٢ ش / وشرحه

أيهما أسبق صاحبه :

بدون نظريتى يصعب الحكم أيها السابق ، وأيهما المسبوق ، إلا إذا كان ذلك رجما بالغيب ، أما بعد تأسيسى قواعدها ، فإنه يسهل علينا أن نحكم عن ثقة واطمئنان ، أن الشاعر المزروعى أقدم بنحو قرن ، إذ أنه كان فى سن الأربعين فى نحو ٣٠٠ سنة قبل الهجرة ، أما الأفوه فقد كان فى هذه السن فى نحو ٢٠٠ قبل الهجرة ؛ لذا لا تثريب علينا إذا حكمنا أن الأفوه أحدث ، فهو المسبوق بكثير من معانيه فى الحكمة ، ولا مرية فى أن أصفى معين منه اغترف الأفوه كان شاعر المزارعة ، بل شاعر تميم كلها فى الجاهلية : « الأضبط بن قريع » ، وليس من الضرورى أن نستشهد لما يؤيد هذا ، فالمجال لا سعة فيه ، وليس المقام للتفاضل ، بل أيهما أقدم .

أى شعراء القصيد أقدم ؟

هؤلاء الشعراء العشرة الذين تصارعت فى أقدميتهم آراء القدماء ، لا اعتمادا على قاعدة مشهورة بينهم ، بل اعتمادا على السماع أو الترجيح ، أصبح فى مكنتنا بعد اليوم أن نعرض الجميع على نظريتى ، فى تحديد الزمن الجاهلى ، وقد انتهيت من تحقيق زمن كل منهم فى موضعه ، وأعيد هنا ترتيب هؤلاء ، وأبدأ بأقدمهم وهم :

جدول شعراء القصائد بحسب ترتيبهم الزمنى

العدد	الشاعر	الميلاد: قبل الهجرة	الميلاد: قبل الميلاد	ملاحظات
١	ذؤيب التميمى العدنانى	٤٢٥	٢١٠	له ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية أدب رقم ٨٤٥
٢	لقيط بن يعمر الايادى العدنانى	٣٤٦	٢١٧م	
٣	الاضبط بن قريع المزروعى العدنانى	٢٧٦	٣٥٥	
٤	ضمرة الكنانى العدنانى	٢٧٢	٣٥٩	له فى دار الكتب المصرية ديوان بخط مغربى رقم ١٢ ش / وشرحه
٥	الافوة الاودى القحطانى	٢٤٠	٣٩٠	
٦	أبو دؤاد الايادى العدنانى	٢٣٣	٤٠٦	
٧	المرقش الاكبر الربعى العدنانى	٢١٦	٤١٣	له ديوان بدار الكتب المصرية أدب ٣١٣١ طبع ليدن سنة ١٩١٣
٧	عبيد بن الابرص الاسدى العدنانى	٢١٢	٤١٨	
٩	مهلهل الربعى العدنانى	١٨٠	٤٤٨	له ديوان بدار الكتب المصرية أدب ٣٣١٧ ونسخة أخرى ٣٣٥٧ طبع كمبريدج سنة ١٩١٩
١٠	عمرو بن قميئة الربعى العدنانى	١٨٠	٤٤٨	
١١	امرؤ القيس الكندى القحطانى	٩٦	٥٢٩	له ديوان مشروح بين دواوين الشعراء الجاهليين الستة مخطوط ١٨ ش و ٧ نسخ أخرى أرقامها ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٣١٤٦، ١٠٦٤، ١٠٦٥ و ١٥ ش

أشهر شعراء المقطوعات والقصائد

ترتيبهم بحسب أقدميتهم

العدد	الشاعر	الميلاد: قبل الهجرة	الميلاد: بعد الميلاد	في سن العشرين: قبل الهجرة	في سن العشرين: بعد الميلاد
١	أعصر بن سعد القيسي العدناني	٥٦٠ ق	٧٩ م	٥٤٠ ق هـ	٩٩ م
٢	ذؤيب التميمي العدناني	٤٣٥ »	٢٠ »	٤٠٥ »	٢٣٠ »
٣	الملك جذيمة الوضاح القحطاني	٤٠٠ »	٢٣٤ »	٣٨٠ »	٢٥٤ »
٤	المنذر بن عمرو بن تميم العدناني	٣٩٨ »	٢٣٦ »	٣٧٨ »	٢٥٦ »
٥	لجيم بن صعب الربعي العدناني	٣٦٠ »	٢٧٣ »	٣٤٠ »	٢٩٣ »
٦	لقيط بن يعمر الايادي العدناني	٣٤٦ »	٢٨٧ »	٣٢٦ »	٣٠٦ »
٧	الامير زهير بن جناب الكلبي القحطاني	٢٩٦ »	٤٢٢ »	٢٧٠ »	٣٠٥ »
٨	الاضبط بن قريع التميمي المزروعي	٢٧٦ »	٣٥٥ »	٢٥٦ »	٣٧٦ »
٩	ضمرة الكناني العدناني	٢٧٢ »	٣٥٩ »	٢٥٢ »	٣٧٨ »
١٠	الافوه الاودي القحطاني	٢٤٠ »	٣١٠ »	٢٢٠ »	٤٠٩ »
١١	الملك بهرام جور الفارسي	٢٢٩ »	٤٠٠ »	٢٠٩ »	٤٢٠ »
١٢	ابو دؤاد الايادي العدناني	٢٢٣ »	٤٠٦ »	٢٠٣ »	٤٢٦ »
١٣	المرقش الاكبر الربعي العدناني	٢١٦ »	٤١٣ »	١٩٦ »	٤٣٢ »
١٤	عبيد بن الابرص الاسدي العدناني	٢١٢ »	٤١٨ »	١٩٢ »	٤٣٦ »
١٥	ابن حذام القحطاني	٢٠٠ »	٤٢٨ »	١٨٠ »	٤٤٨ »
١٦	مهلهل بن ربيعة الربعي العدناني	١٨٠ »	٤٤٨ »	١٦٠ »	٤٦٧ »
١٧	عمرو بن قميئة الربعي العدناني	١٨٠ »	٤٤٨ »	١٦٠ »	٤٦٧ »
١٨	دويد بن زيد القضاعي القحطاني	١٥٦ »	٤٧١ »	١٣٦ »	٤٩١ »
١٩	المستوغر التميمي المزروعي العدناني	١٣٠ »	٥٠٦ »	١٠٠ »	٥٢٥ »
٢٠	امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية	٩٦ »	٥٤٩ »	٧٦ »	٥٤٩ »

مناقشة رأى الدكتور طه حسين :

بسطت فيما مضى أدلتى على أقدمية عشرين شاعرا فى الجاهلية ، منهم ١٢ عدنانيون : أربعة من ربيعة أخت مضر ، وثمانية من مضر ، و يمنيون ، وشاعر واحد فارسى من شعراء المقطعات واخترت هؤلاء دون غيرهم ، فبسطت أقدميتهم ، وظروفهم التاريخية والأدبية ، لأنهم - ماعدا اثنين اخترتهما لبيان مافات القدماء — هم المحور الذى تجمعت حوله أقوال البحثة قديما فى شعراء المقطعات وشعراء القصائد :

أما الدكتور طه حسين فلا يعترف لأحد منهم بوجود ، أو على الأقل هو يشك فى وجودهم ، وإن كان قد استثنى منهم امرأ القيس من شعراء اليمن ، وعبيد بن الأبرص من شعراء بنى أسد المضريين ، وعمرو بن قميئة ومهلهل بن ربيعة من شعراء ربيعة .

وهذا هو الأمر الأول الذى أخالفه فيه مستنداً إلى ركن شديد من القدماء والحدثاء والتاريخ الأدبى والسياسى .

وإنى لأشعر بالغبطة إذ أرانى تفردت بمخالفة الدكتور فى قوله :

(١) « إن أعصر بن سعد بن قيس عيلان - إن عاش - فقد عاش فى زمن متقدم جدا ، أى قبل الإسلام بعشرة قرون »(١)

إذ قد برهنت هنا فى هذا الكتاب صفحة ١٣٦ ، ١٣٧ على أن سعدا هذا ولد حوالى ٥٦٠ قبل الهجرة ، بناء على القاعدة التى ابتكرتها ، والتى أرجو أن يشرفنى الدكتور باعترافه بها ، وخلاصتها أن عمر الجيل النسبى ٤٠ سنة ، ولو جاريت زعيم العمداء ، واتخذت من تقديره هذا رأيا له فى عمر الجيل ، لبلغ عنده نحو ٧٧ سنة ، إذ أن من أعصر إلى عدنان سبعة أجيال كما تقدم ، فمنه إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة عند المضريين ١٣ جيلا ، وبضربها فى ٤٠ - على رأيى - ينتج أن سعدا فى سن الأربعين كان فى سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، فميلاده كان حوالى سنة ٥٦٠ ق هـ ، وعلى رأى الدكتور يكون

(١) فى الأدب الجاهلى ص ١٦٠ نقلا عن ابن سلام فى طبقاته .

زمن سعد ناتج ضرب ١٢ × ٧٧ = نحو ألف سنة التى قال بها ، فميلاده على رأيه كان حوالى سنة ١٠٠٠ + ٧٧ = ١٠٧٧ ق هـ أى قبل أن يخلق عدنان الجد الحادى عشر لسعد بنحو ١٧٧ سنة . أى إن الفرع سبق أصله فى الوجود !!

وإذا كانت أقدمية سعد ستتقهقر من سنة ٥٦٠ إلى ١٠٧٧ ق هـ ، فإن أقدمية عدنان ، ستتبعها فى التقهقر بنفس النسبة ، أى من نحو ٦٠٠ سنة ق هـ على نظريتى ، إلى نحو ١٧٤٣ على نظريته .

مثال آخر يؤيد وجهة نظرى : المدة الحقيقية من إبراهيم باشا إلى فاروق الأول سنة ١٩٤٩ نحو ١٦٠ سنة ، يقابلها ٤ أجيال ، مثلها إبراهيم ، وابنه إسماعيل وابنه فؤاد ، وابنه فاروق .

وعلى نظريتى تكون المدة ٤ × ٤٠ = ١٦٠ سنة وهو عدد مطابق للحقيقة ١٠٠ ٪ ، وعلى نظرية الدكتور ٤ × ٧٧ = ٣٠٨ سنة !

وبذا يتبين أن المدة التى قدرها لأقدمية سعد مبالغ فيها ، وأقرب إلى الحقيقة أن تكون فى القرن السادس قبل الهجرة - على رأيى - بدل أن تكون فى القرن العاشر قبلها - على رأى أستاذنا -

(٢) وأخالف الدكتور ثانيا فى تحديده زمن إسماعيل بنحو ١٥ قرنا قبل الإسلام (١) أى نحو ٩ قرون قبل المسيح ؛ إذ قد أوضحت فى هذا الكتاب صفحة ٤٣ أن من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا . ومن عدنان إلى عصر النبوة - فى المتوسط - ٢٢,٦٥ جيلا ، فالفترتان ٦٢,٦٥ جيلا مدتها - على رأيى - ٦٢,٦٥ × ٤٠ = نحو ٢٥٠٦ سنة ق هـ ، وهذه توافق القرن التاسع عشر قبل ميلاد المسيح ، ومما له دلالته فى تدعيم نظريتى أن هذا التاريخ هو الذى حدده المحققون من مؤرخى الغرب العصريين لتاريخ إسماعيل ، وبذا يتبين أن ربط إسماعيل بالقرن ١٥ قبل الإسلام - فى رأى الدكتور - ينقص عن تحديد

---

(١) فى الأدب الجاهلى ١٨٩ و ١٩١

المؤرخين المصريين فى الغرب أولا ، وعن تحديدى بناء على نظريتى ثانيا بأكثر من عشرة قرون !.

فلو أردت أن أنتزع لبحاثتنا رأيا آخر فى عمر الجيل النسبى - غير رأيه الذى أبداه فى زمن أعصر بن سعد بن قيس عيلان -

لتبين أنه أقل من ٢٤ سنة ، وذلك بقسمة ١٥ قرنا قبل الإسلام - التى حددها - على عدد الأجيال من إسماعيل إلى عصر النبوة ، وهو ٦٢٫٨٥ جيلا ! فبأى نأخذ ؟ : أبجعل عمر الجيل ٧٧ سنة وهو الذى أبداه فى تحقيق تاريخ أعصر بن سعد ، أم بأقل من ٢٤ سنة وهو العمر الذى رآه للجيل فى تحقيقه زمن إسماعيل ؟

مما لا شك فيه أن الدكتور لم يرد وضع قاعدة لعمر الجيل فى حديثه عن زمنى أعصر بن سعد وإسماعيل النبى ،

إنما هما رأيان دعت إليهما ظروف البحث، وأكبر ظنى أن أستاذ الأدباء الدكتور طه ، لو سئل الآن بعد بضع وعشرين سنة من تأليفه كتابه « فى الأدب الجاهلى » لغير كثيرا من آرائه التى أبداها هناك، ولكان منها تزييف أحد العمرين اللذين قدرهما لعمر الجيل، ولتفضل على بعد هذا بموافقته على رأيى - وأنا الجندى المجهول - فى تقديرى عمر الجيل النسبى بأربعين سنة ، وهو ما أيدته باثنى عشر برهانا ، متوجة برأى التوراة أولا والقرآن أخيرا ، وليس هذا بدعا من حضرته فهذه شيمة العلماء من قديم لا يتمسكون برأى ، إلا ريثما يعثرون على رأى آخر أوضح حجة وأشرق فكرة متابعة لنشاطهم المتجدد ، ولولا هذا ما تقدمت العلوم والفنون والآداب، وما رأى أدباء العالم نابغة كالدكتور طه، هبة النيل ، ونخر الجيل .

٣ — وأخالفه ثالثا فى قوله : كانت ربيعة عدنانية ، ولكنها لم تتكلم لغة قريش قبل الإسلام (١) أو لغة القرآن لأنهما فى رأيه واحد كما صرح

---

(١) فى الأدب الجاهلى صفحة ١٩١

بهذا مرارا وهو ما أخالفه فيه .

فلما كان الإسلام كان استعرابها أيسر وأسرع ـ أى من استعراب أهل اليمن ـ ومعنى هذا أن ربيعة قبل الإسلام قضت عليها الظروف أن تستعجم ، فيكون لسانها أعجميا لا عربيا ، ولم تصبح لهجتها عربية إلا بعد الإسلام !

وليعذرنى الدكتور إذا لم أستطع هضم هذا المذهب ، إذ لا معنى لأن تنفرد ربيعة عن جميع القبائل العدنانية لأن فى هذا تجاهلا لا لصلة النسب ، وصلة الدم ، وصلة الجوار ، وصلة العادات والتقاليد والثقافة العامة وصلة التاريخ فيكون لسانها أعجميا ، ولسان القبائل العربية قاطبة عربى .

٤ ـ وأخالفه رابعا فى إنكاره شعراء ربيعة وقحطان قبل الإسلام (١) ، ونفيه كل شعر ينسب إليهم ، لأن هؤلاء فى لسانهم من الأعاجم ، فليس معقولا أن يقولوا شعرا باللهجة التى نسبها إلى مضر ـ لا إلى عدنان ـ

وردى على زعيم الأدباء من جهتين :

(الأولى) : أكان هناك مانع أن يقوم هؤلاء اليمنيون والربعيون بتعلم اللغة التى نزل بها القرآن ، ثم يصير منهم شعراء بهذه اللغة ، فيزاحمون كل من يقولون الشعر بها فى الجاهلية ؟ ألسنا نجد مصريين ومصريات الآن يقرضون الشعر باللغة الفرنسية مثلا وليسوا فرنسيين ! .

(الثانية) ألم يقرر الدكتور فى كتابه (٢) أن فى فرنسا ـ إلى جانب اللغة الفرنسية لغات إقليمية لها نحوها ، ولها قوامها الخاص ، ولها شعرها . ومع ذلك فأهل الإقليم إذا أرادوا أن يظهروا آثارا أدبية أو علمية قيمة ، يعدلون عن لغتهم الإقليمية إلى اللغة الفرنسية ، وقليل جدا من يذهب مذهب « مستترال » فيكتب فى لغته الإقليمية الخاصة . !!

فماذا يمنع أن يكون لأدباء ربيعة ـ إلى جانب لغتهم الاقليمية ـ لغة أخرى يشاركون فيها سائر أدباء العرب من القبائل الأخرى ! .

---

(١) صفحة ٢٠٠ (٢) صفحة ١٠٥

(٥) وأخالفه خامسا فى تعبيره بالشعر المضرى واللغة المضرية ، دون التعبير بالشعر العدنانى واللغة العدنانية ، إذ لماذا تعمد أن ينسب اللهجة إلى مضر دون ربيعة وهى أختها ؟ أليس فى هذا ترجيح بلا مرجح ؟ ولماذا لم ينسبها إلى أصل القبيلتين وهو أولى ؟ أليس أبوهما هو نزار ؟ وجدهما الثانى هو عدنان ؟ وربيعة ومضر من عرب الشمال ؟ والاختلاط بينهما لم ينقطع فترة من الفترات الجاهلية الطويلة ، فى سلم أو حرب ؟ والجزء الشمالى من جزيرة العرب فى البحرين وبين النهرين طالما ارتج تحت أقدامهم فى حروبهم ، وطالما سجل التاريخ فيها أيامهم ، مرقشة بروائع أشعارهم مفتخرين أو محرضين ؟ ولم تهاجر ربيعة إلى بقعة خارج شبه الجزيرة ؟ ولم تهجر قارة آسيا إلى قارة أخرى كإفريقية أو أوروبة ، حتى كنا نتخيل نسيانها لغتها العربية ، فنعدها من الأعاجم ، وهو ماصرح به الدكتور ا .

حسبى هذا الآن حتى أبرهن لعميد الباحثين فى القسم الرابع من هذا الكتاب ، أنه ما كان ينبغى له أن ينسى طبيعته ، فيعد نفسه من المحافظين بعد عشرين سنة ، عندما جاراهم ، فقرر أن القرآن نزل بلهجة قريش ، وهو الأمر حمل الذى بعض المفكرين من الأدباء أن يشكوا فيه الآن ، ونهضت اليوم لأبرهن على أن هذه النسبة حملت على قريش حملا ، زلفى إلى خلفائها وولاتها . .

والدنيا إذا أقبلت على قوم أعطتهم بحاسن غيرهم

المستشرقون والأدب الجاهلى

إذا عز على بعض رجال الأدب العربى أن يروعهم زعيم الأدب العربى ، بتلك الحرب الخاطفة الشعواء ويختار لها ميدان الأدب الجاهلى ، ويثخنهم جراحا ، مرة بالإنكار ، ومرة بالتشكك فى ذلك الأدب وفى رجاله ، فعليهم أن يتجلدوا ، فإن الحقيقة لا يحلو معدنها ، ولا ينشر فضلها ، كاصطكاك الآراء الحرة ، مهما تكن متطرفة فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض وعليهم أن يذكروا جيدا بجانب هذا أن بين المستشرقين من يقدرون

الأدب الجاهلى ، ويعترفون بفضله . وصدق دلالته ، وأنهم مابرحوا يلتمسون مرآة الحياة الجاهلية فى الشعر الجاهلى ، لأنه صورة صادقة لنفوس قائليه وعقولهم ، وأن مبالغة العرب فى المحافظة على دمائهم وأصولهم وأعراقهم ، وجهت أنظار العالم كله إليهم ، إعجابا بهم ، فقرروا أنهم لم يعهدوا أمة تحافظ على سلسلة أنسابها محافظة الأمة العربية عليها ، مهما طالت السلسلة ، أو تعقدت ، وأن فى فرنسا وغيرها لغات إقليمية خاصة بكل إقليم ، ولغات عامة بين الأدباء الذين يريدون أن يسمع آثارهم أكبر عدد ممكن فى كل الأقاليم ، فليس هناك مايمنع أن تطبق هذه القاعدة على العرب من أقدم العصور فى الجاهلية ، وليذكروا جيداً فضل كثير من أولئك المستشرقين وبحثة الغربيين أمثال : أدور براو نلشر ، ورينان ، ونيلكسون ، وثوربيكه ، ونولدكه ، وبرسفال .

وأن هؤلاء الأحرار المفكرين لم يفتهم أن يطبقوا أحدث النظريات العلمية والأدبية على العرب ، فاقتنعوا أخيرا بمنزلتهم الأدبية ، وسجلوا صدق كميات هائلة من الأدب العربى الجاهلى ، منظومه ومنثوره ، وأن تلك القصائد والمقطوعات المحفوظة من شعراء الجاهلية أوثق المصادر للغارات البدوية ، وعادات العرب وأخلاقهم وحياتهم وأيامهم .

وأن تغنى العرب بطيب أعراقهم ، ومكارم أخلاقهم ، ألزمهم أن يحفظوا كل ما أثر عن قبائلهم من شعر أو نثر ، وأن ينبث الرواة بينهم كما انبثت محطات الإذاعة الآن ، أو الصحف الحزبية فى العالم المتمدين ؛ يرددون ما سمعوا ، وينشرون ما حفظوا ، ويملئون سماء البيد وأرضها بتلك الأغاريد العذبة ، والمفاخر الخالدة .

وأن مبلغ الذاكرة عند هؤلاء الرواة مما لا يفوقه شىء فى أخبار اليونان والرومان وغيرهم ، وأن حفظة القرآن المنتشرين فى كل بقاع البلاد الإسلامية الآن ، ولا سيما فى البلاد العربية لخير النماذج التى تذكر ، لتصديق ما يؤثر

عن رواة الجاهلية والإسلام من قوة الحافظة والذاكرة .

وأن « سانت نيلوس » أحد حكام القسطنطينية ، لما ترهب فى أواخر القرن الرابع للمسيح ، سمع أناشيد العرب القديمة فى صحراء سينا ، فأثبت هذا فى مذكراته ، وكتب المؤرخ اليونانى « سوزومين » فى القرن الخامس الميلادى تاريخا للكنيسة ، ومما جاء فيه أنه فى القرن الرابع للمسيح تغلبت إحدى قبائل العرب على جيوش الرومان فى فلسطين ، فنظم شعراء العرب الأناشيد والأغانى ، وتغنوا بها تسجيلا لذلك الحادث السعيد ، والنصر المؤزر .

(٤) القسم الرابع

اللهجة التى نزل بها القرآن ليست قريشية وبراهين الثانية على هذا

من القضايا الأدبية التى حولها السابقون عن معناها الأصلى فعرفت على الرغم من هذا كيف تحتل نفوس المسلمين احتلال العقيدة الدينية ، تصدى علماء العصر العباسى — عند وضع العلوم الدينية والعربية — للأثر : « نزل القرآن بلهجة قريش » وقد تحدرت هذه القضية من العصر العباسى الأول إلى العصر العباسى الثانى ، ومنهما إلى ما تلاهما من عصور حتى عصرنا الحاضر ، وكلما تحدرت عصرا زادت حصانة ! واكتسبت من مظهرها الدينى قداسة ! فصار الخارج عليها كالخارج على مقرر صريح الدلالة من أمور الدين ، ولا أحاشى من المسحورين به جمهرة المتعلمين ، فإن العقيدة الدينية أسبق من الثقافة الأدبية ! ولم أر ذا جرأة من المفكرين أعلن شكه فى هذه القضية ، فضلا عن نقضها ، بل محاولة نقضها ، مع أنها ليست من الدين ، ولا من مسائله ، بل هى قضية لغوية أو أدبية أو تاريخية لا يضير الدين مطلقا ، ولا يؤذى عقيدة المسلمين أن يصدق قول القدماء إن القرآن نزل بلهجة قريش ، أو قول المذهب الجديد : إن القرآن نزل باللهجة العامة التى كان يتفاهم بها أدباء العرب وزعماؤها كما

يتفاهم قادتنا الآن فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والعربية السعودية واليمن والمغرب ، بتلك اللهجة الأدبية الخاصة بالمثقفين وحدهم ، أما عامة الشعوب العربية فلكل لهجته ، بل قد تتعدد لهجات الإقليم الواحد كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وبذا نجد المثقفين الآن من العرب لهجتين عربيتين كما كان لأدبائهم فى الجاهلية .

ومع مافى هذا البيان من الوضوح ، فإنى أتوقع — من الكثرة الكاثرة — كل مَريش من السهام ، ولكن ذلك لن يزيدنى إلا استمساكا برأيى ، حتى يقوم واحد من المفكرين المختصين ، فينقض رأيى بدليل قطعى ، كما نقضت عقيدة اللهجة القريشية بأدلة كثيرة ، جعلت فى ختامها دليلا قطعيا هو « نقش النمارة » وحسبك دلالة على قيمته التاريخية وحدها ، أنه أقدم من ثمرات المجد القريشى بأكثر من خمسين سنة !

وإذا كانت الظروف لم تسعفنى بكل ما أريد من البراهين القطعية ، فالمستقبل كفيل بإتمام الناقص ، وإقناع الجاحد ، والفكرة الصالحة كالبذرة الصالحة ، صادفت تربة خصبة ، إنها لابد أن تشق طريقها إلى الحياة ، مسخرة كل مايحيط بها من عناصر ، حتى تسمو فوق مايحيط بها من التربة باسقة نامية ناضرة .

إن رأيى الذى كونته بعد طول النضال ، بين تربيتى الدينية الأولى ، وحريتى رأيى أخيراً ، أن اللهجة التى نزل بها القرآن ليست قريشية ، بل هى اللهجة القديمة التى اتخذها أدباء العرب لسانا لهم ، وبتعبير آخر هى اللهجة العامة بين خاصة العرب ، وهى التى كانوا يتفاخرون بها فى سوق عكاظ ، ويتنافرون ، ويتعاظمون ، ويتحاكمون ويتهادنون فإذا رجعوا إلى قبائلهم تركوا تلك اللهجة الأدبية التى امتاز بها الأدباء والخاصة ، وتفاهموا فى كل أمورهم بلهجتهم القبلية ، إذ كان لكل قبيلة لهجتها ، وكثرة القبائل مما يحتم كثرة لهجاتها فإذا ذهب خاصتهم إلى سوق عكاظ ، تركوا لهجتهم الخاصة ، وشرحوا مايريدون

باللهجة الأدبية التى يفهمها زعماء العرب وخاصتهم من كل القبائل ؛ فيكون هذا أنشر لدعوتهم ، وأذيع لقضيتهم .

رأى الدكتور طه فى لهجة قريش :

إن تاريخ هذه القضية كما قدمت يرجع إلى ما قبل العصر العباسى ، وقد تمكن علماء هذا العصر بمهارة عجيبة أن يسجلوها بين ما سجلوا من قضايا كثيرة ، دون تمحيص إذ لم يكن العصر عصر تنقيح ، بل كان عصر جمع وتدوين ، وما فعلوا هذا إلا زلفى إلى الخلفاء العباسيين ، وولائهم ، وأمرائهم ؛ شأنهم فى كل ماله علاقة بقريش خلفاء الله فى أرضه ، وعلى توالى الزمن أصبحت هذه القضية كحقيقة لا تقبل الشك ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، حتى وصلت هدية مقدسة من الماضى إلى الحاضر .

وكنت أنتظر أن ينهض جرىء عالم كالدكتور طه حسين ، لتصحيح الوضع ، وتعديل الأساس وتحرير هذه القضية التى اكتسبت من الدين قداسته ، دون أن يكون لها من الدين إلا الطلاء الخارجى ، ولكن كانت دهشتى شديدة عندما رأيته فى كتابه : فى الشعر الجاهلى وفى الأدب الجاهلى يقلب كل معلوماتنا عن العصر الجاهلى رأسا على عقب ، ويأتى ببنيانها من القواعد ، دون أن يجرؤ على مس هذه القضية ! بل كان عجب الجميع أشد إذ وجدوه فى هذه القضية وحدها من المحافظين - وذلك خلاف طبيعته - بل لسانهم الباسط لحجتهم ، والناشر لقضيتهم !

وحسبك شاهداً لما أدعى أنه كرر نسبة اللغة إلى قريش فى كتابه الأخير أكثر من ١٤ مرة من صفحة ٢٠ — ٣٥٠ ، ولا يخفف من هذا أنه فى غير هذه المواضع كان ينسب اللهجة العربية العامة إلى مضر والمضريين ، وهم أقدم من قريش ، كما نسبها إلى القرآن وهذه كان يقصد بها لهجة قريش ، كما صرح بهذا فى صفحة ١٠٧ .

وكأنه شعر بالحرج لنسبته اللهجة إلى قريش فى كل هذه المواضع دون أن يؤيده ببراهينه فقال : وأقدم النصوص الصحيحة التى عندنا من هذه اللهجة إنما هو القرآن .

(١) فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة .

(٢) وأمام قرشية النبى ﷺ من جهة أخرى .

(٣) وأمام نزول القرآن فى قريش من جهة ثالثة .

(٤) وأمام فهم قريش للفظ القرآن فى غير مشقة من جهة رابعة .

(٥) وأمام اتفاق القرآن فى اللغة واللهجة ، مع ماصح من حديث النبى القرشى ، ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هى لغة قريش ،

أدلة أخرى لغير المركنور :

وقد يسوقك الحظ إلى بعض المدافعين عن لهجة قريش ، معتمدين على القياس المنطقى من جهة ، أو النقوش من جهة ثانية فتسمع قولهم :

(١) كل أدب يتوغل فى الجاهلية أكثر من ١٥٠ سنة ، ليس بلغة قريش ، فلا يستطاع فهمه ، ولكن هذه الآثار الأدبية التى بين أيدينا مفهومة ، فهى من لغة قريش .

(٢) وكل الآثار الفكرية التى باحت بها النقوش الأثرية إلى الآن فى جزيرة العرب ، ليس فيها أثر أدبى ، فهذا دليل على أن مابين أيدينا من آداب العرب ، لم يكن موجوا قبل قريش ، فكل هذه الآداب ثمرة غرسهم ، ونبعة خاطرهم . والقرآن من نسج هذه الآداب : سَدى ولحمة ، فهو بلهجة قريش نزل ، وبأسلوبها أعجز !! .

وبناء على هاتين القاعدتين ، أو هذين الدليلين نجد هؤلاء الذين اتخذوا من أنفسهم مشرعين أدبيين ، لا يعترفون بقدم أى أثر أدبى أساسه الرواية

قبل قريش ، لأن لهجتها - فى رأيهم - امتصت كل لهجة مغايرة لها ! فإذا قلنا لهم : إن الرواة أجمعوا على أن « ضمرة الكنانى » مثلا ، أو « أعصر ابن سعد بن قيس عيلان » ، أو « جذيمة الأبرش » أو « الأضبط بن قريع » . وأمثالهم ، لهم شعر مروى مسلسل ، تحدر على أفواه الرواة الأقدمين : راويا بعد راو ، وأن هؤلاء الرواة قبل « قصى » أول ملوك قريش ، وبانى مجدها قالوا : إن هذا مدسوس عليهم !! ويارعا بالغوا فى الإنكار فقالوا : إن هذا الشعر ، عليه مسحة الشعر العباسى ورواؤه ، ورقته وأناقته !! فهو شعر مصنوع !

وقد يجازفون فيدعون أن هؤلاء الشعراء وأمثالهم ؛ ليسوا إلا من تلاميذ المدرسة القريشية !

براهينى على أن القرآن لم ينزل بلهجة قريش :

ومن حسن الطالع أن بين يدى براهين كثيرة تؤيد مذهبى ، بعضها قطعى ، وسأكتفى فى هذه الطبعة بذكر براهين ثمانية :

البرهان المنطقى ، والقبلى ، والزمنى ، وإجماع الرواة ، وآراء علماء اللغات ، والنصوص القديمة ، وحكام سوق عكاظ كعامر بن الظرب ، ثم أتوج كل أولئك بتسع من الآيات القرآنية ، ثم أختتم الأدلة بنموذج من النقوش الأثرية ، فهى من البراهين اليقينية :

وسأحاول فيما يأتى بسطها سافرة كالصبح ، مسترسلة كالنسيم ، فى ثقة المؤمنين ، وثبات الأطواد :

(١) *الدليل المنطقى :*

لهجة قريش لهجة لا لغة مستقلة عن لغة العرب ، وفرق بين الأمرين . فاللهجة بين اللهجات فرع من فروع شجرة واحدة ، وهذه الفروع اشتركت فى الاستفادة - قبل كل شىء - من التربة ، ومافيها من أغذية ومياه وأملاح ، وماتحيط بها من أهواء وأضواء ، وكل فرع له من الخصائص ماللفروع

الأخرى ، غاية الأمر أن من الفروع السابق ، ومنها اللاحق ، وعدد الفريعات التى يغذيها هذا الفرع أكثر من التى يغذيها المسبوق .

وليس من الباحثين من ينكر أن اللهجات العربية ورثت عن أمها كثيراً من مقوماتها ، وخصائصها فى الأصوات ، وأصول المفردات ، بل التعابير ، والحكم ، والأمثال ، بل الخطب ، والأشعار ، والمصطلحات القديمة : اقتصادية ، أو دينية ، أو حربية ، أو اجتماعية .

ومن هذه اللهجات لهجة قريش فما قال باحث إنها مستقلة استقلالا تاما عن أخواتها أو أمها ، وهذا يقتضى أنها ورثت عن أمها ، وعن أخواتها السابقات ، واقترضت من عشائرها القربى ، واستعارت من كل ماراقها من لهجات القبائل من ألسنة شعرائها وخطبائها وحكامها وتجارها وعامتها وخاصتها فهل هى مع هذا مستقلة عن أخواتها ، منكرة لما ورثته عن الآباء والأجداد!!

(١) الدليل الفعلى :

أشهر قبائل العرب التى كان لها نصيب واضح فى الوضع اللغوى هى : « تميم » و « قيس » و « أسد » و « هذيل » و « سعد بن بكر » و « جشم بن بكر » و « نصر بن معاوية » و « ثقيف » و « بعض كنانة — أصول قريش — و « بعض الطائيين » فهذه القبائل العشر هى التى كان لها أكبر الفضل فى وضع تلك المفردات العربية ، والصيغ والعبارات والحكم والأمثال والأساليب . وإن كان للثلاث الأولى نصيب الأسد

وقصى أول ملوك قريش لم يبن مجدها الدينى والسياسى والاجتماعى إلا بعد أن فرغت تلك القبائل من أهم ماتحتاج إليه اللغة جملة وتفصيلا وكل قبيلة من هذه القبائل لم يفتها أن تضع لبنات ذهبيه فى ذلك الصرح اللغوى الشامخ

أفإذا جاءت قريش فى أعقاب هذه القبائل ، فراقها الروض وقد أزهر وأثمر ، وملأ الأرجاء بشذاه العطر ، فعن لها أن تسير فى ظلال تلك القبائل

التي سبقتها ، وتستعير منها أرق أساليبها ، وأخف ألفاظها ؛ وأحسن تعابيرها فتستعمله فى محادثات تلك القبائل وغيرها فتعلو شهرته ، ويكثر استعماله أزاء كان هذا كل ما أثر عنها من العمل ، تعطى نصيب الأسد ، ويتجاهل أساتذتها من القبائل والبطون والعمائر والأحياء !

إن هذه لقسمة ضيزى ، تأباها نفوس الأحرار ، ولا سيما فى عصرنا الذى كان أكثر توفيقا لتنقية الحقائق من شوائب الأوهام ، والآراء المتعمدة ، تعصبا للحاكمين ، كما اتسم بميسم الحرية ، وأهمها حرية البحث والرأى

نصيب قريش فى نظر الانصاف :

إن أقرب مظاهر الإنصاف ، أن نضم قريشا إلى القبائل العشر الماضية ثم ندعها تتقاسم شرف ذلك المجد ، وحينئذ لا نرى لها إلا جزءا من الفضل ، الذى شاء المتعصبون ، أيام الأمويين والعباسيين ، أن تستأثر به قريش وحدها ، وهذا لا يزيد على ٩,٥ ٪ نتيجة لقسمة ١٠٠ ÷ ١١

(٣) الدليل الزمنى

أما الدليل الزمنى فيدل عليه ، أن المدة من عصر النبوة ، إلى عدنان ، نحو ٩٠٠ سنة ، إذ من سيدنا رسول الله ﷺ إلى جده هذا اثنان وعشرون جيلا ، و ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، ومتوسط أجيال العدنانيين ٢٢,٦٥ جيلا ، فمدتها ٢٢,٦٥ × ٤٠ = ٩٠٦ سنة ، ومتوسط المدتين ٨٩٨ سنة أى تسعة قرون .

وقد أجمع المؤرخون على أن قريشا لم تتجمع ، ويصبح لها كيان واضح المعالم ، وشخصية لها احترامها وتفوذها وأمرها ، إلا من عهد قصى ، أول ملوكها ، فهو الذى مهد لجاهها الدينى ، ونفوذها الاجتماعى ، ثم استعمارها الاقتصادى .

بعد أن جمع فلولها، وأكثر عديدها، وأعز ذليلها، ولذا سمى « مجمعا » لتجميعها تحت راية واحدة، بعد أن كانت مشتتة تحت راية كنانة وغيرها.

وقد برهنت على أن من قصى إلى عصر النبوة نحو ٢٠٠ سنة، وقريش بل كل أمة إذا أصبح لها كيان مستقل، وحدود معروفة، لا يمكن أن تظهر آثارها، أو تجنى ثمرات ما غرست إلا بعد مرور حقبة، تطول أو تقصر بحسب قوتها، ومتوسط تلك الحقبة فى كل حال لا يقل عن خمسين سنة أى ابتداء من الجيل الثانى لتأسيسها.

فلو أن لقريش آثارا لغوية بالقدر الذى ظنن به المتعصبون لها، فى جاهليتها وإسلامها، ما كان لهذه الآثار أن تظهر إلا بعد خمسين سنة من قصى، وهذا يوافق سنة ١٥٠ قبل الهجرة، وهى التى جعلها الباحثون حدا لأقدمية الأدب الجاهلى، المبسوط بين أيدينا الآن.

ونسبة ١٥٠ : ٩٠٠ = ١ : ٦، وبتعبير آخر = ١٦,٦ ٪

وبموازنتنا هذه النتيجة وهى ١٦,٦ ٪، بالنتيجة السابقة التى دل عليها الدليل القبلى وهى ٩,٥ ٪ نجد الفرق كبيرا، ولكن عدد القبائل التى أسهمت فى الوضع اللغوى والتنسيق الأدبى مما أجمع عليه العلماء، أمار قم ٩٠٠ سنة الذى جعلته للمدة من عصر النبوة إلى عدنان، فهو الرأى الذى استنبطته من نظريتى. ورأى واحد أقل من آر.، وبناء عليه كان يجب أن لا نعتمد إلا على أن نصيب قريش ٩,٥ ٪ ولكن ثقتى فى نظريتى من ناحية، ومرضاة للقريشيين قديما وحديثا من ناحية أخرى تذكرنى بأن خير الأمور أوسطها، وأن قريشا يحسن أن يكون نصيبها متوسط هاتين النسبتين أى ٩,٥ + ١٦,٦ = ٢١ ÷ ٢ = ١٣ ٪ ولكل بنا مستقر، وستبوح النقوش الاثرية بما يؤيد مذهبى.

(٤) اجماع الرواة

(ا) وأما الدليل الرابع على أن غير قريش أولى بالفخر فى هذا الميدان

فإجماع الرواة فقد نقل إلينا السيوطي (١) أن قريشا كانت مع فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى أنك لا تجد فى كلامهم « عنعنة تميم » ولا « عجرفة قيس » ولا « كشكشة أسد » ولا « كسكسة ربيعة » (٢)

واختار الرواة هذه القبائل ، لأنها كانت أفصح ، ولها جهاد غير منكور فى الوضـــع اللغوى ، والتنسيق الأدبى ، فلو أنهم مع تعصبهم لم يصموا هذه القبائل بتلك الهنات لكانوا خطرا محققا يهدد قريشا فى فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، أما بعد أن وصموها بما تلقطوه من سقطاتها فان استعلاء قريش يجد له موضعا من الفخر ، ومتكأ من البرهان وقد نسى الرواة أو تناسوا أن فضل هذه القبائل على اللغة — مع تلك الهنات — أعمق من فضل قريش ، لأن تلك العيوب التى طفت فوق لهجاتهم أشبه بالزبد فوق لجج البحر المصطخب ، أو غبار المعارك الحربية يعلوهام الأبطال ، وغبار العمل خير من زعفران العطلة كما فى المثل أما قريش فلم يسجل لها التاريخ نضالا فى الوضع اللغوى ، لا لعيب فيها ، بل لأنها جاءت بعد أن بلغت اللغة كمالها ولكن سجله لتميم ، وربيعة ، وأسد ، وهوازن . . ويؤيد هذا :

(ا) ماروا ه (أبو عبيدة) أن ابن عباس قال : « نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وغير خاف أن من هؤلاء (بنى سعد بن بكر) الذين استرضع النبى ﷺ فيهم ، ونشىء التنشئة الأولى بينهم ، ولقن منهم أول دروس فى اللغـــة ، ولذا كان يفتخر ، متحدثا بنعمة ربه قائلا : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، وأنى نشأت فى بنى سعد بن بكر »

---

(١) المزهر ج ١ ص

(٢) مجالس ثعلب ١٠٠

وبنو سعد هؤلاء ممن قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء) : « أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم »

(ح) وقال (سيدنا عثمان) عند نسخ المصحف : اجعلوا المملى من (هذيل) والكاتب من (ثقيف) (١)

(ى) وقال السيوطى أيضا : « الذين نقلت عنهم اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان للعربى من بين قبائل العرب هم (قيس) و(تميم) و (أسد) فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ . وعليهم اتكل فى « الغريب » وفى « الإعراب » و « التصريف » ثم « هذيل » و « وبعض كنانة » و « وبعض الطائيين » — مع أنهم من عرب اليمن فهم قحطانيون لا عدنانيون — ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

فأين قريش بين هؤلاء !!

ما مثلها إلا مثل الطبعة الحادية عشرة من كتاب ، فالفضل فى تنقيح هذه الطبعة وامتيازها مرده إلى أنها استفادت من التجارب التى مرت بها ، وقريش بنت مجدها فى الأدب العربى على جهاد القبائل العدنانية : مضرية وربعية ، بل كذلك على جهاد بعض عرب القحطانيين .

فهل مع هذا ينسب إليها كل الفضل ، وينسى بناة المجد وأولو الفضل !!

فضل الرواة :

وكيف ينكر أحد فضل الرواة وهم الذين حفظوا كل شاردة وواردة لأيام العرب ووقائعهم وما قيل فيها من شعر أو خطب ، وما جرى من

---

(١) المزهر ج ١ ص ١٢٨

المفاخرات بين قبائلهم ، وكيف ضبطوا أنسابهم ، بل أنساب أفراسهم التى خاضوا بها غمرات حروبهم ، يستوى فى هذا صغراء الرواة وكبراؤهم ، وإذا كان فى أحدهم أو فريق منهم مطعن ، فليس من الانصاف أن نطعنهم جميعا ، لأن كل أمة ، بل كل طائفة، فيها الخبيث والطيب، والقوى والضعيف والتفاوت سنة من سنن الوجود ، فلم يكون محظورا بين الرواة ومارووا ! !

بين الروايات والنقوش :

أيشك منصف أنه لولا رواة العرب وفضلهم على التاريخ والأدب ، لكانت العربية من اللغات الميتة ، التى لا تعرف حقيقتها إلا من النقوش والأحجار !! إن مصدرين خير من مصدر ، ومصدر الرواية العربية قد يكون أصدق من مصدر النقوش .

ولهذا تعليل بسيط هو أن الرواة لكثرتهم كثيرا ما يختلفون باختلاف ظروفهم ، وبغربلة مارووا يتبين الحق من الباطل ، وتنجلى الرغوة عن الصريح ، (أما النقوش) فان مصدرها الحكومات غالبا وهى مصدر واحد ، فضلا عن أنها لا تنقش إلا مافيه مجدها ، أو ما هو عزيز عليها ، أو ما له علاقة بشعبها والأمم الأجنبية ، وقد يشتمل على ما يخالف الحق تمام المخالفة ، وكم وزارة فى أيامنا نسبت لنفسها كل فخر ، وربما وضعت أسسه فى عهد وزارة سابقة من حزب غير حزبها ، وكل مالهافيه أنها احتفلت بإتمامه !!

من النقوش ما هو زائف

وكم حدثنا التاريخ وهو يطرق حياء عن بعض الملوك قديما ، ومحوهم بعض آثار السابقين ، ثم نسبتها الى أنفسهم !! ولولا توافر الأدلة على هذا المحو والاثبات ، لضاعت الحقيقة فى طيات الأكاذيب .

ومن ساوره الشك فى هذا فليقرأ ماقرره (الأستاذ جيمس هنرى برستد) فى كتابه (١)

---

(١) تاريخ مصر ص ٢٧٧

(١) أن [سيتى الأول] كسا نقوش [أمنحتب الثالث] الحربية التى حفرها على قصره بالأحجار من الخارج .

(٢) وقرر بعد صفحتين أن [رمسيس الثانى] اغتصب الملك من أخيه وكان حكم من ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م . وفى أثناء حكمه محا اسم أخيه ولقبه ورسمه ، ورسم نفسه مكانه ووضع اسمه بدل اسمه ، ملقبا نفسه بولى عهد المملكة كذبا !

(٣) وقرر مرة ثالثة أن - رمسيس - أظهر جرأة غريبة محا بها كل أثر لجهود أخيه المعزول ، وفعل مثل هذا بكثرة فى آثار أخرى كثيرة !

(٤) وبعد ١٧ صفحة قرر أيضا أنه وسع (معبد الأقصر) بأحجار (المعبد الجرانيتى) البديع الذى شيده [تحتمس الثالث] من الأسرة ١٨ جاعلا وجه الأحجار المختومة بختمه من الداخل حتى لا ترى وكتب اسمه على كثير من آثار سلفه ، ونحلها نفسه زورا وبهتانا وليس معقولا أن ينفرد بعض ملوك مصر القديمة بهذا المحو والإثبات ، بل لا بد أن يكون لهم نظائر بين ملوك الأمم القديمة .

ومع هذا لم يتجرد واحد من المؤرخين لينعى عليهم صنيعهم ولو بعد أيامهم إلا بعبارات عابرة ، وجمل مقتضبة ، وما ذلك إلا أن للحكومات رهبتها ، وللملوك قداستها ، لهذا السبب وحده كانت النقوش فى حرز حريز من القداسة ، أما الأخبار المروية مشافهة ففى الغالب تكون مختصة بغير الحكومات والملوك ، فتروى بحرية كاملة ، والعبرة بمصدر الرواية ، فظهور أوجه الحق فيها أوضح من ظهوره فى النقوش وأخبارها .

رواة العرب :

فرواة العرب فى الجاهلية وصـــدر الإسلام كانوا أكثر من رواة الأمم الأخرى ، وأوعى حافظة لأميتهم ، واحترام العرب لذكرياتها أوجب عليها احترام رواتها ، فتنافس الرواة فى هذا المجال ، لا بكثرة ماحفظوا ، بل كذلك بصدق ما نقلوا .

نموذج من ورع الرواة

وأكرر مرة أخرى أن الرواة كغيرهم من جميع الطوائف : فيهم الخبيث والطيب ، والثقه المحترم والجرىء المنبوذ ، فليس وجود واحد من الوضاعين دليلا على أن الرواة كلهم هكذا كما أن العثور على الراوية الثبت لا يصح أن يتخذ دليلا على أن كل الرواة عدول أثبات والحق بين ، والباطل بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، وقد أخبرنا التاريخ الأدبى أن المشتبهات عند الرواة كان يفصل فيها (الأعراب الخلص) عند التحاكم إليهم أو الاستئناس برأيهم كما حدث فى اختلاف « سيبويه » و « والكسائى » بحضرة الرشيد فى قصة « العقرب والزنبور » . وربما كان فى هؤلاء أيضا من يتحيزون .

١ — الكسائى :

ومن يفتخر بهم الرواة (الكسائى) قال الفراء : دخلت عليه يوما وهو يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال :

هذا الملك « يحيى بن خالد » يوجه إلى ليحضرنى ؛ فيسألنى عن الشىء ، فإن أبطأت فى الجواب لحقنى منه عنت !! وإن بادرت لم آمن الزلل !!

فقلت له : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ! قل ماشئت فأنت الكسائى!

فأخذ لسانه وقال : قطعه الله إذن ! ! إذا قلت مالا أعلم ! !

وكثير من الرواة كانوا كالكسائى فى صدق لهجته ، وأمانته ، وتحرى وجه الصواب .

٢ — الأصمعى :

ومن مفاخرهم « أبو سعيد الأصمعى » المتوفى ٢١٥هـ (٨٣٠م) فقد كان مضرب المثل فى الرواية ، وشدة التحرى ، والامعان فى الاحتراز عند تفسير ماله علاقة بالكتاب والسنة .

ومما يدل على منزلته أنه كان يحفظ ١٦,٠٠٠ أرجوزة غير الشعر والأخبار، وكان فى علمه نظريا عمليا ، وشاهد هذا أنه حضر يوما ، و « أبو عبيدة : معمر بن المثنى » عند (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد بعد جعفر البرمكى ، فسأل الفضل « الأصمعى » :

كم كتابك فى الخيل ؟ فقال : مجلد واحد .

فسأل « أبا عبيدة » عن كتابه فقال : خمسون مجلدا .

فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك كل عضو منه وسمه ، فقال لست بيطارا ! ! وإنما هذا شىء أخذته عن العرب : .

فقال للأصمعى : قم يا أبا سعيد وافعل أنت ذلك ، فقام وأمسك ناصية الفرس وشرع يمسك عضوا عضوا وينشد ماقالته العرب فيه إلى أن فرغ منه ، فأهدى إليه الفرس فكان إذا أراد أن يغيظ « أباعبيدة » ركبه إليه .

٣ — أبو محلم الشيبانى :

ويقرب من هذين « أبو محلم الشيبانى » المتوفى سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) .

وكان نادرة فى النقل الصادق ، ومما وصل إلينا من هذا أن « الخليفة : الواثق بالله العباسى » سأله يوما عن شاهد من الشعر فيه كلمة « المرت » ـ وهى الصحراء لا نبات فيها ، والأرض لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ـ فما فكر طويلا حتى أنشد بعض الحاضرين بيتا فيه هذه الكلمة ! فضحك « أبو محلم » ثم قال للذى أنشده : ربما بعد الشىء عن الانسان وهو أقرب إليه مما فى كمه ! لا تبرح حتى أنشدك ، فأنشده للعرب ١٠٠ بيت معروف لشاعر معروف فى كل بيت فيها ذكر « المرت »

٤ — بندار بن عبد الحميد :

وكان بندار يحفظ ٧٠٠ قصيدة فى أول كل منها « بانت سعاد » غير ألوف القصائد الأخرى ، وهو ، و « أبو عبيدة » ، و « أبو زيد » ، و « والأصمعى » كانوا أعلم الناس فى عصرهم باللغة والشعر وعلوم العرب ، لم يرقبلهم ولا بعدهم مثلهم .

كيفية الوضاعين :

ولئن رزىء علم الرواية بمن كادوا يغضون من شأنه، لخلطهم السم بالدسم، ترقبا لمكسب مادى أو أدبى فإن يقظة العلماء والأدباء كانت لاتلبث أن تكشف أمرهم فينبذهم الخاصة ويقاطعهم العامة ، فيصبحون أخسر صفقة من أبى غبشان .

١ — حماد الراوية :

وأول من افتضح أمره من هؤلاء « حماد الراوية » المتوفى سنة ١٥٥ هـ (٧٧٢ م) قال « المفضل الضبى : سلط على الشعر من حماد الراوية ماأفسده ! فقيل له : كيف ذلك ؟ أيخطىء فى روايته ؟ أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك ! فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب ، وأشعارها ، ومذهب الشعراء ومعانيهم، فلايزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله فى شعره ، ويحمل عنه ذلك فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولايتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وقليل ماهم !!

وكان من تلاميذه فى هذا « خلف الأحمر » ثم « قطرب » ثم أبو العلاء ابن صاعد » البغدادى .

وهكذا نجد فى كل عصر مئات من الرواة الذين لاتخفى منزلتهم كما لا تخفى منزلة الجرائد السياسية فى نفوس القراء واختلاف تقديرهم فى أيامنا ، وإن كان بإزاء الرواة إذ ذاك من يقيم معوجهم من فطاحل النقدة الذين جعلوا للرواية علما ثابت الأركان ، واضح النهج، بين الحدود يدل عليه أنهم جعلوا من الرواية «متواترة » و « ومسندة » و « ومنقطعة» الخ» كما فعل علماء الحديث

مصادر الرواية :

(١) قبل أن يختلط العرب بالعجم كان علماء البصرة والكوفة مصدر الرواية فى القرن الأول للهجرة ، وكان بين هؤلاء (أدباء الموالى) ، وهؤلاء كانوا يتلقون اللغة عن أعراب البوادى عند حضورهم إلى المدن .

(٢) وبعد اختلاط العرب بالأعاجم ، صارت البعوث ترسل إلى البوادى ، كما ترسل البعوث العلمية الآن من إلى البلاد الشرقية إلى بلاد الغرب ، فكانت تمكث سنين ، ثم تعود إلى الأمصار الإسلامية لتنشر ما سمعت ، وقد استمرت تلك البعوث إلى (أواخر القرن الرابع الهجرى) (والعاشر الميلادى) فى العصر العباسى الثانى .

(٣) ومن القرن الخامس الهجرى (والحادى عشر الميلادى) صارت الأمصار الاسلامية أحفل المصادر وأوثقها وأنظمها .

مراكز الثقافة العربية :

وقد ازدهرت المدن الاسلامية بحلقات الدروس ، فلم تكن تخلو واحدة منها من حلقة أو أكثر لأنواع من الفنون العربية والاسلامية . وأساتذتها من أعاظم الرواة ، الذين يتمتعون بأكبر قسط من حرية القول وكانت « البصرة » و « الكوفة » أحفلها بالحلقات والأساتذة والطلبة وأكثرها افتتانا ، وأخطرها شأنا ، وكان الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه فى البصرة لأن أكثره مصنوع ، أما فى البصرة فكان رواتها أدق وأحرص ، فلا يقبلون إلا ما صح لديهم ، وذلك واضح فى دواوين الشعراء وأمهات النحو . .

فلم يزل أهل المصرين على هذا المنوال حتى انتقل العلم إلى « بغداد » بانتقال الكوفيين إليها ، وخدمتهم خلفاءها ، وقبلهم كانت مدينة الملوك ، وحشو عساكر الخلفاء .

أما فى « المدينة » فقد قص علينا الأصمعى أنه أقام بها زمانا ، فراعه أن « ابن دأب » يصنع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاما ينسبه إلى العرب كذبا ، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته على الرغم من شعره وعلمه بالأخبار .

وممن جرى مجراه « الشرقى : ابن القطامى » وقد تتبعه الأصمعى أيضا ، فحدث عنه أن بعض الرواة حكى أنه سأل ابن القطامى : ماذا كانت العرب تقول فى صلاتها ؟ فقال : لا أدرى ، قلت : فاكذب له ، فقال : كانوا يقولون : « رويدك حتى تبعث الخلق باعثة ! »

فإذا أنا به يوم الجمعة بعدها يحدث به فى المقصورة !

وأما « مكة » فكان بها رجال من الموالى ، أشهرهم « ابن قسطنطين الرومى » وقد شدا شيئا من النحو ووضع كتابا لا يساوى شيئا .

أسلوب رابع فى الوضع

(١) تقدم آنفا أن « حمادا الراوية » كان بلاء على الشعر ، لا لأنه يخطىء أو يلحن فأمر ذينك يسهل كشفه ولكنه لعلمه بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء وأساليبهم يعمد إلى اختيار شاعر من الشعراء ، فيقلده تقليدا عجيبا ، ثم يدخل ما نظمه فى شعره وينسبه إليه متصلا ببيت أو أكثر من شعره الحقيقى ، ويرويه منسوبا كله إلى ذلك الشاعر المفترى عليه ، فيحمل عنه ماروا ه إلى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد .

(٢) ومن تلاميذه « خلف الأحمر » وكان كأستاذه من أعلم الناس بمذاهب الشعر والشعراء فإذا أراد أن يقلد شاعرا فيما يريد اختلاقه فعل ما فعله أستاذه حماد .

ومن افترى عليهم فى رأى بعض النقاد « الشنفرى » فى قصيدته المشهورة

بلامية العرب ، ومطلعها :

أقيموا بنى أمى ظهور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

وقد قرر الجاحظ أنه هو الذى أورد على الناس نسيب الأعراب ، وهو من أرق الشعر قاطبة .

ومثل هذين غيرهما من الوضاعين ، إلا أنهم لم يكونوا فى قوتهما ، لذا كانوا يقتصرون على البيت والبيتين ، ومنهم من طال باعه فى (الحكم والأمثال) خلال القصص التاريخية التى لها روعة ، ليزيدها جمالا فوق ما بها .

فى قصة مصرع الزباء

ومن أمثلة هذا النوع (قصة مصرع الزباء) ، فقد حشد الوضاع فيها نحو ١٧ مثلا ، ومن يتصفح كتب الأدب والتاريخ القديم يجد صدق هذا ، كأن مصرعها لم يدر إلا لتقال هذه الأمثال عند كل موقف من المواقف ، وفى ذلك جناية على الأدب ، إذ قد يوهم أن القطعة كلها من أساسها خيال فى خيال ، وأنها لم تخترع إلا لتكون حقلا لبذر تلك الأمثال الكثيرة المتكلفة . !!

غرضهم من الاختلاق

ومادعا الوضاع إلى هذا الاختلاق ، وخلط السم بالدسم ، إلا تحقيق كسب مادى ، أو ربح أدبى نخاب أملهم ، ولم يكن حظهم منه إلا أن ينبذهم العلماء ، ويقاطهم الطلبة ، فكانوا « أحمق من أبى غبشان » و « أندم من الكسعى » ، ولم يكن تجار هذه « السوق السوداء » فى الأدب من الأعاجم ، وحدهم بل كان بعضهم من جهلة العرب ، إلا أن جمهرتهم كانت من الأعاجم ، ممن لم يتشربوا الإسلام فى قلوبهم ، وكم أثاروا بما وضعوا شبهات الناس فى تاريخ العرب وآدابهم ومآثرهم !! ومدنياتهم !! وكم أدى هذا من بعدهم إلى

إنكار كثير منها ، فإذا رأى المصريون أسلوبا جاهليا واضحا قالوا : إنه عباسى !! كذلك الحال لو رأوا شيئا من الاستقصاء ، وكل حجتهم أن هذا النوع من سمات العصر العباسى !! كأن كل الأدب الجاهلى يجب أن يكون مستغلقا مبهما مبتورا : مقدمات بدون نتائج ، أو نتائج بدون مقدمات ونتيجة هذا أن ينبذ أكثر الأدب الجاهلى ، وكل الأدب الإسلامى !! وكل الأدب الأموى !

(الخلايا الشعوبية)

وزاد من ضرر هذه الخلايا الشعوبية التى لا هم لها إلا الغض من شأن العرب ، والنيل من آدابهم ومآثرهم ومدنياتهم ، أن بعض متعصبى المستشرقين ، وعلماء اللغات فى عصرنا يستندون فى هذا إلى بعض ما قرره قديما بعض علماء العرب بحسن نية ، وإلى أن تعاليمهم تلقى أرضا خصبة وتربة صالحة لدى بعض الخريجين المبعوثين من الدول الإسلامية ، وقد يؤثر هذا فى عقيدة المسلمين من تلاميذهم ، ويثير الشك فى النصوص القرآنية (والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ)

٦ — الدليل الخامس : رأى علماء اللغات

لم أستسغ قول القائلين بذوبان اللهجات العربية جميعها فى لهجة قريش ، فعمدت إلى استشارة طائفة من علماء اللغات العصريين ، فهم أدرى ببضاعتهم ، وأعلم بصناعتهم ، فرأيتهم يقولون :

« من عوامل الصراع اللغوى تجاور شعبين مختلفى اللغة . وفى هذه
« الحالة لا بد أن يتغلب الشعب القوى على الضعيف ، سواء فى هذا
« قوة العدد ، أو قوة الحضارة ، أو قوة النفوذ والجاه ، أو القوة الحربية ،
« ولا يتم النصر — غالبا — إلا بعد أمد طويل ، يصل أحيانا إلى أربعة

« قرون فى الفتوح الحربيه، أما فى غيرها فيمتد إلى أكثر - وقد يتطاول
« إلى عشرة قرون -
« وعلى هذا الأساس نفسه تتغلب فى المملكة الواحدة لغة المقاطعة
« التى بها العاصمة ، أو يكون لأهلها السلطان (١) .

تلك نظرياتهم ، وهذه قوانينهم ؛ وإذا أردنا أن نطبقها على اللهجات العربية - ولغة قريش منها - فلابد أن نلجأ إلى التاريخ ، وقد خبرنا أن قريشا لم تكن لها هذه المنزلة فى الجزيرة العربية ، لقوتها الحربية، أو لكثرة عددها ، أو لحضارتها ، فإن أكثر القبائل الأخرى تشبهها فى ثقافتها بل كثير من هذه القبائل تمتاز بقوتها الحربية ، وكثرة العدد ، فوق الماضى السحيق فى خدمة اللغة ؛ فلكى تتغلب لهجة قريش على لهجات القبائل العربية لابد من مرور زمن يزيد على ٤٠٠ سنة ، وهى التى حددت لتغلب شعب على آخر حربيا ، أو تغلب قبيلة على أخرى . أو مدينة على ماجاورها .

والزمن اللائق بالغلبة السلمية لابد أن يكون أطول عمرا ، ولابد أن يمتد إلى نحو ٧٠٠ سنة فى المتوسط ، وقريش من فهر - قريش - إلى سيدنا محمد ﷺ - مرت فى طورين مختلفين :

(فالطور الأول) من فهر إلى قصى ؛ وعدد الأجيال هذه خمسة مدتها نحو ٢٠٠ سنة ، كانت قريش فيها قبيلة متواضعة ، عادية ، قانعة ، منضوية تحت نفوذ القبائل المضرية الأخرى ، التى امتازت بقوتها الحربية . ونفوذها الأدبى . فهى لم تتمتع بأية قوة من القوى ، فضلا عن أن تسعى للابتكار اللغوى . أو الجاه الأدبى . فلا يسعنا إذن إلا أن نسقط هذا الزمن من تاريخها ، ولاسيما أن أقوال المؤرخين - كاليعقوبى (٢) - تؤيدنا . وقد قرر أنها كانت متفرقة الدار . قليلة العز ذليلة البقاع . حتى جمع الله إلفتها . وأكرم دارها . وأعز مثواها .

---

(١) علم اللغة ص ١٨٤

(٢) تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ١٩٨

(والطور الثانى) يبدأ من (قصى) أول ملوكها إلى عصر النبوة . وعدد الأجيال فى هذه الفترة خمسة أجيال . مدتها نحو ٢٠٠ سنة . بدأت قريش فيها تنفض عن نفسها غبار الخمول . وتعمل لتتبوأ مكانتها بين القبائل العربية . وساعد على هذا أن « زعيمها : قصيا ـ » كان ذا طموح وآمال طوال عراض . فأخذ يعمل فى صمت وفى خفاء حتى صاهر المشرفين على مفاتيح الكعبة . فأهى حتى آل إليه أمرها نهائيا .

النفوذ الاقتصادى لقريش :

أما النفوذ الاقتصادى لقريش فلم يعش « قصى » حتى يتمتع به إلا فى مكة !! وهذا بعض ماتقله القالى (١) :

كانت قريش تجاراً وكانت تجارتهم لاتعدو مكة . إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع . فيشترونها منهم . ثم يتبايعونها بينهم على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب « هاشم » بن عبد مناف إلى الشام . فنزل بقيصر . فكان يذبح كل يوم شاة . ويصنع جفنة ثريد ويتجمع من حوله فيأكلون . فذكر ذلك لقيصر . فقيل له : هاهنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق . ويفرغ عليه اللحم ـ وإنما كانت العجم تصب المرق فى الصحاف . ثم تأتدم بالخبز . فدعا به قيصره فلما رآه وكلمه أعجب به ، فكان يبعث إليه فى كل يوم . فيدخل عليه ويحادثه . فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له :

« أيها الملك . إن قومى تجار . فإن رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمن تجارتهم . فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم » .

---

(١) كتاب ذيل الامالى للقالى ص ٢٠٤

إيلاف قريش :

فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل « هاشم » بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحى من العرب بطريق الشام . أخذ من أشرافهم إيلافا (١) فصارت قريش تحمل إليهم بضائع . ويؤدون إليهم رءوس أموالهم . وربحهم فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام . فخرجوا بتجارة عظيمة . وخرج هاشم معهم يجوزهم . ويوفيهم إيلافهم . الذى أخذ لهم من العرب حتى أوردهم الشام . ومات فى ذلك السفر فى « غزة » وكان هذا قبل الهجرة بنحو مائة سنة .

وخرج « المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ، وأخذ الإيلاف كما فعل هاشم .

وخرج « عبد شمس بن عبد مناف » إلى الحبشة ففعل فعلهما ، وخرج « نوفل بن عبد مناف » فأخذ عهدا من كسرى : وإيلافا ممن مر به من العرب ، فاتسعت قريش فى التجارة فى الجاهلية ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منه فى الجاهلية والإسلام . فالمجد الاقتصادى لقريش لا يعدو ١٠٠ سنة قبل الإسلام فأين هى من ٤٠٠ سنة للغلبة الحربية ، و٧٠٠ سنة للغلبة السلمية على الأقل .

٦ — الدليل السادس : النصوص الأدبية

أشرت فيما سبق إلى عشرات من النصوص الأدبية القديمة التى قالها أدباء العرب فى جاهليهم ، قبل أن تتنسم قريش نسيم الحياة الحرة المستقلة ، وقبل أن ينهض أول ملوكها « قصى » فيجمع شملها ، وينظم أمورها ، ويستولى

---

(١) الإيلاف أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير محالفة فهو مقصور على أمان الطريق .
(٢) مجمع الامثال جـ١ ونهاية الارب ، والاغانى ، والقاموس المحيط ، وبلوغ الارب .

على مفاتيح الكعبة ، وقد تمكن بهذا من إتمام أروع أعماله لتأسيس ذلك الملك المرموم ، والجاه العريض ، والاستقلال المنشود فى الجاهلية .

وقد صرحت من قبل ـ اعتماداً على نظرية الأجيال ، وعمر الجيل ـ أن قصيا بدأ تجمه يتألق فى سماء الجزيرة العربية قبل الهجرة بنحو قرنين ، كما صرحت بأن بين الغرس والحصاد فترة طبعية ، وأن الدول لاتحصد ماغرست إلا بعد مرور أكثر من جيل على الأقل من تأسيسها فاللهجة المنسوبة لقريش لايمكن أن تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة .

فكيف يتفق هذا مع ما كاد يجمع عليه رواة العرب ، من صحة كثير من الآثار الأدبية التى تنسب لمثل « ابن خذام » و « عبيد بن الأبرص » و « المرقش » ...

وكيف يسوغ لدى الأفهام هذا بعد أن برهنت على أن المرقش الأكبر من شـــعراء القرن الثالث قل الهجرة ، وأن أقدم منه فى هذا القرن أبودؤاد الإيادى ، والأفوه الأودى القحطانى . وضمرة الكنانى العدنانى ، والأضبط بن قريع فخر المزارعة وبنى تميم ، بل العرب قاطبة فى الجاهلية والأمير زهير بن جناب الكلبى القحطانى ، إلى آخر ماأشرت إليه فى جدول الشعراء صفحة ٢٠٣ من هذا الكتاب .

وليس لى فضل فى نسبة الآثار الأدبية إلى هؤلاء ، بل الفضل لرواة العرب ، إذ كل مالى من عمل هنا هو أنى حققت أقدميتهم قبل الهجرة ، وبعد الميلاد المســـيحى ، بل بانيا على ماأسسه رواد الأدب ، ورواته من أقدم العصور .

وإذا حلا لبعض حضرات الأدباء أن يبحث عن مغمز فيما سجلت هنا ، إما لنقصان . أو لأنى لم أستشهد فى أكثر مامر إلا بالشعر ، أو لأن فيمن ذكرتهم بعض النكرات الذين لايعد ذكرهم ربحا ولا إهمالهم خسارة فإلى هؤلاء أسوق

الحديث . راجيا أن يرهفوا السمع . فانى سأذكر شخصية بارزة . كانت حقبة طويلة فى الجاهلية ملء السمع والبصر والفؤاد .

وحسبنا بالحكيم الخالد « عامر بن الظرب » توثيقا لما أردنا .

حكيم العرب : عامر بن الظرب

ولد حوالى ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)

ولبيان دقة هذا التاريخ أرجو أن يتابعنى القارىء الكريم ليقتنع بسداد الخطوات التى اتبعتها فيما يأتى :

١ ـ أفاد دليل النسب » أن منه إلى عدنان ١٢ جيلا (١) فمنه إلى عصر النبوة ٩ أجيال .

٢ ـ وأرشد « دليل المعاصرة » أنه كان يعاصر «ثقيف بن منبه» رأس القبيلة : وصعصعة بن معاوية بن بكر من قيس وسعد بن زيد مناة من تميم، وكل واحد من هؤلاء الأربعة ـ منه إلى عدنان ١٢ جيلا . فمنه إلى عصر النبوة ٩ أجيال . مدتها ٩ × ٤٠ = ٣٦٠ سنة . وذلك عندما كانوا فى سن الاربعين فكان ميلادهم كان حوالى ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م) .

فلو أن عامرا لم يبدأ الرواة يحفظون آثاره الأدبية فى الحكم والأحكام وانوصايا إلا فى سن الأربعين ، لكان هذا قبل الهجرة بنحو ٣٥٠ سنة ق هـ (٢٨٣ م) .

أدلة ثلاثة أخرى على أقدمية عامر بن الظرب :

(الدليل الأول) أن « ذا الإصبع العدوانى » هو الحفيد السابع لأخيه

---

(١) لانه عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كما فى جمهرة ابن حزم صفحتى ٢٣٢ و ٢١٣

« ثعلبة بن الظرب » أى إن ذا الإصبع أحدث عهدا من أبيه، ومن عمه، بنحو ٨ × ٤٠ = ٣٢٠ سنة . أى أكثر من ثلاثة قرون، ومع هذا نقرأ لأبى الفرج الاصفهانى (١) أن ذا الإصبع شاعر من قدماء الشعراء فى الجاهلية ! فإذا كان من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، مع أنه بعد عمه عامر باكثر من ثلاثة قرون فما نصيب عامر من هذه الأقدمية ؟

و (الدليل الثانى) اشتراك عامر بن الظرب فى « يوم البيداء » بل قيادته معدا كلها فى هذا اليوم . وإليك ماروواه « المنذر : هشام بن محمد السائب (٢) »

لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب : « عامر بن الظرب » قائد معد يوم البيداء ، حين تمذحجت « مذحج » وسارت إلى تهامة ، و « ربيعة بن الحارث ، وهو أبو كليب ومهلهل ، و « كليب بن ربيعة » ؛ ويقول « جورجى زيدان » (٣) نقلا عن الغربيين :

إن أقدم ما حفظه التاريخ من أخبار تلك الحروب ، حرب وقعت بين (العدنانية) و (مذحج) فى أواسط القرن الرابع الميلادى وكانت مذحج قادمة من اليمن طالبة للتوسع فنزلوا بها ، وفيها من بنى معد قبائل متفرقة منها (عدوان) وكان أمير عدوان يومئذ (عامر بن الظرب) .

وبموازنة التاريخ الذى ذكره الغربيون ليوم البيداء، بالتاريخ الذى حددته لميلاد ابن الظرب، يتبين أنه قاد معدا فى هذا اليوم ،وعمره حوالى ١١٦ سنة ، فهل كان من المعمرين ؟ رجعت إلى السجستانى (٤) فوجدته يقول إنه عاش ٢٠٠ سنة ، وبعض الرواة زادها الى ٣٠٠ سنة ! ولا تهمنا هذه المبالغة بمقدار ما نصوا عليه أنه كان من المعمرين . وليس من الضرورى أن يقاتل

---

(١) الاغانى حـ ٣ (٢) خزانة الادب حـ ٢ ص ٢٤ نقلا عن العقد الفريد والاغانى

(٣) العرب قبل الاسلام حـ ١ ص ٢٢٤ لاعتماد جورجى زيدان على المراجع الغربية ترجم كلمة « البيداء » بالبيضاء والصواب بالدال المهملة كما أجمع عليه الرواة

(٤) كتاب المعمرين ص ٤٤

القائد مع جنوده ، بل يكفى أن يشير عليهم وبوجودهم يثير حماستهم ، فهى أشبه بالاستشارية أو بقيادة الشرف من القيادة الفعلية .

(الدليل الثالث) ولعله أصرحها ، مارواه « أبو الفرج الأصفهانى » (١) أن « قيس عيلان » رغبت فى البيت ، و « خزاعة » يومئذ تليه ، فساروا ومعهم قبائل من العرب ، ورأسوا عليهم « عامر بن الظرب العدوانى » فساروا إلى مكة فى جمع لهام ، فخرجت إليهم خزاعة ، فاقتتلوا ، فهزمت قيس ، ونجا عامر على فرس له جواد »

وخزاعة كانت تدير البيت الحرام قبل قريش . ثم تولت بعدها قريش نحو ٢٠٠ سنة قبل الهجرة ، فإذا صرفنا النظر عن كل رواية أخرى يتبين لنا أن عامرا عاصر خزاعة مدة طويلة قبل أن يخلق قصى أول ملوك قريش ، فأى أثر له فى تلك الفترة لا يمكن أن ينسب إلى عهد قريش ، بل لا بد أن ينسب إلى العصر السابق .

وإذا أردنا أن نشير إلى الزمن الذى اشتبك فيه عامر مع قبيلة قيس وأحلافهم من القبائل الأخرى ، كان على أقل تقدير فى أواخر أيامه على اعتباره عاش نحو ١٥٠ سنة أى قبل أن يتألق نجم قريش بنحو نصف قرن وأقرب منه إلى الدقة أن يكون هذا الاشتباك وعامر فى نحو الخمسين من عمره أى قبل قريش وبجدها بنحو ١٥٠ سنة . فأى أثر من آثاره الأدبية يكون حتما باللغة العربية التى تواطأ عليها أدباء العرب فنزل بها القرآن ، لا لغة قريش .

وبذا يتبين ما فى هذه النسبة من تساهل واضح ، أو مبالغة شديدة !

فإذا راعينا أن هذه المدة أكثر من ضعف المدة الأخرى التى بدأت فيها قريش تحصد ما غرست كان لنا أن نسأل :

هل كان لعامر آثار فى ذلك الزمن ، نستطيع فهمها جملة وتفصيلا ؟

---

(١) الاغانى حـ ١٣ طبع بولاق .

وخير ما أجيب به هنا أن أذكر ثلاثة آثار له ، والحكم للقراء بعد تصفحها ، والنظر فى مشتملاتها :

(١) الأثر الأول أبيات قالها ، يسجل فيها إجلاء قضاعة عن ديارها فى سيف البحر الأحمر ، بعد أن قاتلتها مضر وربيعة وكندة ، وفى هذه الأبيات تراه ملتمسا عذر قومه ، ناعيا عقوق الفضاعيين وخيانتهم :

قضاعةَ أجلينا عن الغور كله ... إلى فلجات الشام تزجى المواشيا(١)
لعمرى لئن صارت شطيرا ديارها ... لقد تأصر الأرحام من كان نائيا
وما عن تقال كان إخراجنا لهم ... ولكن عقوقا منهم كان باديا
بما قدم النهدى لادر دره ... غداة تمنى بالحرار الأمانيا

(٢) أما الأثر الثانى من شعر عامر ، فقوله وقد بدأ الشيب يشتعل فى حاجبيه :

أرى شعرات على حاجبى ... بيضا نبتن جميعا تؤاما
أظل أهاهى(٢) بهن الكلا ... ب أحسبهن صوارا قياما
وأحسب أنفى إذا ما عشيـ ... ـت شخصا أمامى رآنى فقاما

(٣) والأثر الأدبى الثالث (نثرى) قاله ناصحا فى أواخر أيامه :

«من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطل أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق »

« لا تفرحوا بالعلق(٣) . ولا تشمتوا بالذلة . وبكل عيش يعيش الفقير ، ومن يُرِ يرَ به . وأعدوا لكل أمر عدة »

---

(١) لم تقتصر هجرة قضاعة على نجد وحدها خلافا للبحاثة جورجى زيدان فى كتابه العرب قبل الاسلام حـ ١ ص ١٧٠ ، بل هاجر فريق منها إلى أطراف الحيرة ، وفريق ثان إلى اليمن ، وثالث إلى نجد وأكثرهم إلى الشام ؛ ويستفاد هذا من شعر عامر فى الابيات الاربعة ، ومن معجم البكرى حـ ١ ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) أهاهى : أقول هأهأ ، والاصل فى هاتين الكلمتين أن تزجر بها الابل .

(٣) العلق بكسر العين النفيس من كل شىء .

رأيي في الأثار الثلاثة :

في رأيي أن هذه الآثار الثلاثة مختلفة الزمن :

١ — فأقدمها الأثر الأول ؛ لأن الفخر بإجلاء الخصوم ، والشماتة بهم الخ من صفات الشبان الذين تسترعي أنظارهم ، وتستهوي أفئدتهم أعمال البطولة والقوة الجسمية

٢ — ورؤيته الشعرات البيض على حاجبيه تدل على أنه كان بعد السبعين

٣ — وأما الأثر الأخير فيدل على أنه صدر منه وهو حكيم العرب ، ومن أولى بالحكماء من الحكم . وإزجاء النصائح . وتبصير أقوامهم بمسافة الخلف بين الحق والباطل ، واستشعارهم الوقار في نعائهم وبأسائهم ، والتأهب لحادثات الليالي !

فهل بلغت ما أريد بتلك الأدلة الخمسة على قدم عامر بن الظرب وبتلك الآثار الثلاثة على أن اللغة التي نزل بها القرآن كانت قبل مجد قريش بقرن ونصف على الاقل ! .

عظة كعب بن لؤي الجد السابع للنبي

تقدم أن من قصي إلى النبي ﷺ نحو ٢٠٠ سنة ، فأفيد هنا أن كعب ابن لؤي كان قبل قصي بنحو ١٢٠ سنة فيكون بين النبي وبين جده كعب نحو ٣٥٠ سنة . فهو من معاصري «عامر بن الظرب العدواني» . وهذه العظة التي سنسجلها هنا قالها كعب في إحدى الجمع ، يعظ بها بنيه وأهله ، من قبيلة قريش . وقريش لم تكن لها لهجة منسوبة لها إلا من بعد قصي ، فهذه العظة ليست من لهجة قريش لأنها قبل أن تخلق هذه القبيلة بأكثر من ١٥٠ سنة.

وهذا نصها نقلا عن « الزبير بن بكار » (١) :

« أما بعد فاسمعوا وافهموا . وتعلموا واعلموا ليل داج . ونهار ساج » «والأرض مهاد . والسماء بناء . والجبال أوتاد . والنجوم أعلام . والألوان»

(١) بلوغ الارب ج ١ ص ٢٧٢ .

كالآخرين فصلوا أرحامكم . واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت انتشر ؟ . والدار أمامكم . والظن غير ماتقولون .

النتيجة

وبترديد النظر فى هذه الآثار . نجدها من اللهجة التى ورد بها القرآن : سَدى ولحمه . وجملة وتفصيلا ، ولانجد تناكرا بينها وبين لهجة القرآن . وهو الذى نزل بلسان عربى مبين . فهما من نبع واحد : فى الألفاظ والأسلوب والنسج . والمذهب الكلامى : والجزالة تارة . والرقة تارة أخرى ومراعاة المقام لإصابة الهدف . وأى أديب الآن . وأى عربى فى العصر العباسى أو الأموى أو النبوى . إذا سمعها لأول مرة لايشعر بابهام أو حيرة . ولايحتاج إلى مفسر أو معجم مع أن بين الآثار الثلاثة فى جملتها وبين الهجرة نحو ٣٥٠ سنة ، وبينها وبين الآثار القريشية نحو ٢٠٠ سنة فبلاشك فيه بعد هذا أن اللهجة العربية التى وردت بها هذه الآثار الأدبية القديمة ، والتى نزل بها القرآن بعد هذا . والتى يكتب ويقرأ ويؤلف بها الأدباء الآن فى الأقطار العربية . كلها متشابهة . مما يدل على أن الأصل واحد . وأنه قديم ، وأن شعراء العرب وحكامهم ومن تبعهم كانوا يتفاهمون بها فى سوق عكاظ فى منافراتهم ومفاخراتهم بهذه اللهجة .

فاذا تشكك واحد فى صحة ما ذهبت إليه ، متأثراً بما قرأه فى بعض الكتب الدينية المحترمة . فأرجو أن لايسرع بالإنكار أو الخصومة . وعليه أن لايضيق صدره حرجا مادام باب التأويل فسيحا . وما أجاءنا إلى التأويل إلا استحالة المعنى القريب الذى قد تفيده هذه النصوص . وإلا لو أصر على رأيه لاصطدم بعقبة لابد أن تفقده توازنه الفكرى ، وقد يسرى هذا إلى عقيدته الدينية . فيكون فى هذا البوار . وإن كان فى شك من هذا فليدلنى على معنى حديث ورد فى البخارى أوثق كتب الحديث

أصمى سهم فى كنانة المعارضين:

ولعل أصمى سهم فى كنانة القائلين بنزول القرآن بلغة قريش ما روى(١) منسوبا إلى سيدنا عثمان . عند جمعه المصحف « أنه أرسل إلى زيد بن ثابت. وإلى عبد الله بن الزبير. وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فأمرهم أن ينسخوها — أى الصحف التى سجل فيها القرآن أمام عمر — ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم » .

دواعى :

١ ـ هذه الرواية التى يعتمدون عليها إحدى روايات أربع :

الرواية الثانية عن زيد بن ثابت أن عثمان أمره أن يكتب له مصحفا بعد أن رفع إليه أمر الاختلاف — اختلاف المسلمين الذين يقرئون الصبية.

ثم قال له: إنى مدخل معك رجلا لبيبا فصيحا . فا كتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه إلى ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص .

والرواية الثالثة أن عثمان خطب فى الناس يومئذ . وعزم على كل رجل عنده شىء من كتاب الله لما جاء به . ثم دعاهم رجلا رجلا فناشدهم : أسمعت رسول الله ﷺ ؟ وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم. فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت . قال : أى الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : فليمل سعيد . وليكتب زيد (٢) .

والرواية الرابعة سجلها السيوطى (٣) أن عثمان أمر أن يكون المملى من هذيل والكاتب من ثقيف

---

(١) البخارى فى كتاب المناقب باب نزل القرآن . والترمذى فى كتاب التفسير : تفسير سورة التوبة (٢) إعجاز القرآن ص ٤٠ (٣) المزهر ج ١ ص

فياحضرات السادة لم ترجحون الرواية الأولى التى تنسب لعثمان أنه صرح بنزول القرآن بلغة قريش ؟ أليس فى هذا ترجيح بلامرجح ؟ .

٢ ـ أنتم تؤمنون معى أن الأساليب البيانية لاتعتمد على الحقيقة وحدها ، بل فى كثير من الظروف يلجأ الادباء إلى المجاز العقلى . أوالمجاز اللغوى : مرسلا . أو استعارة . أو تشبيها ، وقد يعبرون عما يريدون بالكناية ، فالمعنى الواحد كثيرا مايعبرون عنه بطرق مختلفة . والذوق الفنى ، وحده هو الذى له حق التوجيه . وحق اختيار الأسلوب .

بل إن الحقيقة نفسها أنواع — كما هو معلوم — فقد تكون حقيقة لغوية . أو شرعية . أو فنية . فمن أوحى إليكم أن القول المنسوب لعثمان فى لغة قريش حقيقة لامجاز فيها ؟ ثم من أنبأكم بأن هذه الحقيقة شرعية لا لغوية ؟ .

إذا كنتم تحملون مثل هذا الحديث على الحقيقة الشرعية حتما . فماذا تقولون فيما رواه البخارى فى حديث الإسراء ؟ .

لقد كان فيما رواه النبى ﷺ عن عجائب هذه الليلة قوله : « ... ثم رفعت لى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : ما هذه ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ... »

إن هذا الحديث صادر من النبى نفسه لا من عثمان .

فإذا حملتموه على الحقيقة فهل تختارونها الحقيقة الشرعية ؟ وما المرجح للحقيقة على المجاز ؟ أو للحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية مثلا ؟

أليس فى تصميمكم على توجيه المعنى هذه الوجهة ، إحراج لمراكزكم ، أمام علماء الجغرافية ، ورجال الادارة . ورجال الطيران ، ورجال الحرب ، ورجال المساحة ، وألوف الرواد والكاشفين ، الذين انتهوا من زمن بعيد من تحديد

منابع النيل وعلاقتها بخط الاستواء ، وبالبحيرات الاستوائية ، وتسميتها ومساحتها . ومقدار ماينال النيل منها . وبيان كل ما يمده من كميات المياه من أية جهة على مدار السنة . وفى أيام الصيف؟ ثم أليس ما ينطبق على النيل ينطبق على الفرات ؟ فإذا رجعتم إلى رفض الحقيقة بأى أنواعها لأنها تخالف الواقع الملموس . وما أجمع عليه العلماء المختصون . فماذا يمنعكم أن ترفضوا المعنى الظاهر فى الكلام المنسوب لعثمان فى إحدى رواياته وأن تحملوا الأثر على المعنى المجازى ، مع ملاحظة أن ما ينسب إلى رسول الله ﷺ أقوى مما ينسب إلى عثمان ، وما أجمعت عليه الروايات فى حديث النبى ﷺ أمتن مما اختلفت فيه الروايات فى كلام عثمان وإذا ساغ لنا أن نتجه بحديث النبى المعصوم من الحقيقة إلى المجاز ولنا فى الأساليب البيانية . وفى الحقائق الملموسة أقوى سند . فأسوغ منه لنا أن نتجه هذا الاتجاه نفسه ، فى بعض ما نسب إلى عثمان ولنا سند قوى كل القوة . متين كل المتانة . فى الدليل المنطقى والدليل القبلى والدليل الزمنى ، ودليل الرواية ، وأرى علماء اللغات ، ودليل النصوص الأدبية ومنها الأمثال المنسوبة

ولنا عضد شديد من إجماع المؤرخين على أن قريشا لم تشرف على إدارة الكعبة إلا أقل من قرنين من الزمان . وإلى أن الحصاد لابد أن يتأخر عن الغرس لدى نهضات الأمم نحو خمسين سنة فهل ١٥٠ سنة كافية لخلق لغة . وإبتكار أساليبها ، والسمو بها إلى هذا الكمال ، الذى ليس له نظير ، فيما حدثنا به علماء اللغات ؟

وهل ١٥٠ سنة كافية لأن تخترع شعرا كاملا ناضجا ساميا على هذا النمط البديع والاكتمال العجيب !! وكافية لخلق عدة بحور بلغت ستة عشر بيتا . وعدة أعاريض بلغت ٣٦ عروضا !!

الحق أن هذا نوع من المبالغة أو ضلال الفهم وأن القرآن لم ينزل بلهجة قريش

ومن كان فى شك من مذهبى بعد ما قدمت وفى حاجة إلى أدلة جديدة فليرهف السمع لدليلين لهما أثرهما وآخر سهمين فى كنانتى

الدليل الأول ـ وهو السابع ـ أن الله وصف القرآن فى تضاعيف آياته تسع مرات بأنه عربى . ولو ذكره مرة واحدة بما نسب لسيدنا عثمان مما يتمسك به بعض الناس لكان لهم بعض العذر، أما وهو لم يذكر قريشا فى هذه الآيات، بل ذكر أنه قرآن عربى. وكررها. ووصل بالتكرار إلى مرات تسع فكيف يظلون مسحورين بالقول الأول ! !

وهذه هى الآيات التسع بترتيب سورها :

(١) قال تعالى فى سورة يوسف آية « ٢ » : إنا أنزلناه (قرآناً عربياً) لعلكم تعقلون .

(٢) وقال فى سورة الرعد آية ٣٧ وكذلك أنزلناه (حكما عربيا) .

(٣) وقال فى سورة النحل آية « ١٠٣ » : ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا (لسان عربى) مبين .

(٤) وقال فى آية رابعة فى سورة طه آية « ١١٣ » : « وكذلك أنزلناه (قرآناً عربياً) وصرفنا فيه من الوعيد »

(٥) وقال فى آية خامسة فى سورة الزمر آية « ٢٨ » : « قرآناً عربياً) غير ذى عوج لعلهم يتقون » .

(٦) وقال فى آية سادسة فى سورة فصلت آية «٣» : « كتاب فصلت آياته (قرآناً عربياً) لقوم يعلمون

(٧) وفى آية سابعة فى سورة الشورى آية « ٧ » « وكذلك أوحينا إليك (قرآناً عربياً) لتنذر أم القرى ومن حولها » .

(٨) وفى آية ثامنة سورة الزخرف آية « ٣ » : « إنا جعلناه (قرآناً عربياً) لعلكم تعقلون » .

(٩) وفى آيه تاسعة فى سورة الأحقاف آية « ١٢» : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة . وهذا كتاب مصدق (لساناً عربياً) . . . »

فهذه هى تقارير الله فى محكم كتابه . وشهادته بأن القرآن عربى لا قريشى فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ومن أصدق من الله حديثا ؟ .

الدليل الثامن شهاده النقوش : نقش النمارة (١) .

---

(١) النمارة المنسوب لها هذا النقش : قصر صغير للروم قرب دمشق .

١ ـ الدليل الثامن : (دليل النقوش)

يرى القارئ فيما يأتى شكلين لنقشين أثريين : النقش الأول كتابة عربية نبطية على أنقاض الحجر : والنقش الثانى كتابة عربية بخط نبطى ويعرف بنقش النمارة، وتاريخه ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) . وليتدبر جيداً قبل أن نجوس خلال النقشين أنه تقدم فى صفحة ١٠ من هذا الكتاب ، لدى إزجاء فكرة عامة عن الأنباط ، أن نقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير عرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة والنقوش فى أيامهم .

فأزيد هنا أن لغة المحادثة عندهم لم تكن كذلك . بل كانت عربية ، تبعا لجنسهم . والآرامية والعربية مرتبطتان بأمهما القديمة : لغة بدو الآراميين أو اللغة البابلية القديمة .

وهذا مثال من نقوش الأنباط على آثارهم ، وهو عهد كتبه رجل اسمه « عائذ بن كهيل » على قبره فى « الحجر » وهى مدائن صالح شمال الحجاز ، فى السنة الأولى قبل الميلاد ، فى زمن أحد ملوكهم : « الحارث الرابع » الملقب « فيلو باتر » .

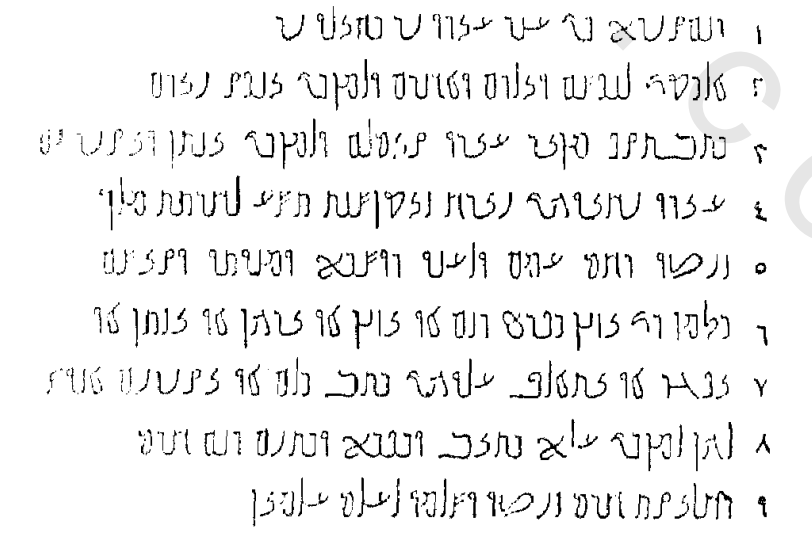

شكل (١) كتابة نبطية على أطلال الحجر (مدائن صالح) وفيما يأتى نطقها بالأحرف العربية كل سطر من اليسار يقابل سطرا فى النقش عن اليمين :

النص الأصلى بالحروف العربية

١ ـ دنه قبرادى عند عيدو بر كهيلو بر

٢ ـ الكسى لنفسه وبلده واحرد ولن دى يتفق بيده .

٣ ـ كتب تقف من يد عيدو قيم له ولمن دى ينتن ويقبر به .

٤ ـ عيدو بحيوهى بيرح نيسان شنه تشع لحرثت ملك .

٥ ـ نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا ومنوتو وقيشه .

٦ ـ كل من دى يز بن كفرا دنه أو يز بن أو يرهن أو ينتن أو .

٧ ـ يوجر أو يتالف علوهى كتب كله أو يقبر به أنوش .

٨ ـ لعن لمن دى علا كتيب وكفرا وكتبه دنه حرم .

٩ ـ كحليقت حرم نبطو وشلمو لعلم عليين .

ترجمتها إلى اللغة العربية (١) سطراً بسطر

١ ـ هذا هو القبر الذى بناه عائد ابن كهيل بن .

٢ ـ القسى لنفسه وولده (٢) وأعقابه ولمن يكون في بيته .

٣ ـ كتاب من يد عائد يبيح له ولأى واحد يخوله .

٤ ـ عائد في حياته فى شهر نيسان (أبريل) السنة التاسعة للحارث ملك .

٥ ـ النبط محب شعبه ولعن ذو الشرى ومناة وقيس .

٦ ـ كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يهبه أو .

٧ ـ يؤجره أو ينقش عليه شيئا آخر أو يدفن فيه أحدا .

٨ ـ إلا الذين كتبت أسماؤهم أعلاه . إن القبر وما كتبت عليه حرم مقدس .

٩ ـ بحسب القاعدة التى يقدسها النبط والسلاميون إلى أبد الآبدين .

---

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٨٢ مع بعض تعديل حتى فى الترجمة .

(٢) فى أصل الترجمة وأولاده وقد استحسنت الجمع الآخر « ولده » لتقرب من نص النقش ، ومثلها النبط : السطر الخامس والسطر ٩

ملاحظاتي على هذا النقص :

١ ـ ألاحظ عليه أن كلماته نحو ٦٧ كلمة. غير واو العطف التي تكررت ١١ مرة ، وأو التي تكررت ٦ مرات والباقي نحو ٦٦ كلمة . منها ٤٦ كلمة عربية . أي إن لغة الكتابة عند النبط ـ وهم عرب ـ مع كونها آرامية فان نسبة ما فيها من الكلمات العربية السليمة أو المحرفة قليلا ٦٨,٧ ٪ والألفاظ الآرامية وغيرها ـ وهي قليلة ـ ٣١,٣ ٪ .

٢ ـ وأن « من » الموصولة في النقش تليها كلمة « دى » وكأنها بدل منها ثم تتلوهما الصلة وهي جملة يتفق في السطر الثاني . وجملة يبتن في الثالث . ويزين في السادس الخ . وأنها تكررت في النقش. وفي كل مرة تاتيها « دى » في الأسطر ٢ و ٣ و ٦ و ٨ أهي ذو الموصولة عند طى أم اسم إشارة ؟ إن كان الأمر الأول فكيف يجمع بين موصولين لاسم واحد ؟ وإن كان إسم إشارة فقد تقدمت على الموصول في لهجتنا . طواعية لعوامل التعرية . التي لا يقتصر نفوذها على الماديات وحدها . كالجبال والوهاد ، فلم آثر العرب في الجاهلية المتأخرة أن يجعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ؟ ولم استحسنوا أخيراً أن يقدموا اسم الاشارة على المشار إليه ؟ إذا ثبت أن دى اسم إشارة.

وهل في لغتنا الآن من اللهجة القديمة رواسب تؤيد أنها كانت تقدم المشار إليه على اسم الاشارة . عكس ما في لهجتنا الآن ؟ .

(ا) أما أنهم من قديم الأحقاب جعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ، فسببه أن صلة الموصول تابعة له ، ويجب أن يكون التابع متأخراً عن المتبوع ، واحتياج الصلة إلى الموصول. يجعلهما كالشيء الواحد. لا يصح أن يفصل بينهما فاصل أجنبي ، كأسماء الاشارة .

(ب) وسبب تقديمنا اسم الاشارة على المشار إليه. خلافا للهجة القديمة، أن اسم الاشارة بمثابة تنبيه لامر مهم ـ هو المشار اليه ـ وقد يدعمون ذلك

التنبيه الأدنى بحرف « ها » التى جعلت وضعا للتنبيه الرسمى . فنجد فى كثير من التعابير : هذا وهذه وماتفرع منها . أكثر من ذا وذه وفروعهما .

(ج) وأما وجود رواسب فى لهجتنا الحالية ، واللهجة القديمة ، وبتعبير آخر تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه . خلافا لما استقرت عليه اللهجة العربية الأدبية التى نزل بها القرآن ، فالمتتبع لألفاظ لهجتنا العامية . لايجدنا نستعمل اسم الاشارة والمشار إليه إلا على طريقة هذا النقش الذى بين أيدينا ، أى تقديم المشار إليه على اسم الإشارة . فإذا أردنا أن نشير إلى شجرة أو كتاب وما أشبههما . فإننا لانقول إلا :

الشجرة دى . والكتاب دا . أى هذه الشجرة . وهذا الكتاب

قيمة اللغات العامية :

وفى هذا دليل على أن اللغات العامية أشبه بقيعان البحور ، فيها ما تريد من اللؤلؤ والمرجان وآثار الحروب والمدنيات ،وفيها ما لا تريد من . . .

لذا أرى أنها أدل على اللهجات البائدة ، من اللهجات الأدبية ، التى ينطق بها الخاصة ، فى كل زمان ومكان ، وفى هذا مايكفى لبيان قيمة اللهجات العامية .

ولأعد إلى ملاحظاتى على هذا النقش : نقش عائذ بن كهيل .

٣ ـ ومن ألفاظ النقش كلمات عربية سليمة ، لكنها مهجورة فى استعمالنا الأدبى ، وإن كانت حية فى المعاجم اللغوية مثل : « يقبر » و « يزين » والفعل الأخير يحتمل البيع والشراء ،لذا تكرر فى النقش ، ليدل على هذين المعنيين ، ومعنى يزبن يدفع ، والدفع إذا كان المدفوع ثمنا فهو شراء ، وإن كانت السلعة فهو بيع .

٤ ـ ويلاحظ أن « عيدو » و « كهيلو » و « نبطو » و « منوتو » و « شلمو » كلها منتهية بواو ، شأن اللغة الآرامية ، فأغلب الكلمات هنا موضوعة فى قالب آرامى .

٥ - والملاحظة الخامسة أن من كلماته اثنتين بالسين هما « الكس » و « نيسان » لكننا في الوقت ذاته نجد خمس كلمات وردت بالشين المعجمة ، أو السين المهملة ؟

يخيل إلى أنهم في ذلك العصر ، كانوا في بدء محاولة ، يريدون بها أن يستثنوا من الشين المعجمة بعض الأسماء التي تدخل في حماها ، فبدءوا بالأعلام ، ويظهر أن هذا التجديد راق جمهرة الكتاب والقادة وقتذاك . فأخذ يتسع ، حتى صارت القاعدة استثناء ، والاستثناء قاعدة ، في الجاهلية الثانية ، وابتلعت لغة الكلام لغة النقوش والكتابة عند عرب الأنباط .

النقش الثاني : نقش النمارة[1]

تتابعت أبحاث الأثريين بعد كشف القبر المنسوب لعائذ بن كهيل ، حتى عثر « دوسو » المستشرق الفرنسي ، في خرائب النمارة بين ، آثار الغسانيين في « حوران » حاضرتهم ، على حجر من البازلت ، مساحته ٤٠و١ أمتار في ٣٠و٣ أمتار[2] أصله من أنقاض قبر قديم ، هو العتبة العليا من ذلك القبر ، وعليه خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطي الحديث ، واللسان العربي الشمالي .

قيمة النقش :

والذي يجعل لهذا النقش قيمة خاصة ، أن هذه الكتابة أقدم كتابة عربية شمالية عثروا عليها ، بعد نقش عائذ بن كهيل

---

(١) النمارة المنسوب لها هذا النقش قصر صغير للروم قرب دمشق في الحرة الشرقية من جبل الدروز

(٢) العرب قبل الاسلام ج ص ١١١

وهذه صورة مصغرة لها مأخوذة بطريقة التصوير الشمسى :

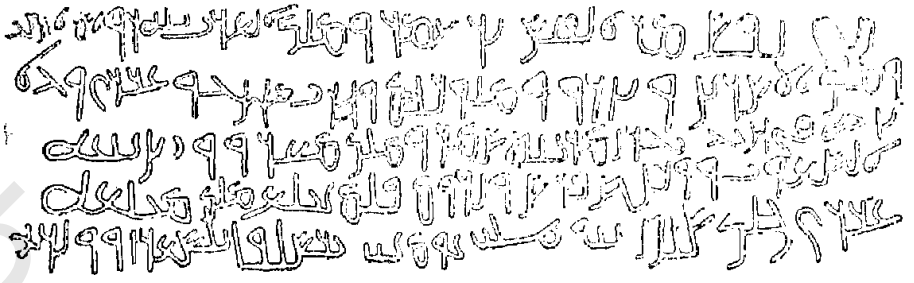

شكل (٢) كتابة عربية بخط نبطى على قبر امرىء القيس بن عمرو الذى تولى عرش الحيرة من ٢٨٨ — ٣٢٨ م (٣٤٥ — ٣٠٣ ق . ه)

وهذا نصها بالحرف العربى الحاضر (١) :

(١) ئ نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج

(٢) وملك الأسدين ونزرو وهرب مذحجو عكدى وجاء

(٣) يزجو فى حبيج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيه

(٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم [فلم يبلغ ملك مبلغه]

(٥) عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

وهذا تفسير الأسطر مرتبة باللغة العربية الفصحى :

(١) هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج

(٢) وملك الأسدين ونزارا وملوكهم وهزم مذحج بقوته وجاء

(٣) بالظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وتملك معدا ونزل ـ قسم ـ بنيه

(٤) على الشعوب وأنابهم عنه لدى الفرس والروم (فلم يبلغ ملك مبلغه)

(٥) إلى اليوم توفى سنة ٢٢٣ فى اليوم السابع من أيلول (سبتمبر)
وفق للسعادة بنوه

(١) تاريخ العرب لحفنى بك ناصف حـ ١ : ٧٥ ، والعرب قبل الاسلام حـ ١ : ٢٠٢

التاريخ البصروى والميلادى والهجرى

وقد حقق الأثريون أن التاريخ المذكور فى السطر الخامس تاريخ بصروى، نسبة إلى « بصرى » فى حوران، والتاريخ البصروى يبدأ بدخولها فى حوزة الروم سنة ١٠٥م فإذا أضيفت إلى سنة ٢٢٣ التى فى النقش كان المجموع ٣٢٨م ويوافق هذا السنة التى توفى فيها هذا الملك وذلك قبل الهجرة بنحو ٣٠٣ق هـ

(ا) فأقدم هذه التواريخ التاريخ الميلادى، فهو قبل البصروى بنحو ١٠٥ سنة، وقبل الهجرى بنحو ٦٢٢م.

(ب) وأوسطها التاريخ البصروى فهو بعد التاريخ الميلادى بنحو ١٠٥ سنة وقبل التاريخ الهجرى بنحو ٥٣٣ سنة.

(ح) وأحدثها التاريخ الهجرى، فالسنة الأولى من الهجرة توافق ٦٢٢م

من نتائج النقش الثانى

(١) إن أولى النتائج لهذا النقش أننا أطلنا عمر النثر الجاهلى فجعلناه أكثر من ثلاثة قرون، بعد أن كان لا يتجاوز قرنا ونصفا، فكأن عمره زاد أكثر من ١٠٠ ٪ على ما حدده له أكثر الباحثين حديثا وقديما.

(٢) والنتيجة الثانية أن المناذرة كانت لهم لغتان على الأقل: لغة رسمية ولغة أدبية، وفى النقش الثانى برهاناهما.

(٣) والنتيجة الثالثة أن العبارة التى توج بها النقش كانت فى أعلى طبقات البلاغة العربية فى عالم النثر، والنثر والشعر للآداب كالجناحين للطائر، فكما لا تتصوره طائرا إلا بهما معا، فكذلك الأدب، فإذا كنت قد استنتجت أن ذلك النموذج كان مظهرا من مظاهر قوة النثر فى عنفوان شبابه، فلا بد أن

تكون قد مضت حقبة طويلة وهو فى تلك القوة ، ولا تقل هذه الحقبة عن ثلاثة قرون قبل ذلك التاريخ ، وهذا الزمن يوافق الميلاد المسيحى على الأقل فإذا لم يكن عند ميلاد المسيح نثر قوى ، قوة الجملة الأدبية الرائعة ، التى دسها ذلك الأديب الذى كلف نقش ذلك الأثر الرسمى أو النبأ الحكومى فلا أقل من أن يكون فيه إذ ذاك نثر عربى يقرب من تلك الجملة البليغة ، ولعل الفرق بين القوتين كالفرق بين صياغة النقشين السابقين ، ولا يخفى أن الزمن بينهما نحو ثلاثة قرون وهى التى قدرتها أولا ، وأن النقش الأول كان فى القرن الأول قبل المسيح . ولا يمكن أن نتصور نثراً هكذا فى تلك الحقبة ، دون أن يساير شعر فى قوته ، ومن معدنه ،

(٤) والنتيجة الرابعة تختص بعدم تضمن النقوش أشعارا غالبا أن النقوش كبلاغات رسمية لا يصح أن تتضمن قصيدة لشاعر ، أو أجوزة لراجز ، لأن هذه خيال وعواطف ، والحكومات لا تعنى بالخيال والعواطف ولا بالاستعارات والكنايات ، ولا بفنون البديع والمعانى والبيان ، بل أساس همها منصرف فى منشوراتها وبلاغاتها الرسمية إلى الحقائق التى تربط الحاكمين بالمحكومين ، والملوك بالسوقة ، وتبصير شعوبها بالقوانين السلبية والإيجابية (فالأولى) للتحذير مما تكرهه الحكومة حتى لا يكون ذلك من عوامل الهدم (والثانية) لتقوم الشعوب بنصيبها فى تشييد دعائم المصلحة العامة لتكون من عوامل البناء ومحال للشعب أن ينفذ القوانين إلا إذا كانت (جامعة مانعة) كما يقول المناطقة ، وكانت ألفاظها مشهورة ، ومراميها واضحة ، وحدودها كأنها حدود هندسية . وفوق هذا فإن البلاغات الرسمية من شأن الحكومة ، والصور الفنية الأدبية كالشعر من شأن الشعب أو خاصته فى الأدب ، فإذا كانت فروع الحكومة كالسلطة التنفيذية والسلطة القضائية مثلا لا يصح أن تطغى واحدة منهما على الأخرى ، أو أن تتداخل فيما ليس من اختصاصها والكل هيئات حاكمة رسمية ، فما بالك بأعمال الحاكمين وأعمال المحكومين والبون شاسع ، والهدف مختلف ! !

(عود نتائج النقش الأول)

سبقت ملاحظاتى فى ص ٢٤٥ ن كلمات النقش الأول غير الأعلام وحروف العطف ٦٧ كلمة منها نحو ٤٦ كلمة عربية كعربيتنا أو منحرفة عنها قليلا ، وأن كلمات النقش الثانى من غير الأعلام ٢٣ كلمة منها ٢٨ عربية

فنسبة المفردات اللغوية العربية فى النقش الثانى نحو ٨٤,٨ ٪ .

ونسبة المفردات العربية فى النقش الأول نحو ٦٨,٧ ٪ فيتضح من هذا أن نسبه مانقصه النقش الأول عن الثانى نحو ١٦ ٪ فى أكثر من ٣٠٠ سنة فروعة النثر الأدبى فى أيام النقش الأول ، لا بد أن تقل عنها فى أيام النقش الثانى بهذه النسبة ، أى ١٦ ٪ فلو أردنا أن نحدد طفولة الأدب العربى الحالى لكان ذلك فى رأى قبل النقش الأول بأكثر من ثلاثة قرون أخرى ، فهل فيما يكشف من الآثار ما يدل على ذلك ؟

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وذلك هو ما أرجحه . ونتيجة هذا أن طفولة الأدب العربى . أو طفولة اللهجة التى نزل بها القرآن بدأت فى عهد الإسماعيليين ، وقبل عدنان نفسه ، وهو الذى حققت فى صفحة ٤١ من هذا الكتاب ، أن زمنه كان قبل الميلاد المسيحى بنحو ثلاثة قرون .

نقش النمارة

مقابلة بين ثلاث تراجم لكل سطر بالترتيب

(١) الأولى لتاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون ص ١٩٠

(٢) الثانية « الأدب لحفنى بك ناصف « ٧٥

(٣) الثالثة « العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان « ٢٠٢

رقم السطر	رقم الترجمة	الكلمة ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
السطر (١)	١	هذا	قبر	امرىء القيس	بن عمرو	ملك	العرب	كلهم	الذى	حاز	التاج	
	٢	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	
	٣	»	»	»	»	»	»	»	»	تقلد	»	
السطر (٢)	١	وملك	الاسدين	ونزارا	وملوكهم	وهزم	مذحج	بقوته				
	٢	وتملك	الاسديين	»	»	»	مذحجا	اليوم				
	٣	وأخضع	قبيلتى أسد	»	»	»	»	إلى اليوم وقاد				
السطر (٣)	١	وجاء	إلى نزجى او (بزجى)		فى حبج	نجران	مدينة	شمر	وملك	معدا		
	٢	»	بفنائهم		فى مجتمع	»	»	»	وتملك	»	وأنزل	بنيه
	٣	الظفر	إلى أسوار			»	»	»	وأضخم	»	استعمل	بنيه
السطر (٤)	١	ارض	الشعوب	ووكله	الفرس	والروم	فلم	يبلغ	ملك	مبلغه		
	٢		»	»	»	»	»	»	»	»		
	٣		على القبائل	وأنابهم عنه	لدى الفرس	»	»	»	»	»		
السطر (٥)	١	فى الحول	هلك	سنة ٢٢٣	يوم ٧ اول	(كانون	ليسعد	الذى	ولده	الذين خلفهم		
	٢	اليوم	»	»	» »	الأول)	فليسعد	الذين	ولدهم			
	٣	إلى اليوم	توفى	» »	» أيلول	(سبتمبر)	وفق بنوه	للسعادة				

رأيي فى لغة النقوش

المشاهد فى زمننا ولاسيما قبل الحرب العالمية الكبرى، التى اشتعلت نارها فى سنة ١٩١٤م، أن لغة الوثائق الرسمية لدول العالم، كانت هى اللغة الفرنسية، وبعد انطفاء جمرتها بدأ الوعى القومى يتيقظ لدى الشعوب والدول، فأخذت بعض الدول الكبرى كروسيا وألمانيا، تسجل آراءها فى المؤتمرات الدولية وخطبها بلغتها القومية، وأخذت دائرة اللغة الفرنسية تضيق رويدا رويدا.

ومع ما بلغته هذه اللغة من الانكماش بعد الحرب العالمية الثانية تجدها لاتزال لغة الوثائق الرسمية الدولية وهذه مصر مع ما بلغته من درجات الاستقلال، يثير عجبك أن كل ماله علاقة بالأجانب يترجم إلى هذه اللغة، وفى وزارة الخارجية عندنا مايؤيد هذا. فلو أن شاديا عثر على هذه الوثائق بعد بضعة آلاف من السنين لارتبك فى معرفة اللغة الرسمية لمصر، هى العربية أم الفرنسية، وفى الحكم على المصريين: أهم من نسل العرب أم نسل الفرنسيين أما أن يطرأ على ذهنه جنس ثالث وهو الفراعنة فهو مستحيل إذ لادليل عليه فى تلك الوثائق، ولو أراد أن يهتدى إلى لغة العامة فى مصر ولغة الخاصة لكان أكثر حيرة وأكثر ارتباكا إذ لادليل عليهافيما بين يديه من تلك الوثائق الرسمية مع كثرتها وتنوعها.

هكذا الحال فى هذين النقشين: نقش «عائذ بن كهيل» على قبره فى الحجر «مدائن صالح»، ونقش النمارة لقبر «امرىء القيس بن عمرو» من ملوك اللخميين.

فلو ساغ لشخص أن يطلع على وثائق وزارة الخارجية المصرية مثلا بعد بضعة آلاف من السنين، وأن يحكم بناء على ماشاهد أن لغة العامة هى لغة الخاصة، وهما اللغة الرسمية لتلك الدولة، لساغ لنا أن نحكم الآن بأن ذينك النقشين المتقدمين وبقية النقوش الأثرية القديمة، نموذج للغة التى كانت متفشية

إذ ذاك فى مدائن صالح . وفى حوران بين الغساسنة ، وأن لسان العامة هو لسان الخاصة ، وهما صورة طبق الأصل من تلك النقوش !! .

ولكن معرفتنا نحن الآن بأن لغة مصر فى القرن العشرين للميلاد وهى اللغة العربية ، وأن اللغة الفرنسية ماهى إلا اللغة الدولية ، التى تترجم إليها الوثائق التى تهم الأجانب ، وأن اللغه العربية ثلاثة أنوع : نوع للعامة ، وثان لخاصة الأدباء ، وثالث للمنشورات الرسمية الحكومية وأن هذا النوع الأخير وسط بين النوعين السابقين ،إن معرفتنا هذه بتلك الأنواع الأربعة ، تقرب إلينا صحة الحكم بأن لغة النقوش قديما كانت هى اللغة الرسمية، وأنها غير اللغة الأدبية على الأقل ـ وما علينا من لغة العامة ـ أو اللغة الرسمية الدولية إذ ذاك ! ،

بناء عليه لايصح لباحث مدقق بعد الآن أن يحكم بأن لغة النقوش عند الأمم القديمة هى اللغة الوحيدة التى كان يستعملها (العامة) و(الخاصة) (والحكومة) فى وقت واحد .

كما لايسوغ له أن يحكم بأن أدباء العرب لم تكن لهم لغة خاصة بهم قبل المملكة القريشية أو أن العثور على آثار أدبية للعرب من شعر أو خطب قبل مجد قريش نوع من الأكاذيب وحجة هؤلاء المنكرين أن الآثار النقشـــية لم تذكر لنا بيتا واحدا من الشعر ، فضلا عن قصيدة أو مقطوعة ولم تسجل لنا جملة من آثار اللغة الأدبية فى تلك العصور الخوالى فضلا عن خطبة أو عظة .

ولو تابعنا هؤلاء بدفع من جنس دفعهم لقلنا إن كل ماوصلنا من آثار العرب الأدبية قبل الإسلام نوع من الأكاذيب ، إذ لادليل عليه من النقوش التى يتمسكون بها ، ويشيدون بذكرها ويرفضون ماعداها ! .

فإذا قالوا لنا : إن المعلقات السبع وماأشبهها وإن لم تصل إلينا على صفحات الأحجار منقوشة ، فقد وردت إلينا على ألسنة الرواة محفوظة ،

قلنا لهم : كيف تحلونه عاما وتحرمونه عاما ! . وكيف تصدقون علم الرواية ونقل الرواة فى قرن ونصف قبل الإسلام ، وتكذبون ما قبله ! ،

إن ذلك ترجيح بلامرجح كما يقول المناطقة وهو باطل ! .

ولم اخترتم الـ ١٥٠ دون ما عداها ، ولم ينزل عليكم بها وحى !

فإذا ألقوا سلاحهم ـ وما أظنهم إلا ملقين ـ قلنا لهم : إليكم دليلا ثانيا على لسان النقوش :

نص أدبى فى نقوش أثرى :

نظرة إلى اللهجات التى تضمنها نقش النمارة على قبر الملك اللخمى : « امرىء القيس بن عمرو ، المتوفى سنة ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) ترينا أن منه ألفاظا آرامية ونبطية وعربية

فكلمة (ن) يقابلها فى العربية هذا ، و « نفس » تقابلها ألفاظ كثيرة اختار لها المترجمون كلمة قبر ، بل إن هذا اللفظ دخل فى لهجة إحدى القبائل العربية ، فأطلقوه على أمور منها الجسم ، كما فى القاموس المحيط مثلا فى مادة « نفس » .

و (بر) يقابلها ابن ، و (هكدى) يقابلها اليوم .

وهذا فوق الكلمات العربية المتداولة الآن بين العامة والخاصة من العرب مثل :

(ملك العرب) و (ملوكهم)

كما نجد به بعض الأساليب العربية ، وإن تكن أشبه بأساليب العامة فى زماننا مثل : (نزل بنيه الشعوب) بتشديد الزاى ، فهى تقابل فى أساليبنا الأدبية : توج بنيه ملوكا على الشعوب مثلا .

(بيت القصيد)

وفى هذا النقش أيضا ـ وهو بيت القصيد ـ جملة رائعة كأنها أثر من آثار

الأدب العربى فى عصره الذهبى أيام الرشيد والمأمون ! هذه الجملة الرائعة هى : (فلم يبلغ ملك مبلغه)

لكأنى بمحرر هذا النص الكريم أوجس خيفة ، أن يأتى من يتشككون فى وجود الأدب العربى فى عصره ، أو فى عربية دولة المناذرة ، فتوج هذا النقش البليغ بهذا التعبير الرائع الخالد !! ليقطع الشك باليقين !! والباطل بالحق ! ولكأنى به يرسل صوته رهيبا مجاجلا فى دنيا الأدب ، هاتفا فى آذان الشعوبيين المتحالفين ، وكسالى العرب المثقفين :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا !!

ماذا جنى الأجداد حتى ينكر قدم آدابهم الحفدة ! وما جريرتهم حتى يملأ أسماطهم أعداءهم !! وماذا يضر الثقافة الانسانية ، أو الآداب العالمية ، أن تكون آداب العرب سبقت الهجرة بسبعة قرون ، بل بأكثر !

قومى استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رءوس الحقب !

إن كنتم لا تؤمنون بما قدمت من الأمثال التى برهنت على أن بعضها يسبق الهجرة بنحو ثمانية قرون — (صفحة ١٠٤) ولا بالآثار الشعرية التى برهنت على أنها قيلت فى القرن السادس قبل الهجرة على لسان أعصر بن سعد بن قيس عيلان — وغيره كثير — فماذا يحول دون إيمانكم بهذا النقش وماتضمنه من ذلك الأثر الأدبى الرائع ، وقد سبق الهجرة بنحو ٣٠٣ سنة أى قبل المدة التى سودوا بها الآداب العربية بنحو ١٥٣ سنة ، وأكثر من ضعف المدة التى أصدروا أمرهم الكريم بها ! ألم تتحدونا من قبل أن تأتى بمثل هذا النقش ! لقد لزمتكم الحجة !! فمتى تستسلمون !!

تركيز

الآن وقد وصلت إلى الغاية مما أريد ، وحلقت بالمثقفين فى سماء الجزيرة العربية وجست بهم خلال آثارها ، وبين محافدها ، ومخاليفها يحسن بى أن أذكر أهم ما حققته بنظرة خاطفة ، تجميعا لما انتثر فى هذا الكتاب ، وتركيزا

لفكره الجديدة فى الأذهان ، فالإجمال بعد التفصيل من وسائل المربين ، ومن وصايا الطرق التربوية الحديثة :

١ ـ بسطت فى هذا الكتاب لأول مرة فى التاريخ كيف نعرف أقدمية من نشأ ـ فى عصور الجاهلية ـ من شعراء العرب ، وحوداثهم ، وأيامهم ، إلى درجة لا تتجاوز العشرين سنة صعودا أو هبوطا (بنظريتى) التى أرسيت بنيانها على قواعدها الخمس .

٢ ـ وحددت (الجيل النسبى) بأربعين سنة ، مبرهنا على ما ذهبت إليه بأدلة تاريخية قديمة وحديثة ، وتوجت هذه البراهين بالقرآن والتوارة .

٣ ـ وابتكرت ما أسميته « الجيل الملكى » لأول مرة فى دنيا المباحث التاريخية ، بعد أن كان كثير من الباحثين يخلطون بين (أجيال الملوك) و (أجيال الأنساب) حتى الباحث الألمانى العظيم ، غلازر ، فقد رأى أن (الجيل النسبى) يمتد أجله ، فى الوقت الذى يرى أن (الجيل النسبى) يتقلص ظله ، فمزج الجيلين ، وخرج بنتيجة عامة يرغمهما بها على أن يكون كل منهما ٢٥ سنة وبذلك ظلمهما ! أما نظريتى فقد جعلت ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فصيرت عمر الجيل النسبى ٤٠ سنة ، ومتوسط عمر الجيل الملكى ١٥,٣ سنة .

٤ ـ وحققت أقدمية طائفة من الشعراء الذين تردد العلماء قديما فى أيهم أقدم ، سواء أكانوا من شعراء المقطعات أم من شعراء القصائد ، ثم رتبتهم جميعا فى ثلاثة جداول تعرف منها بالنظرة العاجلة أقدمية كل بالنسبة لغيره .

٥ ـ وأثبت أن أقدم قصيدة عربية فى الجاهلية ، وأطولها كانت قبل الهجرة بالتحديد بـ ٣٠٦ سنة ، وأن هذه القصيدة الخالدة كانت قصيدة شعبية خلافا لما درج عليه شعراء العرب ، الذين كانت الأنانية مراحهم ومغداهم .

٦ ـ وأن « مهلهلا » ليس أول من قصدوا القصائد ، وأن « ابن خذام » ليس أول من بكى الديار ، وأن « زهير بن جناب » أقدم منه فى هذا ، وأن

«لقيط بن يعمر الإيادى» أستاذ كل من أتوا بعده فى هذا النوع من كل من نعرفهم .

٧ ـ وأن مصدر «الوزن والقافية» فى الشعر العربى ليس بأجنبى، ورجحت أن يكون امتدادا لما سبقه من الشعر العربى عند الأمم العاربة .

٨ ـ وأوضحت بقدر ما وسعنى من البراهين أن النثر عند العرب أقدم من شعرهم ، وأنه عند غيرهم كذلك ، أو على الأقل نشأ مع شعرهم ، وسار معه ؛ إذ أن الكتابة التى يشترطها الأدباء الحداث للنثر الفنى متقدمة على هذا النثر ، ولكنها متأخرة فى تطور الأمم ، فهل من المعقول أن تظل الأمم بكماء حتى تخترع الكتابة فتسجل نثرها !

٩ ـ وأهم من كل ماتقدم أنى أثبت بعدة أدلة ، بعضها مما لا يقبل الشك أو المناقشة ؛ لأنه مسجل بالنقوش الأثرية ـ وترى صورتها فى خلال الكتاب ـ ؛ أن اللهجة التى نزل بها القرآن ليست لهجة قريش كما زعم متزلفة العلماء فى العصر العباسى ، فاحتطب فى حبلهم من جاء وابعدهم إلى اليوم ، بل هى لغة الخاصة من أدباء العدنانيين ، ومن هاجر إليهم ، ونزل بينهم من الأمم الجنوبية القحطانية ، أما اللهجة العامية لهم فقد تضمنتها لهجاتهم الخاصة ، فاستقلوا بها فى محادثاتهم القبلية ، كما استقلت لهجات الأقاليم المصرية ـ مثلا ـ بعضها عن بعض ، ولا سيما الوجه القبلى ، وأسفل الأرض ـ الوجه البحرى ـ فإن لم أكن وصلت إلى درجة الإقناع التام فيما قدمت ، فحسبى أنى زلزلت بعض المعارف المتوارثة التى رسخت فى أذهان الأدباء ؛ رسوخ العقائد الدينية ، فاكتسبت قداستها ، واتشحت بوشاحها ، والشك أول اليقين كما يقول «ديكارت» وكفانى أنى مهدت السبيل بهذه المحاولة ، التى أرجو أن تكون فاتحة عهد جديد لأدب العرب فى جاهليتهم والسلام .

عبد العزيز مشروع الأزهرى

١٤ / ١٢ / ١٣٦٩ هـ
٢٦ / ٩ / ١٩٥٠ م

(١) فهرس موضوعات

« الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلى »

العدد	الصفحة	الموضوع
	(ا)	الإهداء
	(د)	شكر وتقدير
١	١	تمهيد المؤلف
٢	٥	لماذا لا نهتم بتراث أجدادنا؟
٣	٦	العرب
٤	٧	دول العرب العاربة
٥	٨	أشهر سدود اليمن
٦	٩	تاريخ سد مأرب
٧	٩	الدولة البابلية الأولى
٨	١٠	العمالقة
٩	١٠	الأنباط ولغتهم
١٠	١١	الدولة المعينية
١١	١١	دولة سبأ
١٢	١٣	بينى وبين جرجى زيدان
١٣	١٤	دولة حمير
١٤	١٦	دول اليمن الصغرى
١٥	١٧	الزباء أو زينوبيا
١٦	٢١	دولة الغساسنة
١٧	٢١	تصحيحى مدتهم
١٨	٢٣	حيرة جرجى زيدان فيها
١٩	٢٤	كيف ابتكرت عمر الجيل الملكي
٢٠	٢٩	الغساسنة وتشجيعهم الأدب
٢١	٣٠	دولة كندة
٢٢	٣٤	مصرع حجر أبى امرىء القيس
٢٣	٣٤	الشك فى قحطانية دول الشمال
٢٤	٣٥	رأى فى قحطانيتهم
٢٥	٣٨	طسم وجديس
٢٦	٣٩	ماينسب إليهم من الشعر
٢٧	٤٠	العرب المستعربة
٢٨	٤٠	ردى على الأستاذ بيهم
٢٩	٤٣	زمن إسماعيل النبى
٣٠	٤٤	زمن بختنصر
٣١	٤٥	القحطانيون ومؤرخو العرب
٣٢	٤٧	فوضى تاريخهم
٣٣	٤٨	بين العاربة والمستعربة
٣٤	٤٩	نماذج من تمحل العلماء
٣٥	٥٠	فضل الملوك على التاريخ
٣٦	٥١	خلود الآباء
٣٧	٥٢	كيف نبتعث مجدنا الطمور ؟
٣٨	٥٤	نصيبى المتواضع
٢٩	٥٦	قيمة تشجير الأنساب
٤٠	٥٧	عمر الجيل
٤١	٥٨	تاريخ عمر الجيل
	٦٠	تقاريبى لتعيين الزمن الجاهلى

فهرس الموضوعات

العدد	الصفحة	الموضوع
٤٢	٦٢	تحقيق زمن قحطان وعدنان
٤٣	٦٧	بينى وبين بحاثة
٤٤	٦٨	تحقيق زمن سيل العرم
٤٥	٧٥	عمر الخيل فى الكتب المقدسة
٤٦	٧٦	نماذج من اختلاف المؤرخين
٤٧	٧٩	الاختلاف حتى فى الكتاب المقدس
٤٨	٨٢	كيف حددت زمن امرىء القيس
٤٩	٨٥	أسس نظريتى مجملة
٥٠	٨٩	ماجدوى هذه الأسس ؟
٥١	٩١	تدرج الأدب نثرا وشعرا
٥٢	٩٢	أيهما أسبق : النثر أم الشعر
٥٣	٩٤	النثر أسبق
٥٤	٩٧	درجات الشعر
٥٥	٩٧	تدرج بحور الشعر
٥٦	٩٨	أقدم البحور الشعرية
٥٧	٩٩	مصدر الوزن والقافية
		أقسام الكتاب :
٥٨	١٠١	(١) القسم الأول
٥٩	١٠١	الأمثال المنسوبة
٦٠	١٠٩	نموذج للغة المحادثة قديماً
٦١	١٠٩	حجة المنكرين لقدم الآثار الأدبية
٦٢	١١١	دفاعى
٦٣	١١٥	اللهجات المنبوذة وأصحابها
٦٤	١١٥	الشعر العربى « تمهيد »

العدد	الصفحة	الموضوع
٦٥	١١٧	البذرة الأولى للشعر
٦٦	١١٧	رأى نظريتى فى هذه الرواية
٦٧	١١٨	أقدم القصائد الطوال
٦٨	١١٩	أقدم الدواوين الشعرية
٦٩	١٢١	قصيدة لقيط وتحليلها
٧٠	١٢٣	(٢) القسم الثانى شعراء المقطوعات فى الجاهلية
٧١	١٢٤	أقدم المقطوعات لطى ابن أدد
٧٢	١٢٦	مبدأ ذوبان اللغة القحطانية فى العدنانية
٧٣	١٢٨	ثمانية من شعراء المقطوعات
٧٤	١٢٩	دويد بن زيد الفضاعى
٧٥	١٣٢	نهد جد دويد
٧٦	١٢٦	أعصر بن سعد
٧٧	١٣٨	شاعر المزارعة : المستوغر
٧٨	١٤١	الأمير الشاعر زهير ابن جناب
٧٩	١٤٣	سهو الأب لويس شيخو الآثار الأدبية لزهير ابن جناب
٨٠	١٤٣	
٨١	١٤٧	الملك الشاعر : جذيمة الوضاح

فهرس الموضوعات

العدد	الصفحة	الموضوع
٨٣	١٤٨	آثاره الشعرية
٨٤	١٥٠	لجيم بن صعب
٨٥	١٥١	حفدته من الخالدين
٨٦	١٥٢	دلالة شعره
٨٧	١٥٣	العنبر بن عمرو
٨٨	١٥٥	شعره
٨٩	١٥٦	ابن خذام
٩٠	١٥٧	إشارة امرىء القيس إليه
٩١	١٥٩	لم ادعاه بنو كلب
٩٢	١٦٠	زمنه
٩٣	١٦١	أول من بكى الديار
٩٤	١٦٣	بهرام جور ملك الفرس من شعراء المقطعات
٩٥	١٦٤	منهج تربيته
٩٦	١٦٥	نموذجان من شعره
٩٧	١٦٦	صحة شعره
٩٨		(٣) القسم الثالث
٩٩	١٦٧	شعراء القصائد في الجاهلية
١٠٠	١٦٨	أول شعراء القصيد في نظر الرواة
١٠١	١٧١	مهلهل بن ربيعة وميلاده
١٠٢	١٧٣	بين مهلهل وزهير بن جناب
١٠٣	١٧٤	يوم خزازى
١٠٤	١٧٥	حرب البسوس
١٩٥	١٧٨	عمرو بن قميئة
١٠٦	١٨٠	أبو دواد الإيادى
١٧٠	١٨٤	الأضبط بن قريع
١٠٨	٨٦	امرؤ القيس وأقدميته
١٠٩	١٨٧	عبيد بن الأبرص «
١١٠	١٩٠	على يد من كان مصرعه؟
١١١	١٩٣	المرقش الأكبر وميلاده
١١٢	١٩٦	الأفوه الأودى وأقدميته
١١٣	٢٠٤	مناقشة رأى الدكتور طه
١١٤	٢٠٨	المستشرقون والادب الجاهلى
		(٤) القسم الرابع
١١٥	٢١٠	لهجة القرآن ليست قريشية
١١٦	٢١٢	رأى الدكتور طه
١١٧	٢١٤	براهينى :
١١٨	«	الدليل المنطقى
١١٩	٢١٥	« القبلى
١٢٠	٢١٦	« الزمنى
١٢١	٢١٧	إجماع الرواة الخ
١٢٢	٢١٩	فضل الرواة
١٢٣	٢٢٠	موازنة بين الروايات والنقوش

فهرس الموضوعات

العدد	الصفحة	الموضوع
١٢٤	٢٢٠	من النقوش ماهو زائف
١٢٥	٢٢١	رواة العرب :
١٢٦	٢٢٢	الكسائى والأصمعى
١٢٧	٢٢٣	أبو محلم الشيبانى ، وبندار
١٢٨	٢٢٤	كتيبة الوضاعين :
١٢٩	»	حماد الراوية وأمثاله
١٣٠	٢٢٥	مصادر الرواية
١٣١	»	مراكز الثقافة العربية العباسية
١٣٢	٢٢٧	صنيع الوضاع فى مصرع الزباء
١٣٣	»	غرضهم من الاختلاق
١٣٤	٢٢٨	الخلايا الشعوبية
١٣٥	»	رأى علما اللغات فى لهجة قريش
١٣٦	٢٣٠	النفوذ الاقتصادى لقريش
١٣٧	٢٣١	النصوص الأدبية قبل قريش
١٣٧	٢٣٣	عامر بن الظرب قبل قريش
١٣٨	»	خمسة أدلة على قدمه .
١٣٩	٢٣٧	عظة كعب بن لؤى قبل قصى
١٤٠	٢٣٩	أصمى سهم فى كنانة المعارضين
١٤٢	٢٤٢	القرآن يعترف بعربيته لا بقريشيته ٩ مرات
١٤٢	٢٤٣	دليل النقوش ينفى لهجة قريش
١٤٣	٢٤٣	نقش عائذ بن كهيل

العدد	الصفحة	الموضوع
١٤٤	٢٤٤	ترجمته باللغة العربية الحالية
١٤٥	٢٤٥	ملاحظات على هذا النقش
١٤٦	٢٤٦	قيمة اللغات العامية
١٤٧	٢٤٧	النقش الثانى : نقش النمارة
١٤٨	٢٤٧	قيمة هذا النقش
١٤٩	٢٤٠	صورة النقش
١٥٠	٢٤٨	تفسير أسطره بلهجتنا الحالية
١٥١	٢٤٩	التاريخ البصروى والميلادى والهجرى
١٥٢	٢٤٩	من نتائج النقش الثانى
١٥٣	٢٥٢	ثلاث تراجم له
١٥٤	٢٥٣	رأيى فى لغة النقوش
١٥٥	٢٥٦	تركيز الختام
١٥٦		الفهارس :
١٥٧	٢٥٩	(١) فهرس الموضوعات
١٥٨	٢٦٣	(٢) فهرس الأعلام
١٥٩	٢٧٢	(٣) فهرس الشعراء
١٦٠	٢٧٤	(٤) فهرس الصحابة
١٦١	٢٧٨	(٥) فهرس الجداول
١٦٢	٢٧٩	(٦) فهرس الأمثال
١٦٣	٢٨٠	(٧) فهرس الاستدراك
١٦٤	٢٨٢	(٨) فهرس المراجع

(٢) فهرس الأعلام

الألف

آدم ـ الشعر المنسوب له ٣ : ٢٢

إبراهيم بن سيدنا محمد ـ تاريخ وفاته ١ : ٩

إبراهيم بك مصطفى ـ رأيه فى عمر الجيل ٦٧ : ٧ وصفحة ٦٨

ابن حزم الأندلسى ـ إشارته إلى عمر الجيل ٥٨ : ١٢، روايته فى نسب ابن خذام ١٥٦ : ١٦

ابن خلدون ـ رأيه فى البدو والحضر ١٣٧ : ١ ، له الفضل فى عثور المؤلف على عمر الجيل ٥٨ : ٢

ابن دأب ـ جرأته فى اصطناع الشعر ٢٢٦ : ٢

ابن دريد ـ تمحله فى الاشتقاق ٤٩ : ٢٣

ابن سلام الجمحى ـ رأيه فى أول من قال الشعر ٩١ : ١١ ، روايته فى زمن ظهور القصائد ١٢١ : ٥ مما اختاره من الشعر القديم ١٢٨ : ١ ، روايته عن أعصر ابن سعد ١٣٦ : ١٤ ، توثيقه بعض أشعار العنبر التميمى ١٥٥ : ٨

ابن عبد ربه ـ روايته فى المستوغر ومعاوية ١٤٠ : ١٥

ابن قتيبة ـ سخريته من المتعصبين للقديم ١٧٦ : ١٦ ، نقله أن المستوغر عاش ٣٢٠ سنة ١٣٨ : ٢٠، روايته عن المستوغر وحفيده ١٣٩ : ١٧ ، وعن زهير بن جناب عند غزو الحبشة ١٤٣ : ١٠ ، ما رواه فى نسب ابن خذام ١٥٦ : ١٨

ابن قسطنطين الرومى ـ غرامه بالوضع ٢٢٦ : ١٠

ابن الكلبى ـ روايته فى المعبد: رضا ١٢٩ : ٩

ابن نباته ـ استشهاده بشعر عمرو ابن عدى ١٤٩ : ٩

أبو العباس السلمى ـ سجل بشعره سدود يحصب ٨ : ١٠

أبو العلاء بن صاعد ـ كان من الوضاعين ٢٢٤ : ١٤

أبو عمرو بن العلاء ـ استهانته بشعر المعاصرين ٧٧ : ١ ، تعليله لإيجاز العرب ٩٦ : ٢٤

أبو غبشان ـ أسكره قصى واشترى منه مفاتيح الكعبة ٦٣ : ٢٥

أبو الفرج الأصفهانى ـ إشارته إلى عمر الجيل ٥٩ : ١ ، يروى امتناع الرواة عن شعر أبى دواد ١٨٣ : ١

فهرس الأعلام

أبو قابوس = النعمان بن المنذر
أبو محلم الشيبانى - كان نادرة فى صدق النقل ٢٢٣ : ١٢
أبو المهوش - جوابه لمن سأله : لم لا تطيل الهجاء ؟ ١٩٧ : ١
أحمد باشا كمال - يحدثنا عن اختلاف المؤرخين ٧٨ : ٦
الأخفش - كشفه بحر المتدارك ٩٩ : ٨
ادورد براونلشر - إنصافه العرب فى جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠
استرابون - تسجيله أخبار سبأ ١٢ : ١
أسد بن خزيمة - زمنه ١٢٣ : ١٧
إسرائيل ولفنسون - كتابه من مراجع المؤلف ٢٥١ : ١٩
إسماعيل باشا - رغبته فى نشر اللغة التركية ٣٦ : ١٠
إسماعيل النبى - كان فى القرن ١٩ ق م ٧٤ : ١٠، المدة منه إلى الإسلام ٧٤ : ١٩
الأصفهانى = أبو الفرج
الأصمعى - فى بعض رواياته أن تاريخ القصائد سبق الهجرة بأربعمائة سنة ٢ : ٨، كان من مؤلفى الأمثال ١٠٢ : ١
الأفعى الجرهمى - معاصرته نزار ابن معد ١٠٤ : ٦
البرت جام - تنقيبه عن آثار اليمن ٥٣ : ١٨
الكسندر هونيمان - عضو البعثة الأمريكية فى اليمن ٥٣ : ١٨
إلياس بن مضر - لهجته العربية ١٠٥ : ٧
امرؤ القيس بن عمرو - صاحب نقش النمارة ١٤ : ١٠، تعليقاتى على نقشه ٢٤٨ : ١١
امرؤ القيس بن النعمان - صاحب الغريين ١٩ : ١٠
امنحتب الثالث - سيتى الأول يطمس نقوشه ٢٢١ : ١
أندريه مالرو - استعانته بأنيس باشا المصرى ٥٤ : ٥
أنستانس الكرملى - عثرته فى تحديد سيل العرم ٦٩ : ٤
أنوشروان - عاصره امرؤ القيس الشاعر ٧٨ : ٦

(ب)

البخارى - يروى ما كان عند جمع القرآن ٢٣٩ : ٢٢، روايته عن منبع النيل ٢٤٠ : ١٣
بختنصر - دعوى معاصرته عدنان ٤ : ١٢
برة بنت مر أخت تميم - تزوجها

فهرس الأعلام

خزيمة بن مدركة ثم ابنه كنانة ١٣٣ : ١٠

برسفال ـ أبحاثه فى أنساب العرب ٦٧ : ١٠ عمر الجيل عنده ٦٨ : ٤

البغدادى ـ روى قصة خروج مزيقيا ٦٥ : ١٧

بكر بن عوف ـ من أجداد زهير ابن جناب ١٤٢ : ١

بندار الراوية ـ كان عجيب الحافظة ٢٢٣ : ٢١

(ت)

تحتمس الثالث ـ اعتداء رمسيس الثانى على نقوشه ٢٢١ : ٩

الترمذى ـ روايته عن جمع القرآن ٢٣٩ : ٢٢

(ث)

ثعلبة بن حنظلة الوائلى ـ صاحب القبة يوم ذى قار ١٥١ : ١٧

ثعلبة بن الظرب ـ أخو حكيم العرب ٢٣٤ : ١

ثمامة ـ جد أصحاب مدينة المعافر ١٥ : ١

ثوربيكة ـ اعترافه بأدب العرب فى جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠

(ج)

الجاحظ ـ اعترافه بوضعه نسيب الأعراب ٢٢٧ : ٣

جبلة الغسانى ـ أول من ذكره اليونان من أمرائهم ٢٧ : ٢

جذع بن سنان ـ صاحب المثل ٢٤ : ٢٣ ، مهد السبيل لقيام دولة الغساسنة ٢٥ : ٣

جذيمة الوضاح ـ أشهر ملوك المناذرة ١٩ : ٨ ، تحقيق زمنه ٧٢ : ١

من معاصرى عامر بن الظرب ١٠٧ : ١٤ ، ترجمته وأقدميته ١٤٧ : ٣ ، أخته رقاش وغرامها ١٤٨ : ١٥ ، من شعره ١٤٨ : ٢٠

جندب بن العنبر ـ محادثة له بالمرجة القرآنية ١٠٩ : ٧

جرجى زيدان ورأيه فى زمن سيل العرم ٢٣ : ٢ ، حيرته فى تاريخ الغسانيين ٢٣ : ٩ ، احتياطه عند ذكر الحرب المزعومة بين عدنان وبختنصر ٢٣ : ١٢ متابعته لغلازر فى تحديد عمر الجيل ٨٥ : ٦

جوستنيان ملك الروم ـ زمنه ٨٤ : ١١ موت ابن قتيبة فى طريقه إليه مع امرىء القيس ١٧٩ : ١٦ الأستاذ جيمس

فهرس الأعلام

هنرى برستد ـ حديثه عن عبث القدماء بالنقوش الأثرية ٢٢٠ : ٢٢

(ح)

الحارث الأول ـ أقدم من عثر عليه من ملوك الأنباط ١٠ : ١٨
الحارث الثانى ـ من ملوك الغساسنة ٢٣ : ١٣
الحارث الرابع ابن جبلة ـ انتصاره يوم عين أباغ ٢٧ : ١٠ ، توسطه لامرىء القيس الشاعر عند قيصر ٢٧ : ١٤
الحارث بن أبى شمر الخامس أكبر ملوك غسان ٢٤ : ٨ ، جعل من كتابه المرقش الأكبر ١٩٤ : ٤
الحارث بن عباد ـ احتجاجه على قتل كليب ١٧٦ : ١
الحارث الكندى ـ مصرعه ٣٣ : ٥
الحارث بن مالك بن فهم ـ ابن عم جذيمة الوضاح ٧٢ : ٩
حبى الخزاعية ـ زوجة قصى وبسببها استولى على الكعبة ٦٣ : ٢٤
حجر بن الحارث ـ أبو امرىء القيس كان يعاصر أبا دواد ١٨١ : ١٠ كان يعاصره عبيد بن الأبرص ١٨٩ : ٧ ، قتله بعض بنى أسد ١٩١ : ١٧ ، لم ذبحه بنو أسد ؟ ١٩١ : ٨
حزيمة بن نهد ـ كان السبب فى هجرة قضاعة ٧٣ : ١٥ ، ٧٤ : ٥ تحقيق زمنه ٧٤ : ١ حسان ابن تبع ـ أخو حجر بن عمرو الكندى لأمه ٣٠ : ١٣ ، توليته حجرا على معد كلها ٣٠ : ١٨ ، إغاثته طسم ٣٩ : ١ حماد الراوية ـ أول من فضح أمره من الرواة الوضاعين ٢٢٤ : ٦ كان بلاء على الشعر ٢٢٦ : ١٣

(خ)

الخضرى بك ـ نقله عن سيديو زمن سيل العرم ٧١ : ١٠ خلف الأحمر ـ كان من الرواة الوضاعين ٢٢٤ : ١٤ ، وكان فى اختلافه كحماد الراوية ٢٢٦ : ٢٠

(ذ)

ذؤيب التميمى ـ من أشعر شعراء القصيد ٢ : ٦
ذو الرمة ـ سرقته من شعر زهير ابن جناب ١٤٦ : ٤

فهرس الأعلام

ذو نواس - صاحب الأخدود
١٤ : ١٢
اشتداده فى تحريق نصارى نجران
بالأخدود ١٤٣ : ٤

(ر)

ربيعة أبو كليب — قيادته الثائرين
ضد زهير بن جناب ١٤٥ : ١١
رقاش — من شعرها تعارض أخاها
الملك جذيمة ١٤٩ : ١
رهم بنت الخزرج — زوج سعد
أبى المزارعة ١٠٦ : ١٦
رمسيس الثانى — محا اسم أخيه
وكتب اسمه بدله على النقوش
٢٢١ : ٣
رينان - ممن قدروا أدب العرب
فى الجاهلية ٢٠٩ : ١٠

(ز)

الزباء — زنوبيا — تملكها بعد مصرع
أبيها ١٥٠ : ٩
الزبير بن بكار - روايته فى سبب
وضع الشعر العربى ١١٧ : ٦

(س)

سابور ذو الأكتاف — إجلاؤه
العرب عن بلاده ١١٨ : ١٣ ،
زحفه على تميم بالبحرين ١٥٤ : ٢
شاباس — لجأ إلى عد الأزمنة
القديمة بالقرون بدل السنين
والسبب ٧١ : ١
سانت نيلوس — سجل أناشيد
العرب فى القرن الرابع الميلادى
إعجابا بها ٢١٠ : ٢
السجستانى — أكتابه المعمرون
وميزته ١٢٤ : ٤
سعد بن زيد مناة — أبو المزارعة
وزوج رهم ١٠٩ : ٩ محادثة له
باللهجة القرآنية ١٠٧ : ٣
السفاح التغلبى — من أبطال يوم
خزازى ١٧٥ : ٦
سلمة بن الحارث الكندى - مملكته
١٠٢ : ٦
سمهعلى ينوف بانى سدمأرب ١٠ : ٩
السموءل - استودعه امرؤ القيس
دروعه ٢٤ : ١٩
سوزومين — سجل غناء العرب
بأشعارهم فى القرن الرابع
الميلادى ٢١٠ : ٤
سليم بن فهم - عم جذيمة الوضاح
٧٢ : ٨
سيتى الأول - طمسه نقوس امنحتب
الثالث ٢٢١ : ١

سيديو ـ تقديره زمن سيل العرم ١٢٠ ق م ٧١ : ١١
السيوطى ـ نقل شعرة بعض الشعراء بشعرهم ١٧٤ : ٦ ، روايته عن كاتب مصحف عثمان ، وعليه ٢٣٦ : ٢٠

(ش)

شرحبيل بن الحارث الكندى ـ مملكته ٢٢ : ٢
الشرقى بن القطامى ـ جرأته فى الوضع ٢٢٦ : ٥
شقة بن ضمرة التيمى ـ هو القائل المرء بأصغريه ١٠٨ : ١٥
شمر يرعش ـ أول ملوك التبابعة ١١ : ٩
الشنفرى ـ نحله خلف الأحمر لامية العرب ٢٢٦ : ٢٣
شيشرون ـ خطيب رومانى دوت شهرته قبل الميلاد ١١٢ : ٣ ، خلد لغة اللاتين طويلا بآدابه ١١٣ : ٥

(ض)

ضبة بن أد ـ أمثاله الثلاثة ١٠٦ : ٥
ضمرة الكنانى ـ من أوائل شعراء القصيد ٢ : ٦

(ط)

الدكتور طه حسين ـ مبلغ ثقته بابن سلام الجمحى ١٥٥ : ٢٣ ، امرؤ القيس عنده من أقدم الشعراء المكثرين ١٨٧ : ٢ إنكاره شعر عبيد فى جملته ١٩٠ : ١٢ ، تزييفه أكثر شعر الجاهلية ٢٠٤ : ٨ ، شعراء الجاهلية الفائزون باعترافه بهم ٢٠٤ : ٩ ـ ١٠ ، فى رأيه أن أعصر بن سعد كان قبل الإسلام بألف سنة ٢٠٤ : ١٥ ، ظنه أن إسماعيل سبق الإسلام بأكثر من ١٥ قرنا ٢٠٥ : ١٥ ، فى رأيه أن ربيعة كانت تجهل لغة القرآن فى الجاهلية ٢٠٦ : ٢٣ ، وأن استعرابها بعده كان أيسر من استعراب القحطانيين ٢٠٧ : ٢ نفيه كل شعر ينسب لربيعة فى الجاهلية ٢٠٧ : ١٠ ، رأيه فى لهجة قريش ٢١٢ : ٣
طفيل اليغوثى ـ كهلانى ٣٩ : ٧

(ع)

عائذ بن كهيل ـ صاحب أقدم نقش عربى ٢٤٣ : ١٢

فهرس الأعلام

عامر بن الظرب ـ من أمثاله ١٠٧ : ٧
تحقيق ميلاده ٢٣٣ : ٤ ، دلالة
ذى الإصبع العدوانى على قدمه
٢٣٣ : ١٩ ، أول من اجتمعت
معد تحت قيادته ٢٣٩ : ٨ ،
زحفه على خزاعة لاستيلائه
على الكعبة ٢٣٥ : ٥

عبدالله بن الزبير ـ شهد لشعر الأفوه
٢٠٠ : ٦

عدى بن زيد ـ رئيس القلم العربى
لدى الأكاسرة ٢٩ : ١٦

عفيرة ـ طهرت أعراض قومها
بدمائهم ٣٩ : ١٥

علقمة الفحل ـ من مداح الغساسنة
٢٩ : ١٩ ، عمرو بن تميم ـ شفاعته
لقومه عند كسرى ١٥٤ : ٦

عمرو بن الحارث الأصغر ـ لجأ
إليه النابغة ٣٠ : ١

عمرو بن حجر الكندى ـ ضعف
شأنه لسقوط اليمن فى يد الحبشة
٣٠ : ٢١

عمرو بن الظرب أبو الزباء ـ مصرعه
١٥٠ : ٧

عمرو بن عبدالله ـ قتل المنذر بن ماء
السماء ١٥١ : ١٩

عمرو بن عدى اللخمى ـ توليه بعد
حذيمة الوضاح ١٠٧ : ٢٢ ،
أول بنى نصر ملوك الحيرة
١٨٧ : ٢٢ أكثر ملوك الحيرة
من نسله ٢١ : ١

عمرو بن عمرو بن عدى ـ قوله ،
الصيف ضيعت اللبن ١٠٨ : ١٩

عيسى بن مريم ـ هل أدرك الأفوه
الأودى زمنه ؟ ١٩٦ : ٥

(غ)

غلازر ـ عمر الجيل عنده ٢٤ : ١ ،
٢٩ : ١ تحديده زمن سيل العرم
٩ : ١٥ ، ٧١ : ٧ ظنه لحيان
من بقايا ثمود ١٤ : ١ رأيه فى
الجبئية ١٥ : ٢ ، لم يعرف عمر
الجيل الملكى ٢٤ : ٧ ، تحديده
قيام دولة سبأ ٦٢ : ١٨

(ق)

قباذ ملك الفرس ـ ثورة ربيعة فى
عهده ٣٢ : ٩ ، تخليه عن نصر
المنذر ٣٢ : ١٨ ، كان أبو دواد
الإيادى يعاصره ١٨١ : ١٠

قصى ـ لم يبن مجد قريش إلا بعد
نضج اللغة العربية ٢١٥ : ١٩ .

فهرس الأعلام

منه إلى عصر النبوة نحو ٣٠٠ سنة ٢١٧ : ٣ ، كان أول ملوك قريش ٢٣٠ : ١
قطرب ـ كان من الرواة الوضاعين ٢٤٤ : ١٤

« ك »

الكسائى ـ ورعه فى الرواية ٢٢٢ : ١٠
كعب بن لؤى ـ سبق قصيا بنحو ١٥٠ سنة ٢٣٧ : ١٥

« ل »

لبيد بن عمرو الغسانى ـ قتل المنذر الرابع غيلة ٢٧ : ١٤

« م »

مالالاس المؤرخ ـ خبره عن الحارث ابن جبلة ٢٧ : ٧
مالك الثالث ـ آخر ملوك الأنباط ٢٧ : ٢٣
مالك بن حريم ـ سجل بشعره بعض محافد اليمن ١١ : ٤
مالك بن فهم ـ أبو جذيمة الوضاح ٧٢ : ٨
الأستاذ محمد جميل بيهم ـ تصديقه الحرب العدنانية البختنصرية ٤١ : ٤ زعمه وجود العدنانيين فى القرن ١٨ ق م ٤١ : ١٤ ، ظنه أن التوراة ذكرت العدنانيين ٤٢ : ١٩
محمد على باشا ـ حرصه على نشر التركية مع العربية ٣٦ : ٧ ، المدة منه إلى الملك فاروق ٦٦ : ١٣
محمد عوفى سجل شعرا عربيا لبهرام جور ملك الفرس ١٦٦ : ١٠
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ـ حجة فى الأحاديث النبوية (د)
محمود باشا الفلكى ـ ما حققه من التاريخ بعلم الفلك ١ : ٧
مزروع ـ جد المؤلف ٣٧ : ٢١ حفيده المستوغر الشاعر ١٣٨ : ٨ رضا كان معبدا لحفدته من ربيعة ١٣٩ : ١٢ ، من حفدة مزروع الأصغر الأضبط بن قريع الشاعر ١٨٤ : ١٩ ، أولاده يطلق عليهم الخدعة ١٨٦ : ٢٢
المسعودى ـ روايته عن زحف ذى الأكتاف على تميم ١٥٤ : ٥
سجل شعر الملك بهرام ١٦٥ : ٩
مسيلمة الكذاب ـ من عشيرة الشاعر لجيم بن صعب الوائلى ١٥١ : ٤

فهرس الأعلام

الأستاذ مصطفى السقا ـ أديب نقاده (د)
معديكرب الكندى ـ مملكته ٣٢ : ٨
المنذر الثالث ـ آخر ملوك الأنباط ٢٧ : ٢٣
المنذر الرابع ـ حملته على الحارث الغسانى يوم عين أباغ ٢٧ : ١٣
المنذر بن امرىء القيس ـ ابن ماء السماء ـ مصرعه يوم عين أباغ ٢٧ : ٨ ، كان أبو دواد جاره ١٨١ : ٩
المنذر بن قباذ ـ توليه العرش ٣٢ : ١٢
المنذر بن النعمان الأعور ـ كان أبو دواد على خيله ١٨١ : ٧
ميسون بنت بحدل ـ زوج معادية ١٤٢ : ٣

« ن »

نافع بن الأزرق ـ مؤسس الأزارقة ١٥١ : ٢٠
نزار بن معد ـ بعض الأمثال العربية فى عهده ١٠٤ : ٦
النضر بن كنانة ـ زمنه ١٣٣ : ١٤
النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ـ أشرف على تعليم العربية وآدابها لولى عهد الفرس ١٦٤ : ٨
النعمان بن المنذر ـ أبو قابوس
نولدكى ـ رأيه فى جبلة أول ملوك غسان ٢٧ : ٥
نونوز ـ مؤرخ يونانى ٨٤ : ٤
نوح ـ الغربيون يبحثون الآن عن سفينته ٥ : ٤
نورنيليرن ـ إسترشد بأنيس باشا عن اليمن ٥٤ : ٦
نيلسكون ـ من الغربيين المنصفين للأدب الجاهلى ٢٠٩ : ١٠

« هـ »

هاشم بن عبد مناف ـ وضعه المجد التجارى لقريش ٢٣٠ : ١٢ ، اتصاله بقيصر لهذا ص ١٣ ، طلبه منه أن يؤمن قريشا فى تجارتها ص ١٩
هبل ـ جدق هبير بن جناب ١٤٢ : ١٧
هتلر ـ حرية الناس فى التسمية باسمه ٣٨ : ١
الهمدانى ـ روايته عن سدود يحصب ١٤ : ٢٢ ، يذكر من محافد اليمن براقش ومعين ١١ : ٢

« و »

وليم البرايت ـ من علماء أمريكا الذين يبحثون عن آثار عدن ١٥٣ : ١٦

فهرس الأعلام

« ى »

يزدجرد الأول — مظهر عنايته بالعربية وآدابها ١٦٤ : ٧
اليعقوبى — روايته عن هوان قريش قبل قصى ٢٢٩ : ٢١
يوسف النبى — قصته فى التوراة ٤١ : ٧ ، قصة إخوته فى الإصحاح ٣٧ ؛ ٤٢ : ١٣ ، العرب فى عهده إسماعيليون ٤٢ : ٢٥ ، اسم أخيه ٥٠ : ١٩

(٣) فهرس الشعراء

الألف

الأضبط بن قريع — أقدميته فى القصائد ١٨٤ : ١٥ ، تحقيق أقدميته ١٨٥ : ٤ ، آثاره الأدبية ١٨٦ : ١
الأفوه الأودى — شعره فى تقلبات الزمن ١٣١ : ١٩ ، قدمه ١٩٦ : ٢ شعره وأغراضه ٢٠٠ : ٢ ، تلمذته للأضبط المزروعى ٢٠١ : ٨
ابن خذام — ميلاده وحيرة الرواة فى أمره ١٥٦ : ١٥ إشارة امرئ القيس إليه ١٥٧ : ١٥ ، ما يحفظه أعراب بنى كلب من شعره ١٥٧ : ١٨ ، لم ادعوه ؟ ١٥٩ : ٣ ، ليس أول من بكوا الديار ١٦١ : ١٤
أبو دواد الإيادى — تحقيق أقدميته ١٨٠ : ١١ منزلته الشعرية ١٨٢ : ١٦ ، أغراضه التى نبغ فيها ١٨٣ : ٧
أعصر بن سعد — ترجمته ١٣٦ : ١٢ ، ما وصلنا من شعره وتحليله ١٣٧ : ١٢
امرؤ القيس الشاعر — تحقيق زمنه ٨٢ : ١٦ ، والاستدلال بعشيرته الأقربين ٨٣ : ٣ ، زمن وفاته ٨٤ : ٧ ، رأى الدكتور طه فى قدمه وكثرة شعره ١٨٧ : ٢

« ب »

بهرام جور ملك الفرس — من شعراء المقطوعات العربية ١٦٣ : ١٣ ، منهج تربيته عند العرب ١٦٤ : ١٢ مقطوعتان من شعره ١٦٥ : ١٢ — ١٩ ، صحة شعره ١٦٦ : ١ ، سبب إعراضه أخيراً عن الشعر ١٦٧ : ٢

فهرس الشعراء

«ج»

جذيمة الوضاح — ترجمته ١٤٧ : ٣ ؛ آثاره الشعرية ١٤٨ : ١٠ ، من شعره ١٤٩ : ٨ ، استدلالى بآثاره على نفى اللهجة القريشية ١٤٩ : ١٨

«د»

دويد بن زيد القضاعى — أنشد وقد حضرته الوفاة ١٢٨ : ٢-٤ ، وصاته لبنيه ١٣٢ : ٩ ترجمته ١٢٩ : ١

«ز»

زهير بن جناب الكلبى — ترجمته وتحقيق زمنه ١٤١ : ١٠ آثاره الأدبية ١٤٣ : ١٦ ، خصاله العشر ١٤٤ : ٣ ، ماقاله من الشعر وقد أطفأ ثورة بكر وتغلب ١٤٥ : ١ ، ذو الرمة يسطو على شعره ١٤٦ : ٤

«س»

سعد بن زيد مناه أبو المزارعة — شعره فى السيادة ١٠٩ : ١٨

«ط»

طفيل اليفوثى — من شعراء كهلان ٣٩ : ٧

طى بن أدد — له بيتان من بحر السريع ١٢٦ : ١ ٢

«ع»

عبيد بن الأبرص — تحقيق زمنه ١٨٧ : ٤ ديوان شعره ١٩٠ : ١٠ من شعره « ص١٣ » الملاحاة بينه وبين امرىء القيس ١٩١ : ١٢ على يد من كان مصرعه ١٩١ : ١٦ ، تضارب الرواة فى قاتله ١٩٢ : ١٤

«ل»

لجيم بن صعب الوائلى — ميلاده ونسبه ١٥٠ : ١٤ حفدته من الخالدين ١٥١ : ١٤ ما عثر عليه من شعره ١٥٢ : ٥ دلالة شعره ص ١٤

لقيط بن يعمر الإيادى — أقدم قصائد الجاهلية كانت له ١١٨ : ٧ سابور يسجنه ١١٨ : ١٢ قصيدته الدالية وزمنها ١١٨ : ١٩ قصيدته العينية ١٢١ : ١٦ ، قرضه أول شعر شعبى عربى ١٢٣ : ٧ سبقه فى بكاء الديار ١٦١ : ١٩ ديوانه أقدم ديوان ١٦٣ : ١٩

«م»

المتنبى — بيته فى شكوى الزمن ١٣١ : ٢٣

فهرس الشعراء

المرقش الأكبر — ميلاده ١٩٣ : ١
أقدميته ومنزلته «ص١٦»، نسبه
٢٠-٢٢ شعره ١٩٤ : ٢٠ أشهر
ماوصلنى من شعره ١٩٥ : ٦

(٤) فهرس الصحابة «١٤٥ صحابيا»

الألف

إبراهيم بن قيس ـ أودى ١٩٧ : ٨
الأسود بن ربيعة ـ ربعى ٦٢ : ٢٥
الأشج العبدى ربعى ٦٢ : ٢٢
الأغلب الراجز ـ ربعى ٦٢ : ٢٤
سيدنا أبو بكر ـ قريشى ٦٠ : ١٦
أبورهم ـ كنانى ٦١ : ٢٥
أبو عبيدة بن الجراح ـ قريشى ٦٠ : ١٧
أبو العشراء ـ تميمى ٦٠ : ٢٥
أبو نوبرة بن شيطان ـ كنانى ٦١ : ٢٣
أبو هريرة ـ لخمى ٧٢ ؛ ١٠
أبو هند الدارى ـ أودى ١٩٧ : ١٢
أسماء بنت سلمة ـ تميمية ٦٠ : ٢٥
« « مخربة « « ٦٠ : ٢٥
أسيد بن إياس ـ كنانى ٦١ : ٢٥
الأقرع بن حابس ـ تميمى ٦٠ : ٢٦
امرؤ القيس بن عانس ـ كندى ١٩٧ : ٧
أم حبيبة زوج النبى ـ قريشية ٦ : ١٧
أمية بن خويلد ـ كنانى ٦١ : ٢٨
أنيس بن إياس ـ كنانى ٦١ : ٢٨
أوس بن خالد الأنصارى ـ أوسى ١٦ : ١

« ب »

بشير بن الخصاصية ـ ربعى ٦٢ : ٢٤

« ت »

تميم الدارى ـ أودى ١٩٧ : ١٣

« ث »

ثابت بن جابر ـ قيسى ـ ٦١ : ١٩
ثعلبة بن الحكم ـ كنانى ـ ٦١ : ٢٥
ثعلبة بن صعير ـ قضاعى ـ ١٢٩ : ٩
ثمامة بن أثال ـ قيسى ٦١ : ١٩

« ج »

جابر بن سلمة ـ قيسى ٦١ : ١٨

فهرس الصحابة

الجارود بن حنش - ربعى ٦٢:٢٢
جارية بن قدامة - تميمى ٦٠:٢٢
جمرة بن النعمان - قضاعى ١٢٩:١٠
جنادة بن عوف (القلس) - كنانى ٦١ : ٢٥
جندب بن جنادة - كنانى ٦١.٢٧
جهم بن قيس - قريشى ٦٠:٢٠
جهيش بن يزيد - أودى ١٩٧ : ١٠

« ح »

الحارث بن جميل - تميمى ٦١:٢٠
الحارث بن عبد العزيز - تميمى ٦١ : ٢٢
الحارث بن عوف - كنانى ٦١:٢٨
الحارث بن مالك - كنانى ٦١:٢٦
« « وهب - تميمى ٦١:١٦
حبيب بن خراش - تميمى ٦٠:٢٤
« « مسلمة - قريشى ٦٠:٢٤
الحتات بن زيد - تميمى ٦٠:٢٤
الحجاج بن علاط - تميمى ٦١:١٨
حجر بن عدى - كندى ٨٢:١٩
حذيفة بن أمية - كنانى ٦١:٢٨
الحريش بن هلال - مزروعى تميمى ١٨٥:١١
حسان بن محدوج - ربعى ٦٢:٢٤
الحصين بن الحر - تميمى ١٥٣:١٠
حصين بن مشمت - تميمى ٦٠:٢٢
حلحلة بن قيس - تميمى ٦١:١٩
حنظلة بن الربيع - تميمى ٦١:١٦
الحويرث بن عبد الله - كنانى ٦١:٢٧
حيدة بن مخرم - تميمى ٦١:١٦

« خ »

خالد بن سيار - كنانى ٦١:٢٨
خالد بن عرفطة - قضاعى ١٢٩:٩
خالد بن مالك - كنانى ٦١.٢٧
خالد بن المعمر - ربعى ٦٢:٢٥
خالد بن الوليد - قريشى ٦٠:١٧
خباب بن الأرث - مزروعى تميمى ٦٠:٢٢
خداش العجلى - ربعى ٦٢:٢٤
الخنساء بنت عمرو - قيسية ٦١:٢٧

« د »

دحية - كلبى ١٤٢:٨
دريد بن كعب - أودى ١٩٧:١١

« ر »

رافع بن عمرو - كنانى ٦١:٢٤
رباح بن ربيعة - تميمى ٦١:١٦
الربيع بن ربيعه - قيسى ٦١:١٧
ربيع بن مالك المزروعى - تميمى ١٨٥:١١

فهرس الصحابة

ربيعة بن رفيع - تميمى ٩:١٥٣
رفيع بن سمرة - تميمى ٩:١٥٣
« ز »
الزبرقان بن بدر المزروعى - تميمى ٢١:٦٠
الزبير بن العوام - قريشى ١٧:٦٠
زرارة بن قيس - أودى ٩:١٩٧
زمل بن عمر - قضاعى ١٠:١٢٩
زهرة بن حوية - تميمى ٢٣:٦٠
زياد بن هوذه المزروعى - تميمى ١١:١٨٥
زيد بن حارثة - ربعى ٢٥:٦٢
« س »
سارية بن زنيم - كنانى ٢٦:٦١
سمرة (أبو غاضرة) - تميمى ١٦:٦١
سمرة بن جندب - قيسى ٢٠:٦١
سعد بن أبى وقاص - قريشى ١٦:٦٠
« ش »
شبيب بن حرام - كنانى ٢٤:٦١
شراحيل بن معبد - ربعى ٢٦:٦٢
شريح بن مرة - كندى ٧:٨٣
الشماخ بن مسعود - قيسى ١٩:٦١
شيبان بن محرز الحنفى - ربعى ٢٦:٦٢
« ص »
صعصعة بن معاوية المزروعى - تميمى ١٠:١٨٥
صفوان بن صفوان - تميمى ١٥:٦١
صفوان بن المعطل - قيسى ٢١:٦١
صهيب الرومى - ربعى ٢٢:٦٢
« ض »
الضحاك بن سفيان - قيسى ٢١:٦١
« ط »
طلحة بن عبيد الله - قريشى ١٨:٦٠
طلق بن على الحنفى - ربعى ٢٣:٦٢
« ع »
عامر بن ربيعة العنزى - ربعى ٢٦:٦٢
عامر بن سلمة الحنفى - ربعى ٢٦:٦٢
عامر بن واثلة - كنانى ٢٦:٦١
عبد الرحمن بن عوف - قيسى ١٩:٦٠
عبد الله بن خباب المزروعى - تميمى ٢٢:٦٠
عبد الله بن عامر - قيسى ٢٠:٦٠
عامر بن مظعون - قيسى ١٨:٦٠
عبد المطلب بن ربيعة - قيسى ٢٠:٦٠
عبيد بن الخشخاش - تميمى ١٠:١٥٣
عتاب بن أسيد - قيسى ١٨:٦٠
عتبة بن أبى لهب - قريشى ١٨:٦٠
عتبة بن غزوان - قيسى ٢١:٦١
سيدنا عثمان - قريشى ١٦:٦٠
عروة بن أسماء - قيسى ١٧:٦٠

فهرس الصحابة

عطارد بن حاجب ـ تميمى ٦٠:٢٤
عقبة بن نافع ـ قيسى ٦٠:١٧
عقبة بن وهب ـ قيسى ٦١:٢٠
سيدنا على ـ قريشى ١٠:١٦
سيدنا عمر ـ قريشى ٦٠:١٦
عمرو بن الأهتم المزروعى ـ تميمى ٦٠:٢١
عمرو بن أمية ـ قيسى ٦١:٢٤
عمرو بن العاص ـ قريشى ٦٠:١٦
عياض الدارمى ـ تميمى ٦٠:٢٤

« ق »

قبيصه بن المخارق ـ قيسى ٦١:١٩
قيس بن سلمة ـ أودى ١٩٧:٦
قيس بن عاصم المزروعى ـ تميمى ٦٠:٢٣
قيس بن عاصم المرى ـ قيسى ٦١:١٩

« ك »

كرز بن علقمة ـ خزاعى ٦٥:٨
كعب بن سور ـ لخمى ٧٢:١٢
كلاب بن أمية ـ كنانى ٦١:٢٧
كلثوم بن الحصين ـ كنانى ٦١:٢٨

« م »

مالك بن الخشخاش ـ تميمى ١٥٣:٩
مالك بن نويرة ـ تميمى ٦٠:٢٥
متمم بن نويرة ـ تميمى ٦٠:٢٦
المثنى بن حارثة ـ ربعى ٦٢:٢٥
محلم بن جثامة ـ كنانى ٦١:٢٥
محلم بن يزيد ـ كنانى ٦١:٢٥
مرصد بن كناز ـ قيسى ٦١:١٧
مروان بن مالك ـ أودى ١٩٧:١٤
مسطح بن أثاثة ـ قريشى ٦٠:١٩
معقل بن سنان ـ قيسى ٦١:٢٠

« ن »

نبيه بن زيد ـ قضاعى ١٢٩:١٠
نعيم بن أوس ـ أودى ١٩٧:١٥
النمر بن تولب ـ ربعى ٦٢:٢٣

« هـ »

هشام بن صبابة ـ كنانى ٦١:٢٤
هند بن زرارة ـ تميمى ٦١:١٥

« و »

الورد بن خالد ـ قيسى ٦١:٢١
ورد بن مخرم ـ تميمى ١٥٣:٩
وهب بن عبد الله ـ قيسى ٦١:١٨

« ى »

يزيد بن الأخنس ـ قيسى ٦١:٢٠
يسر بن خوط ـ ربعى ٦٢:٢٥

obeikandl.com

(٥) فهرس الخرائط والجداول وصور النقوش

العدد	الصفحة	الموضوع
١	١	خريطة القبائل العربية
٢	١٥	جدول ملوك حمير
٣	٢٠	« « اللخميين
٤	٢٢	« « الساسانيين
٥	٢٢	« الملوك لاستنباط عمر الجيل الملكى
٦	٢٦	« ملوك الغساسنة
٧	٣١	« « كندة
٨	٥٦	« أهم شجرات الأنساب العربية
٩	٦٨	« تطبيق على ماقيل فى عمر الجيل
١٠	٧٨	« بنماذج اختلاف المؤرخين لتأسيس مصر الفرعونية
١١	٨٠	« باختلاف الاحصاء حتى فى التوراة
١٢	٨١	« باختلاف المؤرخين لزمن امرىء القيس
١٣	١١٥	« اللهجات العربية المنبوذة وسبب نبذها
١٤	١٦٢	« ترتيب شعراء المقطعات بحسب ازمانهم
١٥	٢٠٢	« ترتيب شعراء القصائد بحسب أزمانهم
١٦	٢٠٣	« ترتيب كل هؤلاء بحسب أزمانهم
١٨	٢٤٤	نقش عائذ بن كهبل قبل الميلاد المسيحى
١٨	٢٤٨	نقش النمـــارة فى القرن الرابع ق ه
١٩	٢٥٢	جدول بثلاث تراجم لنقش النمارة

(٦) فهرس الأمثال

العدد	الصفحة	المثل	قائله
١	١٠٤	إن العصا من العصية	الأفعى الجرهمى
٢	١١٠	إن المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه	جارية تميمية
٣	٢٢٧	أخسر صفقة من أبى غبشان	بعض العرب
٤	١٠٦	أسعد أم سعيد	ضبة بن أد
٥	١٠٨	أعز من حليمة	بعض العرب
٦	٢٢٧	أندم من الكسعى	» »
٧	١٠٩	أنصر أخاك ظالما أو مظلوما	جندب بن العنبر
٨	٢٣٦	بكل عيش يعيش الفقير	عامر بن الظرب
٩	١٠٦	الحديث ذو شئون	ضبة بن أد
١٠	٣٥	خذ من جذع ما أعطاك	جذع الغسانى
١١	٢٠٧	خير الأمور أوسطها	الحسن البصرى
١٢		دعوا دما ضيعه أهله	رهم الخزرجية
١٣	١٠٧	رمتنى بدائها وانسلت	جذيمة الوضاح
١٤	١٠٦	سبق السيف العذل	ضبة بن أد
١٥	١٠٥	السليم لاينام ولا ينيم	إلياس بن مضر
١٦	١٠٧	شب عمرو عن الطوق	جذيمة الوضاح
١٧	١٠٨	الصيف ضيعت اللبن	عمرو بن عمرو بن عدس
١٨	٢١٨	غبار العمل خير من زعفران العطلة	بعض العرب
١٩	١٠٨	مايوم حليمة بسر	» »
٢٠	١٠٨	المرء بأصغريه : قلبه ولسانه	شقة بن ضمرة التميمى
٢١	٢٣٦	من يرع يربه	عامر بن الظرب
٢٢	١٠٧	ويل امه حزما على متن العصا	جذيمة الوضاح

obeikandl.com

(٧) فهرس مواضع الاستدراك

شاء نشاط الأيدى العاملة لدى طبع هذا الكتاب ، أن تند
بعض كلمات مخالفة للأصل :
وسأذكر هنا بعض ماقد يخفى على بعض القراء فيما يأتى :

الصفحة	السطر	الصواب
٧	١٩	المدنيات
٨	١١	أرض ـ يحصب
٨	١٣	سد لحج وسد شحر
٩	١٣	واحدة
٩	١٥	العرم
١١	٥	عرودا
١١	١٥	شبه
١٣	١٢	عبطة
١٤	١١	٢٨٨ - ٣١٨ م
١٤	٨	التبابعة
٢١	٢	أقواس من
٢٢	١٠	وعدد
٣٤	٣	الدهاء
٣٩	٧	طفيل اليغوثى
٦٠	١٨	طلحة بن عبيد الله
٤٠	٤	القرية
٤٠	١٦	التوراة
٤١	١٤	الثامن عشر قم
٤٣	٢	الثامن عشر قم
٤٩	٢١	تمحل
٥٠	١٢	ملوكهم
٥٦	٦	الفرزدق
٦١	١٨	الحجاج بن علاط
٦١	٢٧	حذيفة ابن أمية
٦٤	٨	المحترش
٦٥	١٠	٢٠٠
٦٦	١٦	محمد على يكون
٧٣	٧	استفتيتهم
٨٠	٥	يهوذا
٨٢	٣	لأن امرأ القيس
٨٨	٣	أبو دواد، وفى الصفحات ، ١٢٧، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٣٢
٨٩	١٨	يحتضن
٩٧	١	أبو المهوش
١٠٥	٨	٣٠٠
١١٢	١٧	سورية وص ٢١١
١١٥	٢١	وأعاريضها الست
١٢٩	١٦	ومتوسط الفرقين
١٣٣	١٢	فالفرق الأول
١٣٤	٢١	شزرا
١٣٥	١٧	صعدها
١٣٨	١٧	أنه
١٤٣	٢	وجه الحوادث

(تابع) فهرس مواضع الاستدراك

الصفحة	السطر	الصواب
١٤٣	٨	فحق عليها
١٤٧	٢٢	أكثر مؤرخي العرب
١٤٨	٤	٣٦٥ ق هـ
١٤٨	٥	توافق سنه ٢٦٨م
١٤٩	٥	على عمرو بن عدى بن نصر
١٤٩	٢١	كان زعماء العرب عامة
١٥٠	١١	أرجاءه
١٥٢	٥	إلا التحية
١٥٦	٨	ابن خدام
١٥٦	١٧	ابن الحميد
١٥٧	١٢	ولم يذكروا حد
١٦١	١٤	فابن خذام
١٦٩	١٥	٤٩١ قـه (١٤٦ م)
١٧٩	١٦	عمرا الضائع
١٨٨	٢١	٣٦٦ قـه (٣٦٤ م)
١٩٤	٤	الحارث بن أبي شمر
١٩٦	٢٢	يعرب
٢٠٢	٣	بعد الميلاد
٢٠٧	٦	تجاهلا لصلة النسب
٢٠٨	١٢	من المحافظين قبل
٢٢٤	٣	ليقظة العلماء
٢٢٧	١٨	ويقاطعهم
٢٤١	٩	الروايات
٢٤١	١٣	ورأى علماء اللغات

(٨) فهرس المراجع (بحسب ترتيب الاستشهاد بها)

العدد	المرجع
١	تاريخ سنى ملوك الأرض لحمزة الأصفهانى - برلين ١٣٤٠ هـ
٢	بلوغ الأرب الألوسى - مصر ١٩٢٤
٣	الاكليل للهمدانى
٤	العرب قبل الاسلام لجورجى زيدان - مصر ١٩٠٨
٥	القصيدة الحميرية
٦	القاموس المحيط للفيروزابادى - مصر ١٣٤٤
٧	صفة جزيرة العرب للهمدانى - ليدن ١٨٨٤
٨	العبر وديوان المبتدا والخبر لابن خلدون - مطبعة بولاق
٩	ثمار القلوب للثعالبى - مصر ١٣٢٦ هـ
١٠	المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا
١١	مجمع الأمثال للميدانى
١٢	الاغانى لأبى الفرج الأصفهانى - مصر ١٩٢٧ / ١٨٦٠
١٣	تاريخ اليعقوبى مطبعة الغرى بالنجف ١٣٥٨ هـ
١٤	الإصابة لابن حجر مطبعة السعادة ١٣٢٣
١٥	قصة الأدب فى العالم لأحمد أمين بك والاستاذ زكى نجيب
١٦	مقدمة ابن خلدون المطبعة الخيرية ١٣٢٢
١٧	قوافل العروبة ومواكبها للأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٤٨
١٨	التوراة : سفر إرميا
١٩	الكامل لابن الأثير مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ
٢٠	البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة ١٩٣٢
٢١	طبقات الشعراء للجمحى مطبعة السعادة
٢٢	جمهرة ابن حزم الأندلسى دار المعارف بمصر ١٩٤٨
٢٣	مروج الذهب للمسعودى - المطبعة البهية ١٣٤٦
٢٤	خزانة الأدب الصغرى للبغدادى دار العصور ١٩٢٩
٢٥	تاريخ الدول الاسلامية للخضرى بك مصر ١٩٢٦
٢٦	أسد الغابة لابن الأثير
٢٧	الشعر والشعراء لابن قتيبة مطبعة المعاهد
٢٨	المزهر للسيوطى بمطبعة السعادة ١٣٢٥
٢٩	العمدة لابن رشيق بمطبعة السعادة ١٩٠٧

(تابع) فهرس المراجع

العدد	المرجع
٣٠	تاريخ اوربة الحديثة للسكندرى وسليم حسن ١٩٢٠
٣١	كتاب المعمرين للسجستانى مطبعة السعادة ١٣٢٣
٣٢	معجم ما استعجم للبكرى لجنة التأليف ١٩٤٥
٣٣	العقد الفريد لابن عبد ربه
٣٤	معجم الأدباء لياقوت مطبعة الحلبى ١٩٣٨
٣٥	عيون الأخبار لابن قتيبة
٣٦	شعراء النصرانية للويس شيخو طبع بيروت ١٨٩٠
٣٧	سرح العيون لابن زيدون
٣٨	ديوان الحماسة لأبى تمام مطبعة السعادة ١٩١٣
٣٩	المؤتلف والمختلف للآمدى
٤٠	مجالس ثعلب مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٨
٤١	فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين مطبعة فاروق ١٩٣٣
٤٢	بغية الطالبين لأحمد باشا كمال
٤٣	تاريخ مصر لجيمس هنرى برستد
٤٤	الأمالى للقالى ١٣٢٤
٤٥	ديوان الأفوه الأودى مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٧
٤٦	مختارات ابن الشجرى مطبعة الاعتماد ١٩٢٥
٤٧	الاشتقاق لابن دريد ـ غوتنجن ١٨٥٤
٤٨	علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى
٤٩	ذيل الأمالى للقالى مطبعة بولاق ١٣٢٤
٥٠	نهاية الأرب للنويرى
٥١	صحيح البخارى
٥٢	أحاديث الترمذى
٥٣	إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى
٥٤	القرآن الكريم
٥٥	تاريخ الأدب لحفنى بك ناصف مطبعة الجريدة ١٩٠٩
٥٦	تاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون

المراجع الغربية

وقد اعتمد المؤلف على كثير من هذه المراجع ترى فى ذيل الصفحات لم يذكرها لضيق المقام .